من بدائع الأدب الصيني القديم

中国古代诗文选

开罗艾因·夏姆斯大学
北京语言文化大学
编译

北京语言文化大学出版社

GIFTS OF 2000

THE EMBASSY OF THE
PEOPLE REPUBLIC OF
CHINA - CAIRO

من بدائع الأدب الصينى القديم
(٧٢٢ ق م – ١٩١١م)

بالتعاون فى التأليف والترجمة بين
جامعة اللغات والثقافة ببكين
وجامعة عين شمس بالقاهرة

دار النشر لجامعة اللغات والثقافة ببكين

تأليف: أساتذة جامعة اللغات والثقافة ببكين
أ. د. ياسين يانغ شياوبو
أ. د. لى يان خو

ترجمة: الأساتذة والطلبة في قسم اللغة الصينية
بكلية الألسن ـــ جامعة عين شمس بالقاهرة

مراجعة:
أ. د. ياسين يانغ شياوبو
د. وحيد السعيد عبد الحميد

中国古代诗文选

（公元前 722—公元 1911 年）

北京语言文化大学
开罗艾因·夏姆斯大学　编译

北京语言文化大学出版社

选编：北京语言文化大学教授
杨孝柏
李延祜

翻译：开罗艾因·夏姆斯大学
语言学院中文系师生

校译：杨孝柏
沃布德·赛义德·阿卜杜·哈米德

فهرس

الأدب فى عهود "ما قبل أسرة تشين" وأسرتى هان الشرقية والغربية (٧٢٢ ق م - ٢٢٠م)

الأدب فى عهود أسرتي وى وجين والأسر الشمالية والجنوبية (٢٢٠ – ٥٨٩م)

الأدب فى عهود أسرتى سوى وتانغ والأسر الخمس
(٥٨٩ – ٩٦٠م)

الأدب فى عهد أسرتى سونغ ويوان
(٩٦٠ – ١٣٦٨م)

الأدب في عهد أسرتي مينغ وتشينغ
(١٣٦٨ – ١٩١١م)

目　录

先秦两汉文学(公元前722—公元220年)

魏晋南北朝文学(公元220—589年)

مقدمة

تم توقيع الاتفاقية الودية للتبادل الثقافي والتعاون التعليمي في اليوم ٢٨ مارس ١٩٩٤م بين السيد الأستاذ يانغ فو تشانغ السفير فوق العادة والمفوض لجمهورية الصين الشعبية لدى جمهورية مصر العربية نيابة عن الحكومة الصينية والسيد الأستاذ حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم بجمهورية مصر العربية نيابة عن الحكومة المصرية، الأمر الذي ساهم مساهمة جديدة في تطوير التبادل الثقافي والتعليمي بين الدولتين التين تتحلى كلتاهما بحضارة عريقة وتربط بينهما صداقة عميقة في مجرى التاريخ السحيق.

وجاءت في هذه الاتفاقية أن جامعة اللغات والثقافة ببكين وجامعة عين شمس بالقاهرة ستتعاونان في ترجمة ونشر " كتابين أدبيين نموذجيين أحدهما عربي والآخر صيني إلى لغة الطرف الآخر". وتنفيذا لهذه الاتفاقية، ومن خلال سبتمبر ١٩٩٤م – سبتمبر ١٩٩٦م، أنجزنا عمل التأليف والترجمة للكتابين المذكورين ألا وهما: "من بدائع الأدب الصيني القديم" و"من بدائع الأدب العربي القديم".

كما اتبعنا نفس الأسلوب في تأليف الكتابين، فوضعنا لكل عهد من عهود التاريخ نبذة عن أدبه، ولكل كاتب من الكتاب الواردين في الكتابين تعريفا بسيطا لسيرته، عسى أن تكون في ذلك فائدة لأصدقائنا القراء في العالم العربي وفي الصين كي

يستطيعوا أن يضيفوا في جعبة معلوماتهم الواسعة شيئا جديدا عن موجز أحوال الأدبين العريقين.

لقد تولى هذا العمل بعض الأساتذة في جامعة اللغات والثقافة ببكين وأكثر من ثلاثين أستاذا وطالبا في قسم اللغة الصينية لكلية الألسن بجامعة عين شمس.

وفي مصر قد بدأ تدريس اللغة الصينية أول ما بدأ في مدرسة الألسن العليا بالقاهرة سنة ١٩٥٧م ثم توقف لفترة ما إلى أن تولى الأستاذ الدكتور عبد السميع محمد أحمد عمادة تلك المدرسة عام ١٩٧٢م، وبذل مجهودات عظيمة لتحويلها إلى كلية الألسن بجامعة عين شمس، وأعاد افتتاح قسم اللغة الصينية فيها عام ١٩٧٧م، ثم كرس حياته لتطوير هذا القسم.

وتقديرا للمساهمات الجسيمة التي قدمها الأستاذ الدكتور عبد السميع محمد أحمد خلال عمادته لكلية الألسن على مدى ثلاث فترات متتالية ورئاسته لقسم اللغة الصينية في سنوات طويلة، فقد منحه رئيس جمهورية مصر العربية جائزة الدولة للتعليم العالي في عام ١٩٨٣م، كما منحته جامعة اللغات والثقافة ببكين لقب الأستاذ الشرفي لها في عام ١٩٩٢م.

وخلال ترجمة هذا الكتاب، حظينا بعناية رقيقة من المسئولين في كل من لجنة الدولة الصينية للتربية والتعليم ووزارة التعليم المصرية وجامعة اللغات والثقافة ببكين وجامعة عين شمس والدكتور عبد السميع بالذات، فإليهم جزيل الشكر ووفير الامتنان.

ومهما حاولنا واجتهدنا، فالنقص في العمل موجود لا ريب

فيه، ونرجو من الخبراء الصينيين والعرب أن يهدوا لنا انتقاداتهم القيمة وتوجيهاتهم النفيسة.

الأستاذ الدكتور
ياسين يانغ شياوبو
سبتمبر ١٩٩٦ ببكين

前　言

中国和埃及，是两个具有古老文明的国家。中国人民和阿拉伯人民的友谊，源远流长。1994年3月28日，由中华人民共和国驻阿拉伯埃及共和国特命全权大使杨福昌先生代表中方，阿拉伯埃及共和国教育部部长侯赛因·卡米勒·白哈伍丁先生代表埃方，签署了一项两国间的文化交流与教育合作协议，为发展两国在文化与教育领域内的进一步合作与交流作出了新的贡献。

协议商定，由北京语言文化大学和开罗艾因·夏姆斯大学合作，以汉阿两种语言翻译出版两本各自具有代表性的文学作品。按协议规定，我们于1994年9月至1996年9月完成了《中国古代诗文选》和《阿拉伯古代诗文选》的编译工作。

两本书体例相同。我们为中国和阿拉伯世界古代每一历史时期都撰写了该时期的文学概况，为所选的每位著名作家或每部重要著作撰写了简介，以期广大的阿拉伯和中国读者能藉此对中国和阿拉伯古代文学有一个概括的了解。

这两本书的编译工作，是由北京语言文化大学的几位教授和开罗艾因·夏姆斯大学语言学院中文系的三十余名师生合作进行的。双方都作出了巨大的努力，使工作得以圆满完成。

埃及早在1957年便开始在开罗高等语言学校开设汉语课，后一度停办。1972年起，阿卜杜·赛米阿博士担任该校校长，几经努力，终使该校升格为艾因·夏姆斯大学语言学院，并于1977年重建中文系，为在阿拉伯世界发展汉语教学事业付出了毕生的心血。为表彰阿卜杜·赛米阿博士在长年担任语言学院院长及中文系主

任期间所作出的努力，阿拉伯埃及共和国总统于1983年授予他国家高等教育奖章，北京语言文化大学于1993年授予他名誉教授称号。

在两本书编译期间，我们得到了中国国家教委、埃及教育部、北京语言文化大学、开罗艾因·夏姆斯大学各级领导及阿卜杜·赛米阿博士的大力支持和巨大帮助，在此，诚致谢意。

编译工作中难免会有一些不能尽如人意之处，谨望中阿学者不吝赐教。

杨孝柏

1996年9月于北京

الأدب في عهود "ما قبل أسرة تشين" وأسرتي هان الشرقية والغربية (٧٢٢ ق م – ٢٢٠م)

نبذة عن الأدب في عهود "ما قبل أسرة تشين وأسرتي هان الشرقية والغربية

بقلم: لي يان خو

ترجمة: وحيد السعيد عبد الحميد

قبل قيام أسرة تشين في الصين، كانت هناك ثلاث أسر أخرى هي على التوالي: أسر شيا، شانغ، تشو. وانقسمت أسرة تشو إلى أسرتين هما "تشو الغربية" و"تشو الشرقية". ولم يمض الوقت الطويل على قيام أسرة تشو الشرقية حتى سادت الاضطرابات. ورغم أن هذه الأسرة ما تزال قائمة اسما، إلا أن بلاد الصين في عهدها تفتتت إلى عدد كبير من الممالك الصغيرة. وقد عرفت هذه الفترة في تاريخ الصين بعصر "الربيع والخريف" و"الممالك المتحاربة" (٧٢٢ ق.م – ٢٢١ق.م).

وفي عام ٢٢١ ق.م، تمكنت مملكة تشين القوية من القضاء على جميع الممالك الأخرى، ومن ثم تم توحيد الصين.

وتسمى الأسر والفترات قبل أسرة تشين في التاريخ عهد "ما قبل أسرة تشين".

وفي عام ٢٠٦ ق.م، انهارت أسرة تشين، وقامت أسرة هان الغربية التي استمرت في حكم البلاد حتى ٢٤م. وفي عام ٢٥م، تمكن القائد ليو تشو من إعادة قيام هذه الأسرة ولكن باسم هان

الشرقية، والتي استمرت حتى عام ٢٢٠م.

والأدب في عهد "ما قبل تشين" يقصد به أدب عصر "الربيع والخريف" و"الممالك المتحاربة".

وقد ظهر فـي هذا العهد أول ديوان شعري باسـم "كتاب الأغاني"، كما ظهرت بعد ذلك "ملاحم تشو الشعرية" التي حملت الخصائص الثقافية لأسرة تشو، وهـي مـن إبداع الشاعر الصينـي العظيم تشيو يوان.

لقد اتبع "كتاب الأغانـي" الأسلوب الواقعـي فـي الإبداع، بينما اتبع كتاب "ملاحم تشو الشعرية" الأسلوب الرومانسي. وقد وضع هذان الكتابان أساسا قويا لكل من المذهب الواقعي والمذهب الرومانسي في نظم القصائد والملاحم الشعرية في الصين.

وقد شهدت بلاد الصيـن فـي عهد "الربيـع والخريـف" و"الممالك المتحاربة" تطورات في الإنتاج وتغيرات في المجتمـع، كما شهدت قلاقل واضطرابات متلاحقة ومتعاقبـة، مما أدى إلـى ظهور نوع من التحرر الفكري وفئة جديدة من المثقفين والمفكرين القادرين على تدبر الأمور، والفرسان والأبطال المشهورين بشهامتهم وتضحيتهم من أجل الآخرين. كما ظهر عدد كبير من "المجالسين" لأصحاب السلطة والجاه وهم عادة من ذوي البصرة والرؤية الخاصة القادريـن علـى استيعاب الدروس مـن أحداث التاريـخ السابقـة، فوصفوا للحكام "وصفات" متنوعة، ونشروا آراءهم وأفكارهم فـي الممالك المختلفـة، حتـى سميـت هذه الفترة فترة "مائـة مذهـب تتبارى" في التاريخ.

ثم بعد ذلك ظهرت كتب مسجلة هذه الآراء والأفكار، راح أصحاب المذاهب الفكرية المختلفة يعبرون عن أنفسهم ويكتبون، فظهرت مقالات نثرية لعديد من الكتاب والفلاسفة، على رأسهم كونفشيوس ومنفشيوس وجوان تز ومو تز الخ.

وقد استخدم الشعر في عهد أسرتي هان الغربية والشرقية أسلوب الاعتماد على الجرس الموسيقى على عكس الأسلوب المستخدم في "كتاب الأغاني" المعتمد على وصف المشاعر والعواطف. فاشتهر الشعر في هذا العهد بـ "الديوان الموسيقي" الذي يعتمد على الجرس الموسيقي ويتبع أسلوب السرد، وقد ظهر ذلك جليا في قصيدة "الطاووس يطير إلى الجنوب الشرقي".

أما بالنسبة للمقالات النثرية في عهد أسرة هان، فيعد كتاب "في التاريخ" لصاحبه سى ما تشيان هو الأكثر شهرة. وقد امتزج هذا الكتاب أيضا بين الأحداث التاريخية والأعمال الأدبية. وسجل الكتاب أحداث ما قبل أسرة هان خلال ثلاثة آلاف سنة من تاريخ الصين، وتتميز كل الشخصيات والأحداث التاريخية التي وردت في هذا المؤلف الهام بأنها على درجة كبيرة من الأهمية علاوة على قيمتها الأدبية الكبيرة.

زقزقة طائر

مأخوذ من: "كتاب الأغاني"
ترجمة: عنايات عبد الحميد

طائر القمرى يزقزق،
في جزيرة بالنهر...
وفتاة جميلة رقيقة،
يبحث عنها فتى لتكون له صديقة.

النباتات المائية تطفو على سطح الماء،
تتحرك في اتجاه الماء يمينا ويسارا...
والفتاة الجميلة الرشيقة،
يبحث عنها الفتى في نومه ويقظته.

يبحث عنها ولا يجدها،
يفكر فيها في نومه وفي يقظته...
آه ! آه !
يتقلب على جانبيه.

النباتات المائية تظهر على وجه الماء،

وتقطف يمينا ويسارا.
والفتاة الجميلة الوديعة،
يتودد إليها الفتى بالعزف على العود.

النباتات المائية تظهر على وجه الماء،
وتقطف من اليمين ومن اليسار.
والفتاة الجميلة الهادئة،
يتودد إليها الفتى بالطرق على الناقوس.

فتاة هادئة

مأخوذ من: "كتاب الأغاني"
ترجمة: عنايات عبد الحميد

ما أجمل الفتاة الهادئة،
تنتظرني في ركن المدينة.
تختبئ ولا تظهر،
جعلتني في حيرة.

ما أبهى الفتاة الهادئة،
أهدت الى نايا أحمر.
الناى براق ولامع،
بريقه كبريق جمالها الفتان.

أحضرت الناى من المراعى البرية،
كهدية جميلة ونادرة.
ليس جميلا لشكله،
بل لانه هدية من الفتاة الجميلة.

تعريف الكتاب:

يعد "كتاب الأغاني" أول مجموعة أشعار غنائية ظهرت في الصين قبل ٢٥٠٠ عام، وقد جمع بين طياته ثلاثمائة وخمسة أشعار غنائية في الفترة ما بين القرن الحادى عشر قبل الميلاد والقرن السادس قبل الميلاد. والأشعار التي يضمها "كتاب الأغاني" هي كلمات للأغاني في ذلك الوقت. ويقسم "كتاب الأغاني" إلى ثلاثة أجزاء حسب اختلاف الموسيقى وهى: فنغ، يا، سونغ. "فنغ" هى موسيقى المناطق المختلفة، "يا" موسيقى تشبه أوبرا أسرة تشو، و"سونغ" موسيقى رقص استخدمها الأجداد عند تقديم القرابين فى المعابد، وتضم أشعار فنغ مائة وستين شعرا، وتضم أشعار يا مائة وخمسة أشعار ويوجد أربعون شعرا في أشعار سونغ. من ناحية مستوى الموضوعات والذوق الفني تعتبر موسيقى فنغ هى الأفضل، ثم تليها فى المستوى موسيقى يا، وتحتل أشعار الحب والزواج ثلث "كتاب الأغاني". ويعكس الجزء الباقي موضوعات أخرى مثل الصيد البري والإنتاج الزراعي والحيواني، وضغط الحكام على الشعب ومعاناة الشعب. ولروح الواقعية فى "كتاب الأغاني" تأثير كبير على الشعراء فى الأجيال اللاحقة.

آلهة السحاب

بقلم: تشيو يوان
ترجمة: عنايات عبد الحميد

أغتسل بمياه الريحان وأغسل شعرى بالمياه العطرة،
أرتدى الملابس الزاهية، وأصبح مثل زهرة نضرة.
وآلهة السحاب تهبط من السماء، وتتوقف منتظرة،
نورها الساطع يضيئ الجهات الأربع.

والآن نستقبل آلهة السحاب فى المحراب،
يشع ضوءها مع ضوء الشمس والقمر.
تقود جيشا من التنانين، وترتدى ملابس زاهية،
تطير إلى أعلى وتهبط، وتتجول فى الربوع الشاسعة.

تتحرك متلألئة، وتأتى إلينا بسرعة فائقة،
تطير فجأة نحو السماء، وتتحرك إلى أعلى مسرعة.
تتجول فى ربوع جبال وبحار الصين الشاسعة،
وتقطع المسافات إلى أطراف العالم، وطاقتها لا نهائية.
أفكر في آلهة السحاب، أتنهد، أتألم،
أجهد نفسي وأنتظرها، أشتاق إليها، ولا أنساها.

تعريف الكاتب:

ولد تشيو يوان في مقاطعة هو بى حوالى عام ٣٤٠ ق.م، وتوفى حوالى عام ٢٧٨ ق.م. وهو شاعر وسياسى من عصر الممالك المتحاربة. ويعتبر هو أول شاعر فى المجتمع الإقطاعى فى الصين. ولد في احدى أسر النبلاء في مملكة تشو. عاصر فترة حكم ثلاثة ملوك، وكانت فترة تشو هواى وانغ هى أهم هذه الفترات. وفيها تقلد مناصب هامة جدا، وعمل رئيسا للوزارة. وقد عارضه الأكابر وأوقعوا عليه كثيرا من الإيذاء فأبعده الملك. وقد أيد فكرة وجود الشخصيات المتميزة في المجال السياسي لاصلاح السياسة، وعلى الصعيد الدبلوماسي أيد الاتصال بمملكة تشى لمقاومة تشين. لكن هواى وانغ خدعته مملكة تشين، بل وأفسدت علاقته مع مملكة تشى. وبعد ذلك علم تشو هواى وانغ بالخديعة، فهاجم مملكة تشين مرتين وهزم. فأرسل تشيو يوان الى مملكة تشى للاصلاح بينهما. وبعد عودته تحسنت العلاقة بين مملكة تشو ومملكة تشين. وبعد ذلك استسلمت مملكة تشو لمملكة تشين وتخلت عن تشيو يوان، وأرسلته الى جنوب نهر اليانغتسي. فبقي هناك بأكثر من عشر سنوات. واحتلت مملكة تشين عاصمة مملكة تشو عام ٢٧٨ ق.م. وكان يعيش تشيو يوان في معاناة شديدة وانتحر في نهر مى لو. وقيل ان ذلك في اليوم الخامس من شهر مايو، وحتى الآن يتسابق الصينيون بالقوارب التنينية، ويأكلون الزونزى احتفالا بذكرى هذا الشاعر الوطني العظيم. ومن أعماله "الأغنيات التسع"، و"المقالات التسع" و"لى ساو" و"أسئلة نحو السماء" و"مناداة الروح". وأعماله متميزة تملأها روح الوطنية، وقد أظهرت الأخلاق الحميدة والرغبة في التضحية وعدم تقليد الأمور السيئة.

نظرية تساو قوى عن الحرب

مأخوذ من: "تفسير زو لجسل الربيع والخريف"
ترجمة: جان ابراهيم بدوى

في ربيع سنة ٦٤٨ قبل الميلاد، هم جيش مملكة تشى يهاجم مملكة لو، فاستعد ملك لو لمواجهته. طلب تساو قوى أن يقابل الملك، فقال له أهل بلدته:

– إن المسؤولين سيدبرون هذا الأمر، وما لك أن تشارك بنفسك فيه؟

قال تساو قوى:

– إن المسؤولين أنظارهم قصيرة وآفاقهم ضيقة.

ثم دخل لمقابلة الملك.

سأل تساو عما يستند اليه ملك لو للقيام بالحرب.

أجاب الملك قائلا:

– إن الأكل واللبس وغيرهما من نعمة الحياة لم أفكر أبدا في الاستئثار بها، بل لا بد من توزيعها إلى الشعب.

قال تساو:

– إن هذه الجمائل الصغيرة لن تعم الشعب، فالشعب بالتالى لن يتبعك للتضحية في الحرب.

قال الملك:

- عندما أقدم القرابين من بقر وخروف وحجر كريم وحرير، لم أزور أبدا في أمرها، بل أكون دائما صادقا في الصلوات.

قال تساو:

- الصدق في الأمر البسيط لن يكسب ثقة الإله، فهو بالتالي لن يفتح عليك فى الحرب.

قال الملك:

- رغم أنني لا أستطيع أن أتحرى جميع القضايا كبيرة كانت أو صغيرة بدقة ووضوح، غير أنني أصدر الحكم دائما حسب حقيقة الأمر.

قال تساو:

- هذا إخلاص للشعب، يمكن أن تستند اليه للقيام بالحرب. وقتها، اسمح لى أن أتبعك.

فركب الملك وتساو عربة حربية واحدة، وأشرفا على المعركة بين الجيشين فى تشانغ شاو. ثم هم الملك بقرع طبل الحرب إعلانا للهجوم، فقال له تساو:

- لا.

وبعد أن قرع جيش تشى طبلهم الحربى ثلاث مرات، قال تساو للملك:

- اقرع.

انهزم جيش تشى، وأراد ملك لو أن يأمر بالمطاردة، فمنعه تساو قائلا:

- لا.

ثم نزل من على العربة، وأخذ يفحص أثر عجلات العربات لجيش تشى، ثم صعد العربة مرة أخرى، واقفا على مقدمتها ليراقب حالة هروب جيش العدو، ثم قال:

- يمكن المطاردة الآن.

فطارد جيش لو عدوه.

بعد انتصار جيش لو على جيش تشى، سأل ملك لو عن سبب ما قاله وفعله تساو. فقال:

- إن الحرب تعتمد على روح الشجاعة، فالقرع الأول للطبل الحربي، من شأنه أن يرفع معنويات الجنود، وبعد القرع الثاني بدأت هذه المعنويات للنزول، أما بعد القرع الثالث، فسوف يدركها الخمول، وعند خمول معنويات جيش العدو، ارتفعت معنويات جيشنا، فغلبهم. ثم يصعب الجزم بأمر المملكة الكبيرة كمملكة تشى، فكنت خائفا من الوقوع فى كمينها، فمنعت المطاردة. وبعد أن وجدت عشوائية آثار عرباتهم، وسقوط أعلامهم، أمرت بالمطاردة.

تعريف الكاتب:

"تفسير زو لسجل الربيع والخريف" هو كتاب تاريخي من تأليف المؤرخ زو تشيو مينغ تفسيرا لسجل الربيع والخريف. وكان زو مؤرخا لمملكة لو في نهاية عهد الربيع والخريف. الرأى الآخر يظن أن الكتاب من تأليف بعض المؤرخين في بداية عهد الممالك المتحاربة. لقد سجل الكتاب نشاطات سياسية وعسكرية ودبلوماسية للممالك المختلفة في عهد الربيع والخريف من سنة ٧٢٢ إلى سنة ٤٦٨ قبل الميلاد، وكانت لغة الكتاب سلسة بليغة.

تسو جي يعظ ملك تشي بقبول النصائح

مأخوذ من: "سياسة الممالك المتحاربة"

ترجمة: جان ابراهيم بدوى

كان تسو جى طويل القامة بهى الطلعة مشرق الروح. وذات صباح، لبس ملابسه ونظر في المرآة محدثا زوجته:

– إذا قارنت بيني وبين السيد تشو في شمالـي المدينـة، فأي منا أكثر وسامة؟

فأجابته الزوجة:

– إنك وسيم للغاية، فكيف للسيد تشو أن يفوقك.

إن السيد تشو في شمالي المدينة رجل وسيم جدا في مملكة تشى. فلم يصدق تسو جى هذا الكلام، وعاد يسأل زوجته الثانية:

– أى منا أوسم، أنا أم السيد تشو؟

فقالت الزوجة الثانية:

– كيف للسيد تشو أن يكون مثلك.

وفي اليوم التالي، جاء ضيف من الخارج، فجالسه ليتجاذب معه أطراف الحديث، وسأل ضيفه:

– من منا أوسم، أنا أم السيد تشو؟

قال الضيف:

إن السيد تشو لم يكن في مثل وسامتك.

ومر يوم، حضر اليه السيد تشو، فحدق تسو جى فيه، وعرف بنفسه أنه ليس في وسامته. ثم نظر في المرآة، وأدرك أنه يقل كثيرا عن وسامة السيد تشو. وعندما نام في المساء، فكر في الموضوع مليا، وقال لنفسه:

– إن زوجتي تستجملني لأنها تحبني، وزوجتي الثانية تستجملني لأنها تخاف مني، وضيفي يستجملني لأنه يريد مساعدتي.

ثم دخل البلاط ليقابل ملك تشى، وقال له:

– إني أعرف بوضوح، أنني لست أوسم من السيد تشو. لكن زوجتي تحبني، وزوجتي الثانية تخاف مني، وضيفي يريد مساعدتي، فقالوا لي كلهم اني أكثر وسامة. والآن تحتل مملكة تشى على أرض واسعة المساحة، بها مائة وعشرون مدينة. لا امرأة في القصر إلا وهي تحب الملك، ولا موظف فيه إلا وهو يخاف من جلالتك، ولا أحد في المملكة إلا وهو يريد مساعدتك. ولهذا السبب، فإن الخداع الذي تعيش فيه لعظيم جدا.

فقال ملك تشى:

– أحسنت في الكلام.

ثم أصدر أمرا يقول:

– من عامة الشعب إلى موظفي الحكومة، كل من يستطيع أن ينقدني وجها لوجه، سيتلقى مني مكافأة بدرجة أولى، وكل من يستطيع أن ينقدني عن طريق العرض التحريري، سيتلقى مني مكافأة بدرجة ثانية، وكل من يستطيع أن ينقدني في الميادين العامة ثم

يتنقل إلي هذا النقد، سيتلقى مني مكافأة بدرجة ثالثة.

في بداية الأمر بعد إصدار البيان، حضر حشود من مقدمي النصائح، فازدحم البلاط ازدحام السوق. وبعد عدة شهور، حضر الناصحون بين حين وآخر. وبعد سنة، لم يجد أحد شيئا ليقوله حتى ولو كان راغبا في تقديم النصيحة.

وترامى الخبر إلى أسماع الملوك في الممالك يان، تشاو، هان، وى، فقدموا جميعا تهانيهم إلى ملك تشي. هذا ما يسمى بانتصار السياسة الحكيمة على الممالك المتاخمة.

تعريف الكتاب:

"سياسة الممالك المتحاربة" كتاب ألفه ليو شيانغ فـي عهد أسرة هان الغربية على أساس مقالات السياسيين فـي نهايـة عهد الممالـك المتحاربـة. ويحتوى هذا الكتاب على ثلاث وثلاثين مقالة تحكى عـن نشاطات سياسيـة وعسكرية ودبلوماسية فـي فترة ما بيـن عهد الممالـك المتحاربـة إلـى سقوط الممالك الست. وتتمتع المقالات بأسلوب الجدل البليغ مما ترك أثرا عظيما في الأعمال النثرية للأجيال اللاحقة.

من «تعاليم كونفوشيوس»

مأخوذ من: «تعاليم كونفوشيوس»
ترجمة: استر وليم بولس

١ - موكب من ثلاثة أشخاص

قال كونفوشيوس:

- اذا كان هناك موكب من ثلاثة أشخاص، فمن المؤكد أن واحدا منهم جدير بأن يكون أستاذا لي، حتى أستفيد من مزاياه، وأتنزه عن خطاياه.

٢ - زى قونغ يسأل عن السياسة

سأل زى قونغ عن سياسة البلاد في إدارة شؤونها، قال كونفوشيوس:

- إنها توفير المواد الغذائية، وتوفير المعدات العسكرية، واكتساب ثقة الشعب بالحكومة.

وسأل زى قونغ:

- أى أمر من هذه الأمور الثلاثة يمكن الاستغناء عنه أولا اذا كان ذلك لا مناص منه؟

فأجاب:

– يمكن الاستغناء عن المعدات العسكرية.

وعاد زى قونغ يسأل:

– وأى من الأمرين الباقيين يمكن الاستغناء عنه أولا اذا كان لا مفر من ذلك؟

فقال:

يمكن الاستغناء عن المواد الغذائية. حيث أن الموت تذوقه كل نفس منذ الأزل، أما الحكومة فلا تقف على قدميها إلا بثقة الشعب.

٣ – ما لا ترضاه لنفسك

سأل زى قونغ قائلا:

– هل هناك نصيحة يمكن السير على نهجها مدى الحياة؟

قال كونفوشيوس:

– قد تكون هى التسامح وألا ترضى لغيرك ما لا ترضاه لنفسك.

٤ – ثلاثة يحذرها الشريف

قال كونفوشيوس:

– ثلاثة يجب على الرجل الشريف أن يحذر منها. في مرحلة الشباب، حيث بداية الحيوية والنشاط، يجب أن يحذر من فتنة النساء. وفي مرحلة الكهولة، حيث تتوهج الحيوية والنشاط، يجب أن يحذر من المغالبة. وفي مرحلة الشيخوخة، حيث تذبل حيويته ونشاطه، يجب أن يحذر من الطمع.

تعريف الكتاب والكاتب:

"تعاليم الكونفوشيوس" كتاب يسجل فيه أفكار وأقوال وأعمال كونفوشيوس. وقد كان تلاميذه بعد موته جمعوها وأعدوها في كتاب. ويضم هذا الكتاب عشرين مقالة.

وكونفوشيوس (٥٥١ – ٤٧٩ قبل الميلاد) من مواليد مقاطعة شان دونغ في مملكة لو في عصر الربيع والخريف. وقد توفي أبوه وعاش حياة بائسة. عندما كان شابا عمل أمينا للمخازن، وفي مرحلة الشيخوخة كان مسؤولا عن القضاء. وهو مبتكر للمدرسة الكونفوشيوسية، وأعظم تربوي ومفكر مشهور في الصين، وكان يلقب في المجتمع الإقطاعي الصيني بالحكيم، وقد كان ينحنى الطلبة الدارسون احتراما وتحية لصورته التي تتعلق في المدارس. وهو واحد من مشاهير الثقافة المعترف بهم في العالم. وقد سافر إلى ممالك كثيرة، وانتشرت أفكاره ونظرياته، ولكن لم يتلق الاهتمام من ملوكها. وفي أواخر أيام حياته مارس التأليف وإلقاء المحاضرات بعد وصوله إلى مملكة لو. وقام بتأليف "كتاب الأغاني" و"كتاب التاريخ" و"كتاب الآداب" و"كتاب التغيرات". كانت آراؤه عادلة طيلة حياته، وكان يدعو إلى الحب بين الأشخاص، ويقاوم النظام الطاغي، ويتعاطف مع آلام الشعب. وقد خلف ثلاثة آلاف تلميذ. ومن بينهم اثنان وسبعون من البارزين. ويعتبر كونفوشيوس من المفكرين البارزين والمؤثر الروحي لأفكار وأخلاق الشعب الصيني.

رجل من مملكة تشي له زوجة وضرتها

مأخوذ من: "المنشوشيوسية"
ترجمة: استر وليم بولس

كان في مملكة تشي رجل له زوجة وضرتها تعيشان تحت سقف واحد. وكلما خرج الزوج، لا يعود إلا بعد أن يملأ بطنه بالخمر واللحم. ولما سألته زوجته عمن يشاركه في الأكل والشرب، أجاب بأن كلهم من ذوي المال والجاه.

وأخبرت الزوجة ضرتها قائلة:

— ان زوجنا كلما خرج، لا يعود إلا بعد أن يملأ بطنه بالخمر واللحم. ولما سألته عن مجالسيه في الأكل والشرب، أجابني بأنهم من ذوي المال والجاه. ولكن لم يكن هناك أعيان قد زارونا من قبل. وانني أريد أن أختلس نظرة إلى حيث يذهب زوجنا.

وفي الصباح قامت الزوجة وتسللت خلف زوجها لتعرف إلى أين يقصد، فرأت أنه لا أحد في البلدة يتوقف ليبادله الحديث، حتى انتهى به المطاف عند منطقة المقابر في ضاحية المدينة الشرقية، واقترب ممن يقدم للضريح قربانا، فتسول منه ما تبقى. وحتى إذا لم يكفه ذلك التفت الى غيره. وهذه هي طريقته لملأ بطنه.

بعد رجوع الزوجة، أخبرت ضرتها قائلة:

- إن الذى ندعوه زوجا ونقدره ونعجب به، انما نعلق عليه آمالنا ونعتمد عليه مدى حياتنا، ولكن هذا هو حاله.

وأخذت الزوجة وضرتها توبخان زوجهما، وانخرطتا في بكاء شديد متواجهتين في وسط الفناء. ولم يعرف الزوج بما حدث، وعاد من الخارج مغرورا متباهيا أمام زوجته وضرتها.

وفي رؤية الرجل الشريف أن الأسلوب الذى يستخدمه بعض الناس للسعى وراء المنصب والثروة، نادرا جدا ما لا تخجل منه الزوجات والضرائر ولا يبكين من علته متواجهات.

تعريف الكتاب والكاتب:

"المنفوشيوسية" كتاب يشمل سبع مقالات ألفها منفوشيوس وتلاميذه، ويعتبر هذا الكتاب من المؤلفات الكلاسيكية للمذهب الكونفوشيوسي، فلا بد للطلبة من قراءته، كما هو من المضامين المهمة في الامتحان الامبراطورى. فمقالاته تسجل أقوال منفوشيوس وتتمتع بالحث والتشجيع. وتبرز أسلوب منفوشيوس البليغ الطلق اللسان. وتتميز هذه المقالات أيضا بمشاعره الفياضة ووجهات نظره الواضحة ولغته السلسة. والكتاب أيضا بارع فى توضيح الحقائق عن طريقة بعض القصص القصيرة أو الأساطير وكان للمنفوشيوسية تأثير كبير على الكتاب الكلاسيكيين فى عصرى تانغ وسونغ.

ولد منفوشيوس عام ٣٧٢ وتوفي عام ٢٨٩ قبل الميلاد، وهو من مدينة جو بمقاطعة شان دونغ. إنه من الشخصيات المهمة العظيمة للمذهب الكونفوشيوسى بعد كونفشيوس. وقد لقبا معا في المجتمع الإقطاعى بـ "الكونفشيوس – منفوشيوس" وقد وصل إلى مملكة تشي ومملكة ليانغ لنشر آرائه وعقيدته، ولكن دون جدوى. كان يدعو الى سياسة الرحمة ويقاوم الحروب واستغلال الطغاة. ويعتقد أن الإنسان بطبيعته طيب القلب. وأن الشعب من أهم ما فى المملكة أما الملك ففي المرتبة الثانية، وكان يطالب بتعاونهما من أجل السلام والطمأنينة. كان كل هذا متفقا مع متطلبات الشعب.

نزهة على الجسر

مأخوذ من: "جوان تز"

بقلم: جوان تز

ترجمة: سعاد سلامه

كان جوان تز يتنزه مع صديقه خوى تز[1] على جسر نهر خاو، فقال جوان تز:

– يا لسعادة الأسماك الفضية، إنها تسبح ذهابا وإيابا بكل حرية.

قال خوى تز:

– إنك لست بسمكة، فمن أين عرفت أنها سعيدة؟

قال جوان تز:

– إنك لست بي أنا، فمن أين عرفت أنني لا أدرك سعادتها؟

– نعم إنني لست بك أنت، ولا أعرف ما بداخلك، كما إنك بالطبع لست بسمكة، فمن المؤكد أنك لا تدرك سعادتها.

فقال جوان تز:

– دعنا نرجع إلى بداية حديثنا، لقد سألتني كيف أدركت سعادة الأسماك، سألتني ذلك، لأنك قد أدركت أنني أعرف. وأقول انني عرفت سعادتها لأنني سعيد على جسر نهر خاو.

تعريف الكاتب:

جوان تز: فيلسوف قديم مشهور فى عهد "الممالك المتحاربة" (٤٧٥ – ٢٢١ قبل الميلاد) وكتاب "جوان تز" يحتوى على ٣٢ مقالة فلسفية تركت آثارا عظيمة.

(١) خوى تز: فيلسوف مشهور من نفس العهد، صديق جوان تز.

الشيخ الجاهل يزيح الجبلين

مأخوذ من: "ليه تز"

ترجمة: أيمن السيد سعيد

كان في قديم الزمان يوجد جبلان أحدهما يسمى تاى هانغ والآخر يسمى وانغوو، وكانا مرتفعين للغاية وكبيرين في الحجم الذى يحتل تقريبا سبعمائة ميل مربع.

كان الجبلان يقعان في الأصل في جنوب منطقة جى تسو وشمال منطقة هو يانغ.

وكان هناك في منطقة الجبل الشمالي رجل عجوز ملقب بـ"الشيخ الجاهل"، وقد ناهز تسعين سنة من عمره، وكان بيته يواجه هذين الجبلين حيث عرقلا طريقهم في الخروج والدخول. فاجتمع بأفراد عائلته للتشاور قائلا:

– انني أفكر أن أزيح معكم هذين الجبلين بأقصى جهودنا لتمهيد الطريق المؤدى الى جنوب يو تسو وجنوب نهر هان، فما رأيكم؟

فوافق الجميع، غير أن زوجته شكت في الأمر سائلة:

– لا تتمكن من إزاحة تل كوى فو بجهودك، فما بالك بهذين الجبلين الكبيرين؟ ثم أين نضع الأتربة والأحجار؟

قال الجميع:

– يمكن إلقاؤها في بحر بو هاى.

فاختار الشيخ من أبنائه وأحفاده ثلاثة قادرين على الحمل، وبدأوا يحفرون التراب والأحجار، ويحملونها إلى بحر بو هاى. وكانت جارتهم أرملة تعيش مع ابنها الذى ولد بعد وفاة أبيه، والذى لم يبلغ من العمر إلا سبع أو ثماني سنوات فقط، وقد ذهب هذا الولد ليساعدهم أيضا، وهو لا يرجع إلى بيته إلا مرة في السنة. وكان هناك رجل ملقب بـ "الشيخ الحكيم" في منطقة خو تشو، ضحك من أعمالهم ومنعهم قائلا:

– إن عقلك جامد جدا، إنك مسن وضعيف الجسم، لا تستطيع إزاحة نبات من نباتات الجبل، فما بالك بهذه الأتربة والأحجار؟

تنهد الشيخ الجاهل طويلا، ثم قال:

ـ بل إن قلبك جامد للغاية، وعقلك لا يساوى عقل تلك الأرملة وذلك اليتيم. اذا مت أنا، فسيواصل أبنائي ويأخذ مكانهم أحفادي، ثم يأتي بعدهم أبناؤهم وأبناء أبنائهم، وهكذا إلى ما لا نهاية. أما هذان الجبلان، فلن يزيد ارتفاعهما على الاطلاق. فكيف لا يمكن ازاحتهما؟

بهت الشيخ الحكيم ولا يعرف ما يجيب.

سمع ذلك إله الجبل، وخاف من مثابرته على الحفر، فبلغ الأمر لرب السماوات. فتأثر الرب من عزيمته، وأمر ملاكين ليحملا أحد الجبلين إلى شرقي الشمال، والآخر إلى جنوب يونغ تسو. ومنذ ذلك الوقت، لا جبل يعرقل الطريق المؤدى الى الجنوب.

تعريف الكتاب:

قيل ان "ليه تز" كتاب من تأليف ليه يو كو فى عهد الممالك المتحاربة، يحتوى على قصص شعبية وحكايات رمزية وأساطير متنوعة.

الوعظ بطلب العلم

مأخوذ من: "شون تز"

ترجمة: منى فؤاد

يقول الحكيم:

إنه لا يمكن للإنسان أن ينتهي من طلب العلم. فاللون الأخضر ينبثق من اللون الأزرق، ولكنه أكثر من الأصل نضارة. والجليد يتكون من الماء، غير أنه أشد منه برودة. الغصن المستقيم يصلح أن يكون مقياسا عموديا، واذا لويناه ليكون على شكل العجلة، فأصبح مقياسا للدائرة. حتى بعد أن جف، لم يعد مستقيما كما كان، وذلك نتيجة لعملية اللى. لذلك لن يبقى الغصن مستقيما إلا بتقويم المقياس المستقيم، ولن يصبح المعدن حادا، إلا بشحذه وسنه. فالرجل النبيل اذا تعلم علوما واسعة، وراجع سلوكه يوميا، أصبح عاقلا منورا متجنبا الأخطاء في تصرفاته.

يقول الحكيم:

اذا لم تصعد جبلا مرتفعا، فلن تعرف مدى علاء السماء، واذا لم تنزل الى واد سحيق، فلن تدرك مدى عمق الأرض، واذا لم تسمع نصائح الحكماء السابقين، فلن تعي مدى وساعة العلم...

ولتعلموا أنه مهما طال بكم التفكير، فلن يصل لكم الى ما

يمكن أن تصل بكم اليه لحظة واحدة من التعليم. ومهما وقفتم على أصابع أقدامكم لترسلوا أنظاركم بعيدا، فلن تصل بكم إلى ما يمكن أن تصل بكم اليه وأنتم على جبل مرتفع. الذراع الملوحة على الجبل المرتفع، يراها الناس من بعيد رغم أنها لم تزد طولا. والمناداة في اتجاه الريح، يسمعها الناس بوضوح رغم أنها لم تزد سرعة. راكب الحصان يقطع ألف ميل، رغم أن قدميه لم تزيدا قوة، ومجدف القارب يعبر أنهارا، رغم أنه لم يعرف السباحة... فالرجل النبيل ليس شاذا في طبيعته بل ماهر في الاستعانة بما يساعده...

واذا تراكمت الأتربة تكون منها جبل تأتي من ورائه الرياح والأمطار، واذا تكاثرت المياه تشكل منها بحر تنمو في داخله أنواع التنين والحوت، واذا توفرت الأعمال الحسنة الصالحة كسب فاعلها العقل المقدس والحكمة النبيلة. لذلك فالخطوات ان لم تستمر في السير لن تصل الى ألف ميل، والروافد ان لم تتجمع لن تكون هناك بحار. الوثبة الواحدة من الجواد الأصيل لن تتعدى العشر خطوات، والأحصنة البطيئة اذا جرت عشرة أيام فيمكن أن تنجح جهودها بالمثابرة على السير. فمن لم يثابر على عمل لن يكسر خشبا متعفنا، ومن واظب عليه، فيمكن أن ينحت معدنا صلبا...

لا يوجد صوت لا يسمع حتى ولو كان خفيفا، ولا يوجد عمل لا يرى حتى ولو كان مختبئا. تزدهر وتنضر الأشجار والنباتات بوجود الأحجار الكريمة في تراب الجبل، ولا تنضب

الينابيع على المنحدرات الواقفة بوجود ما تحتها من لآلـئ البحر. فقد تعمل عملا صالحا ولم تواظب عليه، وإلا فكيف يمكـن ألا يرى ويسمع؟

تعريف الكتاب:

كتاب "شون تز" من تأليف شون تز في عهد الممالك المتحاربة، يحتوي على اثنتين وثلاثين مقالة نثرية ذات أسلوب بليغ ونظرية واضحة. وشون تز (٣٠٣ - ٢٣٨ قبل الميلاد) من أهل مملكة تشاو في نهاية عهد الممالك المتحاربة. كان تربويا نابغا وأديبا مشهورا.

يان تز مبعوث إلى مملكة تشو

مأخوذ من: "سيرة يان تز"
ترجمة: سعاد سلامة

سافر يان تز مبعوثا إلى مملكة تشو، فدعاه أهل المملكة ليدخل من الباب الصغير الذى عملوه بجانب الباب الكبير لقصر قامته.

فرفض يان تز قائلا:

- يدخل المبعوث من باب الكلاب حين يرسل إلى بلد الكلاب، أما أنا فقد أرسلت مبعوثا إلى مملكة تشو، ولا يجب أن أدخل من هذا الباب.

فغير المستقبلون سبيله، ودعوه للدخول من الباب الكبير. ثم قابل يان تز ملك تشو، وقال له الملك:

- ألا يوجد في مملكتكم رجال؟

فأجاب يان تز قائلا:

- هناك ثلاثمائة شارع وحارة تمتد في مدينة لينسغ تز عاصمة مملكة تشى، اذا رفع رجالها أكمامهم، تظللت الدنيا. واذا تصببوا عرقا، أمطرت السماء، واذا وقفوا جنبا الى جنب فكأنهم بنيان مرصوص. فأنى لك أن تقول انها مفتقرة إلى الرجال؟

فقال ملك تشو:

– ما دام الأمر كذلـــك، فلماذا أرسلوك أنـــت كمبعوث دبلوماسي؟

أجابه يان تز قائلا:

– عندما تعين مملكة تشـــى مبعوثيـــن، تحمـــل كلا منهـــم المسئولية تجاه بلد معين. فترسل القدير النبيل منهـــم إلـــى الملـــك القدير النبيل، وترسل البليد الحقير منهم إلى الملك البليد الحقير. ولما كنت أنا أكثرهم بلادة وحقارة، فقد كان جديرا بي أن أرسل مبعوثا إلى مملكة تشو...

تعريف الكاتب:

يان تز، اسمه الأصلي يان يين، كان كبير الوزراء ببلد تشى في عصر الربيع والخريف (٧٧٠ – ٤٧٦ قبل الميلاد)، وكان سياسيا فذا ودبلوماسيا مشهورا. ويقال ان كتاب "سيرة يان تز" من تأليفه، والحقيقة أن الذين جاءوا من بعده، هم الذين كتبوه طبقا لأقواله وأفعاله.

قصة الجنرال ليان بوه والوزير لين شيانغ رو

مأخوذ من: "في التاريخ"
بقلم: سى ما تشيان
ترجمة: سمية محمد الدمهوجى

كان ليان بوه قائدا عسكريا بارزا في مملكة تشاو، وكان يقود جيش مملكة تشاو في عام ٢٨٣ قبل الميلاد لمحاربة مملكة تشى فانتصر عليها، وقهر مدينتها تشين يانغ. ولذلك رقى لمنصب الجنرال واشتهر بين الأمراء بالشجاعة والإقدام.

أما لين شيانغ رو فكان من أهل مملكة تشاو، وكان واحدا من مجالسي كبير الموظفين الخصيان مياو شيان.

لما كان الملك هوى ون وانغ استولى على حكم مملكة تشاو، حصل على أنفس قطعة من الحجر الكريم مسماة بيشم هو شي. وعندما سمع ملك مملكة تشين ذلك، أرسل شخصا حاملا خطابا منه الى ملك تشاو، وطلب منه هذا اليشم النفيس مقابل خمس عشرة مدينة من مدن مملكة تشين.

فتشاور ملك تشاو مع الجنرال ليان بوه وكبار الموظفين في الأمر. وفكر الملك أن يعطى اليشم لمملكة تشين، غير أنه خشى أن ينخدع فلا يمكن الحصول على تلك المدن، وفي نفس الوقت خاف أيضا من هجوم مملكة تشين ان لم يعطها اياه. ولم يتوصلوا

الى حيلة جيدة.

وفكر ملك تشاو أن يبعث رسولا ليتصل بمملكة تشين، فلم يجد أيضا شخصا مناسبا. حينذاك، تقدم كبير الموظفين الخصيان مياو شيان قائلا:

- أرى أن مجالسي لين شيانغ رو يمكن أن يكون رسولا لجلالتكم.

سأل الملك:

- كيف ترى ذلك؟

أجاب:

- لقد كنت مرة ارتكبت خطأ كبيرا، ففكرت أن أهرب سرا الى مملكة يان، فمنعني مجالسي شيانغ رو قائلا: من أين تعرف أن ملك يان سوف يشملك برعايته؟ قلت: سبق أن قابلته مرة في الحدود وأنا مرافق لملك تشاو، وسمعته يقول لى انه يود أن يصادقني، لذلك أفكر في أن ألجأ اليه. قال شيانغ رو: انه كان يود أن يصادقك لأنك من الموظفين المفضلين عند ملك تشاو الذى كانت مملكته أقوى من مملكة يان، أما اليوم فلن يبقيك في مملكته لأنك هارب اليها من مملكة تشاو، وذلك بسبب خوفه من بطشها. بل انه سيربطك بالحبل ويرسلك عائدا الى تشاو. وأرى أنك يستحسن أن تذهب الى الملك عارى الصدر حامل الفأس على الظهر طالبا العقاب من جلالته، فقد يحالفك الحظ ويعفو عنك الملك...، فعملت بنصيحته وعفانى جلالتى... ومن هنا أدركت أن هذا الشخص شجاع حقا وذو حكمة وحيلة، يمكن ارساله كرسول

لجلالتكم.

فاستدعى الملك لين شيانغ رو، وسأله:

- هل أعطى اليشم النفيس لمملكة تشين مقابل خمس عشرة مدينة من مدنها ؟

أجاب شيانغ رو:

- ان مملكة تشين أقوى من مملكة تشاو، فلا يمكن أن يرفض جلالتي طلبها.

قال الملك:

- اذا أخذوا اليشم النفيس ولم يعطونا المدن بالمقابل، فما العمل؟

أجاب شيانغ رو:

- اذا رفضنا ما طلبوه منا فالملامة ستقع علينا، واذا وهبنا لهم وهم خالفوا الوعد فالملامة ستقع عليهم. بالمقارنة بين الحالتين، فمن الأفضل أن نوافق على طلبهم ونحملهم الملامة.

قال الملك:

- من يمكن أن أبعثه رسولا ؟

رد لين شيانغ رو:

- اذا لم يجد جلالة الملك شخصا مناسبا، فانني أرغب في أن أحمل اليشم بين يدى، وأذهب به الى مملكة تشين، اذا أعطوا المدن الموعودة الى مملكة تشاو تركت لهم اليشم، واذا خالفوا وعدهم، فسأرجع الى مملكة تشاو بهذا اليشم النفيس على أكمل حاله.

فبعثه الملك ليحمل اليشم الى مملكة تشين.

استقبله الملك تشين في سكنه الخاص خارج البلاط الملكي، وعامرته سعادة عظيمة لما قدم اليه شيانغ رو ذلك اليشم النفيس. ثم أمر بمداولة اليشم بين أيدى جارياته الحسناء وموظفيه الكبار، وهتف الجميع: يعيش الملك. ولاحظ شيانغ رو أن ملك تشين لا ينوى أن يهب المدن مقابل اليشم، فتقدم قائلا:

- ان لليشم عيبا أود أن أري صاحب الجلالة اياه.

فأعيد اليشم الى شيانغ رو، فتراجع الى الخلف ووقف مستندا الى العمود حاملا اليشم، مشتعلا من الغيظ، قائلا لملك تشين:

- صاحب الجلالة رغب في الحصول على اليشم، وبعث لملك تشاو، فعقد الملك اجتماعا شوريا، وقال الجميع ان مملكة تشين طماعة معتمدة على القوة، فقد لا نحصل على المدن الموعودة مقابل اليشم، لذا قرروا ألا يعطوكم اياه. لكننى كنت أفكر في أن الأمانة موجودة حتى بين عامة الناس، فما بالك بالمملكة الكبيرة؟ ثم كيف يمكن أن نجرح مشاعر مملكة تشين القوية بسبب قطعة من الحجر الكريم؟ لا يمكن. فقام ملك تشاو بالصيام لمدة خمسة أيام، ثم أمرني أن أحمل اليشم وأوراق الاعتماد لإهدائه الى مملكتكم، تعبيرا عن تقديرنا واحترامنا لكم. وقد حضرت اليوم، واستقبلت في سكن جلالتكم خارج البلاط بمراسيم بسيطة للغاية. وبعدما أخذت اليشم مني، ناولته الجاريات الحسناء، وبذلك سخرت مني. وأرى أن جلالة الملك لا ينوى إعطاء المدن الموعودة كالمقابل، فأرجعت اليشم ثانية بالحيلة. واذا

أجبرني صاحب الجلالة على اهداء اليشم، فسوف أكسره مع رأسي في هذا العمود.

حدق شيانغ رو في العمود رافعا اليشم بيده، وكان يهم بكسره في العمود.

وهنا خاف ملك تشين على اليشم، فاعتذر، وطلب منه بإلحاح أن يكف عن فعله. ثم استدعى الموظف المشرف على خريطة المملكة، وأشار له الى خمس عشرة مدينة واعدا بإهدائها الى مملكة تشاو. فكر شيانغ رو فيما بينه وبين نفسه، أن ملك تشين يتظاهر فقط بإهداء المدن، وفي الحقيقة لن يفي وعده. فقال:

- ان يشم هو شي حجر كريم من أنفس أنواعه في العالم، ولا يستطيع ملك تشاو أن يبخل به على جلالتكم احتراما لهيبته. وقد صام خمسة أيام من أجل إهداء هذا اليشم، فعلى جلالة الملك أن يصوم خمسة أيام أيضا وأن يقوم بمراسيم محترمة لأقدم اليشم الى جلالتكم.

فكر ملك تشين في الأمر، ورأى أنه لا يستطيع انتزاع اليشم بالقوة، فاضطر للموافقة على صوم خمسة أيام، واستضاف شيانغ رو في دار الضيافة.

عرف شيانغ رو أن ملك تشين رغم صومه سيخالف بالتأكيد وعده، فأمر أحد مرافقيه أن يتنكر في ملابس مدنية ويسلك طريقا فرعيا مختبئا اليشم معه ليرجعه الى مملكة تشاو.

بعد خمسة أيام من صيام ملك تشين، أقيمت مراسيم محترمة

فى البلاط لاستقبال لين شيانغ رو رسول مملكة تشاو. فامتثل شيانغ رو أمام ملك تشين، وقال له:

– اني خائف من الوقوع في خديعة مملكة تشين خاسرا بذلك مصلحة تشاو، فقد أرسلت أحد مرافقى عائدا باليشم الى بلادى، وقد وصله بالفعل من الطريق الفرعي. ان مملكة تشين أقوى من مملكة تشاو، اذا أرسلتم رسولا اليها، ستوافيكم باليشم فى الحال واليوم اذا تنازلتم أولا – وأنتم مملكة قوية – خمس عشرة مدينة الى تشاو، فكيف تجرؤ مملكة تشاو على إغضابكم وتتأخر فى إهداء اليشم؟ اننى أعلم أن جزاء من يخدع صاحب الجلالة هو تعذيب بالسلق حتى الموت، وأنا مستعد لقبول هذا الجزاء. لكنني أتوسل الى جلالة الملك وموظفيه الكبار أن يمعنوا تفكيرهم فقط فى هذا الأمر.

أطلق الملك والموظفون الكبار آهات الذعر والتعجب ناظرين الى بعضهم، وحاول البعض أن يجذبوه للقضاء عليه. وانتهز ملك تشين هذه الفرصة فقال:

– ان قتله الآن لا يساعد اعادة اليشم الينا، بل سيؤدى الى قطع علاقة المودة والصداقة بين مملكة تشين ومملكة تشاو. فمن الأحسن أن نعامله معاملة محترمة، ونسمح له العودة الى بلاده، فهل من المعقول أن يخدعنا ملك تشاو من أجل قطعة من الحجر الكريم؟

فأكمل مراسيم الاستقبال في البلاط، ثم أرسله الى طريق العودة.

لما عاد شيانغ رو، اعتبره ملك تشاو موظفا حكيما، ورسولا لا يهان عند الملوك والأمراء. ثم عينه رئيسا للمستشارين.

وفي نهاية المطاف، لم تتم عملية التبادل بين المملكتين. ثم بعد ذلك، هاجمت مملكة تشين على مملكة تشاو، وقهرت مدينة تشى تشينغ منها. وفي السنة التالية، هاجمت عليها ثانية، وقتلت ما يزيد عن عشرين ألف مواطن من مملكة تشاو.

ثم أرسل ملك تشين مبعوثا الى ملك تشاو، طلب منه مقابلة ودية في مدينة ميان تشى على حافة النهر الغربي. وكان ملك تشاو خائفا من ملك تشين، فأراد أن يعتذر عن المقابلة، فقال ليان بوه ولين شيانغ رو بعد التشاور:

– ان الاعتذار عن المقابلة، سيدل على ضعف مملكة تشاو وخوفها من مملكة تشين.

فهم الملك بحضور المقابلة بمرافقة شيانغ رو.

ودعهما ليان بوه الى الحدود، وقال للملك:

– من المتوقع أن فترة غياب جلالة الملك من يوم السفر الى العودة بعد انتهاء المقابلة لا تتجاوز ثلاثين يوما، وان لم يعد جلالة الملك بعد ثلاثين يوما، أطلب من صاحب الجلالة أن يسمح لأن نبايع ولي عهدكم لإحباط أمل مملكة تشين.

فسمح ملك تشاو بذلك، واتجه في طريقه قاصدا مقابلة ملك تشين في مدينة ميان تشى.

شرب ملك تشين خمرا وثمل، فقال:

– سمعت أن ملك تشاو يحب الموسيقى، فليتفضل بالعزف

لنا على العود.

فقام ملك تشاو بالعزف.

وهنا، تقدم موظف التاريخ في مملكة تشين يكتب معلنا:

– في يوم كذا من شهر كذا عام كذا، قام ملك تشين بالمقابلة الودية مع ملك تشاو، وأمره بالعزف على العود.

فتقدم شيانغ رو قائلا:

– سمع ملك تشاو أن ملك تشين يجيد موسيقى بلاده، فليقدم أحدكم برطمانا لجلالة الملك كي يعزف عليه قليلا ليتسلى جميع الحاضرين.

غضب ملك تشين ورفض الطلب.

فأخذ شيانغ رو برطمانا، وركع على الأرض مقدما اياه الى الملك.

غير أن ملك تشين مصر على الرفض.

فقال شيانغ رو:

– ان المسافة بيني وبين الملك خمس خطوات فقط، فأسيلوا دم رقبتي لينتشر على جسد صاحب الجلالة.

وهم الحواشي بقتل شيانغ رو، ولكنه حدق فيهم بالنظرة الغاضبة، وصرخ فيهم بشدة، فتراجعوا مرتعشين.

شعر ملك تشين بالحسرة، واضطر للضرب على البرطمان ضربة واحدة.

فأملى شيانغ رو موظف التاريخ لمملكة تشاو قائلا:

– في يوم كذا من شهر كذا عام كذا، ضرب ملك تشين

على البرطمان من أجل ملك تشاو.

ثم قال كبار موظفي مملكة تشين:

- نطلب من مملكة تشاو أن تقدم خمس عشرة مدينة هدية الى ملك تشين للاحتفال بعيد ميلاده.

فقال شيانغ رو أيضا:

- ونطلب من مملكة تشين أن تقدم عاصمتها مدينة شيان يانغ هدية الى ملك تشاو للاحتفال بعيد ميلاده.

وهكذا حتى نهاية الجلسة، لم يستطع ملك تشين أن يغلب ملك تشاو. بالاضافة الى أن جيوش مملكة تشاو قد أتمت استعدادها على نطاق واسع جدا، فلم تستطع مملكة تشين أيضا أن تقوم بأى حركة طائشة. وبعد انتهاء اللقاء والعودة الى الوطن، رقى شيانغ رو الى رتبة وزير لما سجله من المآثر، فأصبح منصبه أعلى من منصب ليان بوه.

فقال الجنرال:

- انني قائد جيش مملكة تشاو، وسجلت مآثر عظيمة في المعارك وفي قهر المدن. أما شيانغ رو فلا يملك إلا لسانا ماهرا، ومع ذلك فقد رقى لمنصب أعلى مني. وقد كان في الأصل مجرد شخص حقير، لذا، فأشعر حقا بالعار، ولا أتحمل مكانا أدنى منه.

ثم توعد قائلا:

- اذا صادفته، فلا بد من إهانته.

وعندما سمع شيانغ رو هذا الكلام، تجنب لقاءه. كما كان يتحجج دائما بالمرض للاعتذار عن حضور مجلس الديوان الملكي

راغبا في تجنب مجالسة ليان بوه حسب ترتيب الوظيفة.

ذات مرة، خرج شيانغ رو، ورأى ليان بوه من بعيد، فأمر عربته بتغيير الاتجاه لتجنب المواجهة. فنصحه أتباعه:

– لقد تركنا أهلنا وذوينا وجئنا لنساعدك، وذلك لاحترامنا لك وتقديرنا لنبالتك والآن بعد أن أصبحت في نفس مركز ليان بوه، وبعد أن يتفوه هو ببذيء الكلام عنك لم تلجأ إلا الى التجنب والاختباء بسبب خوف شديد، ان هذا لموقف يشعر عامة الناس بالخجل والخزى نحوه، فما بالك وأنت الوزير؟ اننا في أشد الأسف لهذا الحال، فاسمحوا لنا أن نقدم الاستقالة.

منعهم شيانغ رو بحزم وقال:

– ما رأيكم في الجنرال ليان بالمقارنة مع ملك تشين؟

أجابوا:

– لا يساويه خطورة.

فقال شيانغ رو:

– ان ملك تشين بخطورته وهيبته، قد تلقى مني استنكارا في بلاطه، كما تلقى موظفوه الكبار مني إهانة واحتقارا، انني رغم ضعف قدرتي، فهل يعقل أن أخاف الجنرال ليان فقط؟ انني أعلم علم اليقين أن مملكة تشين القوية تعمل حسابها لتعاوننا أنا وليان بوه في شؤون المملكة فلا تجرؤ على إرسال جيشها الينا، واذا تقاتل النمران فلا بد من لقاء أحدهما مصرعه. انني أتصرف هذه التصرفات انما لأضع مصلحة البلاد في اعتبار قبل أى اعتبارات شخصية.

عندما سمع ليان بوه ذلك الكلام، قام بتعرية كتفيه، وحمل على ظهره شوكا، وجاء الى بيت شيانغ رو بمرافقة أتباعه ليطلب القصاص منه. وقال:

- انني رجل حقير حقا، لذا لم أدرك نبالة الوزير.

فاعترى النفوس فرح ومرح، وأصبحا صديقين حميمين.

تعريف الكاتب:

سى ما تشيان (١٣٥ أو ١٤٥ ق م - ؟) من أهل مدينة هان من مقاطعة شان شي. وهو ابن لمؤرخ رسمى كان مسؤولا عن تحرير الكتب التاريخية للدولة. وقد ورث منصب والده، ثم تنحى عنه بسبب سوء التفاهم مع الامبراطور، فعكف على تأليف "في التاريخ" وهو كتاب شامل عن تاريخ الصين استغرق اتمامه عشر سنوات. وكان سى ما تشيان قد استوعب منذ شبابه معارف نظرية وعملية واسعة، اذ أتيح له أن يتجول في أنحاء الصين، فزار السور العظيم ومناطق الأقليات القومية المختلفة، كما انه قد استفاد كثيرا من منصبه لدراسة الكتب المودعة في خزانة الامبراطور.

ويضم كتابه "في التاريخ" مائة وثلاثين مقالة من ٥٠٠ ألف مفردة، شملت من التاريخ حوالى ثلاثة آلاف سنة ابتداء من عهد زعيم القبائل هوانغ دى حتى الامبراطور هان وو دى.

كما يضم الكتاب ٧٠ مقالة كرست للتراجم التي شملت مشاهير الأطباء والعلماء والتجار والكهان، وتناولت أيضا بعض الشخصيات الاجتماعية ويعتبر أدبا مثاليا لتراجم الشخصيات، يعكس بلغة بسيطة وحيوية الأحوال الاجتماعية التاريخية المعقدة.

الطاووس يطير إلى الجنوب الشرقى

مأخوذ من: "الديوان الموسيقى فى عهد أسرة هان"
ترجمة: أمال كمال عبد العزيز

الى الجنوب الشرقى كان الطاووس يطير
وكلما قطع مسافة يلتفت إلى الخلف وينتظر

قالت الزوجة: كنت في الثالثة عشرة من عمرى
عرفت نسج الأقمشة الحريرية البيضاء اللون

ولما بلغت الرابعة عشرة من عمرى
تعلمت تفصيل الملابس

وفي ربيعى الخامس عشر بدأت العزف على الآلة الموسيقية
وفي السنة التالية أتقنت قراءة المقالات والقصائد

أصبحت زوجتك وأنا في السابعة عشرة
وكان قلبي دائما حزينا لا يبتهج

تعمل موظفا صغيرا في الحكومة

ملتزما بالعمل بكل أمانة وإخلاص

وأنا أنسج يوميا بعد صياح الديك
وأستمر في العمل حتى الليل بلا استراحة

أنتهى من نسج خمس قطع من القماش في ثلاثة أيام
ولكن حماتي ما زالت تتذمر لتباطئي

لست أنا التي أنسج ببطء
بل يصعب على كزوجتك أن أرضى حماتي

إننى لم أعد أتحمل أوامرها
ولم تعد لبقائي معك أية فائدة

فيمكنك أن تخبر حماتي في الحال
وترسلني إلى بيتي بسرعة...

عندما سمع الموظف الشاب هذا الكلام
دخل قاعة الجلوس ليقول لوالدته:

إننى ابن منحوس لم يشرق لى المستقبل
لكن من حسن حظي تزوجت هذه الفتاة الفاضلة

بعد الزواج أصبحنا زوجين متحابين
وسنكون شريكين في الحياة حتى الموت

لم تمض على معاشرتها إلا سنتان ثلاث
وأيام السعادة ما زالت في بدايتها

سلوك الفتاة ليس به ما يلام
فلماذا أنت غير عطوفة عليها؟

أجابت الوالدة ابنها الموظف قائلة:
ما أشدك جمودا يا ابني وما أكثرك عنادا

هذه الفتاة غير مهذبة لا تلتزم بالأدب
تتصرف بكل حرية وبمشيئتها

منذ وقت طويل وأنا أمتلئ غيظا عليها
فكيف يمكنك أن تقرر الأمر بنفسك؟

هناك جار في الجهة الشرقية له ابنة
وهى فتاة فاضلة اسمها تشين لو فو

رشيقة جميلة لا مثيل لها
وأنا سأذهب لأخطبها لك

أما زوجتك فأسرع في إبعادها عنا
أرسلها إلى بيتها ولا تحافظ عليها...

ركع الابن الشاب على الأرض
يتوسل إلى والدته بكل احترام ويقول:

لو رحلت زوجتى هذه اليوم
لن أتزوج مرة أخرى طول عمرى...

غضبت الوالدة بعد سماع هذا الكلام
وضربت المقعد بيدها وهى تقول:

يا ابني العاصى كيف لا تخشى شيئا
وكيف تجرؤ على هذا الكلام من أجل زوجتك

لم تعد تربط بينى وبينها أية مودة
فلن أسمح أن تستمر حياتك معها أبدا...

سكت الموظف الشاب ولم يلفظ ببنت الشفة

انحنى لوالدته ثانية ورجع إلى غرفته

يود أن يتحدث مع زوجته
لكن يصعب عليه الكلام من فرط حزنه:

إنني لا أود أن ترحلى يا فتاتى
ولكن لا بد من ذلك إذ أجبرتني والدتى

ارجعى إلى منزلك مؤقتا
وأنا فى هذه الأيام سأذهب الى مقر عملى

بعد فترة وجيزة سأعود إلى البيت
وبعد عودتى سأذهب إليك وآخذك إلى بيتى

تذكرى تلك الكلمات وابتلعى الإهانة
ولا تخالفى كلماتى ومشاعرى الفياضة...

أجابت الزوجة الشابة زوجها فقالت:
لا داعى لإعادة المشاكل القديمة

لقد تزوجتك في بداية الربيع الجميل
وغادرت عائلتى فحضرت إلى دارك

خدمت حماتى ووفيت كل طلباتها
ولم أجرؤ أن أقرر أى شيء بنفسى

أجتهد في العمل المنزلى ليلا نهارا
وأنا وحدى أتعب وأتعذب

كنت أظن أننى لم أقترف أى خطأ
وقد عملت بكل إخلاص في رعاية حماتى

ومع ذلك إننى مطرودة في نهاية الأمر
فكيف تقول إنك ستأخذنى إلى بيتك ثانية؟

لدى قميص من الحرير ذو أكمام قصيرة
ملون بألوان زاهية جميلة

ولدى ناموسية حريرية حمراء ذات طبقتين
تتعلق بجوانبها الأربعة أكيسة العطر الفواح

كما أمتلك حوالى سبعين صندوقا للحلية
مربوطا بالحبل الأخضر والأزرق ومحتوياته غنية

لكنها لم تعد ثمينة بعد أن أصبحت صاحبتها حقيرة
فربما لا تستحق أن تهديها إلى عروسك الجديدة

أتركها لك فقط لتبقى عندك كالذكرى
إذ انه لا فرصة لنا للقاء بعد اليوم

دعنا منذ الآن أن يواسى بعضنا البعض في القلب
ولا ننسى بعضنا إلى أبد الآبدين...

صاح الديك صياحا مبشرا ببزوغ النور
فقامت الزوجة الشابة وتتزين بدقة

ارتدت ملابسها الجميلة المزركشة بالورود
وأعادت عملية التزيين مرة بعد مرة

لبست حذاء مصنوعا من الحرير
ووضعت فى رأسها زينة براقة

ممشوقة القوام لينة الخصر كالحرير
على أذنيها زينة من القرط اللامع

أناملها العشر رقيقة غضة

وشفتاها جميلتان مثل الياقوت الأحمر

عندما مشت كانت خطواتها رشيقة
وعندما امتثلت كانت لا تضافيها أية فتاة

دخلت قاعة الجلوس لتودع حماتها
فتركتها الحماة تغادر من غير استبقاء

قالت الفتاة: إننى كنت صغيرة
كنت أعيش فى الريف

فمن البديهى أنه كان ينقصنى التثقيف
وأنا غير جديرة بالزواج من ابنك الكريم

أهديتنى كثيرا من الهدايا
ولكنك لست راضية بخدماتى

اليوم سأغادرك وأرجع إلى بيتى
وأنا فى بيتى سأكون مشتاقة اليك...

ثم ذهبت الفتاة لتودع أخت زوجها
وانهمرت دموعها مثل الخرز تتساقط وتقول:

وقتما جئت كعروس إلى بيتك
أنت يا أختى ما زلت صغيرة لست فى طولى

أرجو منك أن تتولى رعاية حماتى
وتعتنى بها بكل اهتمام وعناية

ولا تنسينى فى الأعياد التقليدية
عندما تتسلين مع صديقاتك...

ثم تركت الفتاة منزل زوجها وركبت العربة
ومن فرط حزنها انهمرت الدموع على خديها

امتطى الزوج الشاب حصانه وسار الى الأمام
وركبت الزوجة عربتها وسارت وراءه

لا يسمع على طول الطريق إلا صوت العجلة
ثم توقف الاثنان فى مفترق الطريق

نزل الزوج من على الحصان ودخل العربة
وانحنى برأسه وهمس للفتاة

قال: إننى والله لا أريد فراقك
ارجعى مؤقتا وأنا سألتزم بعمل الحكومة

وسأرجع قريبا من عملى خلال أيام
أقسم بالسماء إننى لن أتركك...

أجابت الزوجة الشابة زوجها الموظف:
إننى لشاكرة لحبك وإخلاصك

إذا رغبت فى قبولى وإعادتى
فسأنتظر مجيئتك فى الأيام القريبة

من الضرورى أن تكون كصخر في الجبل
وأنا مثل عشبة في البركة

عشبة البركة لينة وقوية كالحرير
وصخر الجبل متين ثابت لا يتغير

عندى أخ شقيق كبير
مزاجه حاد كالرعد

من المحتمل ألا يتركنى وشأنى

وسأعيش في تعاسة وكآبة...

قالت ذلك ولوحت يدها مودعة
وكانت مشاعرهما واحدة لا يودان أن يفترقا

لما رجعت الفتاة ودخلت قاعة منزلها
كانت شاعرة بالخجل ومتحيرة في حركتها

ضربت الوالدة كفيها بدهشة وقالت:
عمرى ما خطر ببالى أنك ترجعين نفسك

علمتك نسج الحرير وأنت في الثالثة عشرة
وفي الرابعة عشرة تمكنت من تفصيل الملابس

عرفت العزف على الآلة الموسيقية فى الخامسة عشرة
وفى السادسة عشرة ألممت بجميع الآداب

وقد زوجتك وأنت في السابعة عشرة
كنت أود أن يكون سلوكك جيدا مرضيا

إذا كنت لم ترتكبى أى خطأ
فكيف رجعت نفسك من غير استدعائنا ؟

قالت الفتاة بخجل لوالدتها:
إننى فعلا لم أقترف أى ذنب...

عندما سمعت الوالدة هذا الكلام
شعرت بطعنة فى قلبها وحزنت كثيرا

بعد أن مكثت عشرة أيام لدى والدتها
أرسل مدير المحافظة إليهم خاطبة

قالت إن الابن الثالث لمدير المحافظة
ذو هيئة وسيمة وطلعة بهية

يبلغ من العمر حوالى ثمانى عشرة سنة
وهو بليغ الحديث واسع الثقافة...

سمعت الوالدة فنصحت ابنتها قائلة:
يمكنك أن توافقى على هذا الزواج...

انهمرت دموع الفتاة وقالت:
كان زوجى ودعنى عند عودتى

أوصاني مرارا ألا نفترق
ومن أجل ذلك حلفنا اليمين

وإذا غدرت به اليوم وبحبنا
أخشى ألا يكون الأمر صائبا مباركا

يمكنك أن تعتذري لهذه الخاطبة
ويمكننا أن نتشاور في الأمر فيما بعد...

فقالت الوالدة للخاطبة: إننا أسرة صغيرة
وابنتي لم ترجع إلا قبل فترة وجيزة

وكانت غير جديرة بالموظف الصغير
فكيف يمكن أن يرضى بها ابن مدير المحافظة؟

يمكنك أن تبحثي كثيرا لتجدي غيرها من العرائس
ونحن من الصعب أن نوافق على هذا الزواج

لم تغب الخاطبة إلا أياما قليلة
أرسل حاكم الاقليم أحد معاونيه ليخطب الفتاة

قال: إننا سمعنا أن الفتاة جميلة

من أسرة ذات حسب ونسب لا غبار عليها

ولحاكم الاقليم ابن خامس
وسيم ولم يعقد بعد على العروس

أرسلني الحاكم
لأخطبها له...

قالت الوالدة شاكرة للخاطب:
ابنتي على حليفها فلا أستطيع إجبارها...

عندما سمع الأخ هذا الخبر
شعر بالضيق الشديد والاستياء

تقدم لأخته الصغيرة قائلا:
كيف لا تفكرين في الأمر مليا وبكل دقة؟

لقد كان زوجك السابق موظفا صغيرا
والآن ستتزوجين من ابن الحاكم

الفرق بينهما كالفرق بين الثرى والثريا
وسيكفلك هذا الزواج بحياة كريمة

وإذا رفضت الزواج من هذا الشاب النبيل
فماذا ترغبين أن تفعلى في المستقبل؟

رفعت الفتاة رأسها وهى تقول:
الحق معك يا أخى وكلامك صحيح

لقد رجعت في منتصف طريق حياتى إلى عائلتى
بعد أن غادرتها لأذهب إلى بيت زوجى

إننى جديرة بأى عقاب منك يا أخى
وأين لى حرية فى تصرفاتى؟

رغم اننا حلفنا اليمين أنا وزوجى
لكن ليس هناك أى أمل للقاء الثانى

إننى سأوافق فورا على رأيك
ويمكن أن يتم هذا الزواج...

فذهب الخاطب بكل سرور
ورجع إلى حاكم الاقليم ليخبره قائلا:

طبقا لأوامركم ذهبت لأخطب تلك الفتاة
وقد وافقوا بكل سعادة على هذا الطلب...

فسر الحاكم عندما سمع ذلك
وفتح التقويم ليبحث عن يوم أبيض

قال: إن اليوم الثلاثين من هذا الشهر
يوم أبيض ومبارك للغاية

واليوم يوم سابع وعشرون
فاستعدوا بسرعة لعقد الزواج...

فانشغل الكثيرون بهذا الأمر
واستعد عليه رسم طاووسين

ووضعت أعلام ملونة في الأركان الأربعة
ترفرف كلما هبت الرياح

وتم تجهيز عربة مرصعة بالذهب واليشم
يجرها حصان أصيل ذو سرج فاخر

كما تم تحضير ثلاثة ملايين من الدنانير

يربطها حبل من الحرير الأخضر

هناك أيضا ثلاثمائة لفة من الحرير الملون
وكل ما يوجد في الأسواق المختلفة من الأطعمة اللذيذة

وكان هناك حوالى أربعمائة من الحشم والخدم
تجمعوا جميعا أمام قصر حاكم الاقليم...

جاءت الوالدة لتخبر ابنتها:
لقد وصلت إلينا رسالة من الحاكم قبل قليل

سوف يأتون غدا ليصطحبوك إلى حفل الزواج
أفلا تقومين بإعداد ملابس العروس كى يتم الزواج...

تطرقت الفتاة ووضعت المنديل على فمها
أخذت تبكى صامتة والدموع تهطل كالمطر

وضعت مقعدها المزخرف باللآلئ أمام النافذة
وفى يدها اليسرى مسطرة ومقص وفى يمناها حرير

أكملت حياكة الفستان المطرز فى الصباح
وفى المساء جهزت حلة حريرية

وانحدرت الشمس وحل الظلام تدريجيا
تمزق قلب الفتاة حزنا وخرجت حيث تبكى

سمع الموظف الشاب هذا الخبر
طلب اجازة وذهب إلى بيت زوجته

عندما اقترب هو وحصانه من بيت الفتاة
صهل الحصان بصوت حزين

تعرفت الفتاة على صهيل الحصان
فشدت حذاءها وهرولت لاستقباله

وأرسلت نظرها الى بعيد بكل أسى
فعرفت أن زوجها الحبيب قد أقبل عليها

رفعت يدها تربت على سرج الحصان
قالت تسبق كلامها تنهدات حزينة:

بعدما افترقنا ذلك اليوم
لقد حدثت أشياء لم نتوقعها

الأمور حقا تخالف رغبتنا
ومن الصعب أن تدرك تفاصيلها

لا يزال والدى على قيد الحياة
بل أخى هو الذى يضغط على كثيرا

لقد أجبرنى على أن أخطب لعائلة أخرى
فما الفائدة أن ترجع إلى الآن؟

قال الموظف لزوجته الشابة:
أبارك زواجك من ذوى الحسب والنسب

فصخر الجبل ما زال مستقيما وثابتا
وسيبقى هكذا لا يتغير بمرور الزمن

أما عشبة البركة مهما كانت قوية مؤقتا
ولكنها تتكسر بين ليلة وضحاها

لا شك أن مكانك سيعلو يوما بعد يوم
ومكانى سيكون فى عالم الوفاة...

فقالت الفتاة بحسرة لزوجها:

لماذا كل هذا الكلام المؤلم؟

كلانا أجبرت عليه الظروف القاسية
وهذه الظروف بالذات وحدتنا

سنتقابل بعد الموت فى الآخرة
ولا يخالف أحد قسمنا اليوم...

ثم تصافحا وسار كل فى طريقه
ورجع كل منهما إلى بيته

لقد قاما بالتوديع الأبدى
ولا كلمة يمكن أن تصف حزنهما

قرر كلاهما أن يترك هذه الحياة
ولا يريد أن يواصل حياته

عندما رجع الموظف الشاب إلى داره
دخل القاعة وانحنى لوالدته

قال: هبت الرياح الشديدة الباردة اليوم
كسرت غصون الأشجار واختطفت أوراقها

الورود يوافيها الصقيع وحياتى توافيها المنية
وسأترك والدتى في العالم وحيدة

لقد استعددت للرحيل عن هذه الحياة
فلم أعد أتذمر من نصيبى التعيس

أتمنى لك عمرا مديدا كعمر الجبال
وصحة وعافية طول الحياة...

سمعت الوالدة كلام ابنها
انهمرت الدموع كالفيضان على وجهها

قالت: إنك من أسرة شريفة نبيلة
وتعمل الآن موظفا فى الحكومة

فيجب ألا تموت من أجل فتاة
وهى حقيرة لا تكن لك عواطف عميقة

هناك فتاة نبيلة في بيت جارنا الشرقى
جميلة منقطعة المثيل فى هذه المدينة

سأذهب أنا لكى أخطبها لك
وستصلنا أخبار سارة فى خلال يومين...

انحنى الشاب لوالدته ثانية وانسحب
وتنهد طويلا فى غرفته الخالية

التفت إلى أركانها وقرر الانتحار
وتتأجج في قلبه نيران الحزن

ارتفع صوت خوار البقر وصهيل الحصان
ودخلت العروس سرادق الزواج

ولما مالت الشمس إلى المغيب
وحل الظلام وسكتت الأحياء

قالت الفتاة لنفسها: سوف أنهى اليوم حياتى
سوف تذهب روحى إلى السماء مع بقاء جثتى...

ثم أخذت بطرف ثوبها وخلعت حذاءها
وألقت نفسها فى البحيرة الصافية

ولما سمع الموظف الشاب هذا الخبر

عرف أنه قد حان وقت الفراق الأبدى

فذهب إلى شجرة فى فناء داره
وعلق نفسه فى غصن متجه إلى الجنوب الشرقى

طلبت الأسرتان دفنهما فى مقبرة واحدة
وكانت المقبرة فى سفح جبل خوا

زرعت أشجار الصنوبر فى جهتيها الشرقية والغربية
وغرست أشجار البارسول فى ناحيتيها اليمينية واليسارية

وغصونها امتدت فغطت على المقبرة
وأوراقها ازدهرت فتشابكت مع بعضها

ثم طار من بينها طائران
يقال ان اسم هذه الطيرة ماندرين

يغردان للبعض تغريدا جميلا
ولا ينقطع تغريدهما حتى فى هزيع الليل

يتوقف المارة ليستمعوا إليهما
وتخفق قلوب الأرامل لمنظرهما

اذكروا يا أيها الأجيال القادمة
ولا تنسوا هذه الحكاية الكئيبة...

توت الحقل
– أنشودة في حب لو فو

مأخوذ من: "الديوان الموسيقى لأسرة هان"
ترجمة: عنايات عبد الحميد

أشرقت الشمس من الجنوب الشرقى
وعلى مبنى سطعت أنوارها
فى المبنى فتاة حسناء
من آل تشين و لو فو اسمها
تجمع أوراق التوت من جنوب المدينة
وتربية ديدان القز هوايتها
تزين السلة بشريط حريرى
وتمسك بغصن القرفة كيد لسلتها
شعرها مثل ذيل الحصان
والجواهر تتلألأ في أذنيها
ترتدى تنورة بلون المشمش
وبنفسجية اللون كانت سترتها
يراها العجائز فيتحسسون شواربهم
والشباب يرفعون قبعاتهم لتحيتها
المزارعون ينسون محاريثهم

والفلاحون يتركون الفؤوس من أجلها
يلوم كل منهم الآخر على تأخير العمل
لبقائهم ناظرين إلى جمالها

جاء أمير من الجنوب وفي موكب
تقوده خمسة جياد بلا مثيل
بعث موظفا ليوجهها سؤالا:
"من أنت يا فتاة ومن أى آل؟"
"انى فتاة من آل تشين
اسمى لو فو وأنا بنت الحلال"
"فيا ترى أيتها الفتاة الحسناء
كم ربيعا من عمرك الجميل"
"لقد زاد عمرى عن خمس عشرة سنة
ولكن العشرين ما زلت لم أكتمل"
"يسألك الأمير لتشاركيه في الحياة
فهل توافقين يا بنت الحلال؟"
تقدمت لو فو لتجيب قائلة:
"ما أغبى الأمير وما هذا الجهل
إنه متزوج وله امرأة
وأنا متزوجة ولى بعل

فى الشرق موكب كبير من الجياد

وزوجى في مقدمة جميع الفرسان
كيف يمكنك أن تميزه من بينهم؟
إنه يمتطي جوادا أبيض اللون
أتباعه كلهم على جياد سوداء
لا تتجاوز أعمارها أكثر من سنتين
على رأس جواده مقود ذهبى
وذيله بحرير أخضر يتزين
يتدلى في وسط زوجى سيف جميل
قيمته تقدر بالملايين
توظف في الحكومة لما بلغ عمره خمس عشرة سنة
وأصبح موظفا كبيرا في ربيعه العشرين
انتهى إلى جانب الملك وعمره ثلاثون سنة
وتولى حكم المدينة في عمره الأربعين
بشرته بيضاء ولحيته خفيفة
ومشيته مشية الحاكم الرزين
بين يديه آلاف من المجالسين
أجمعوا على أنه فذ مبين

الأدب في عهود أسرتي وى وجين
والأسر الشمالية والجنوبية
(٢٢٠ - ٥٨٩م)

نبذة عن الأدب فى أسرتى وى وجين
والأسر الشمالية والجنوبية

بقلم: لى يان خو
ترجمة: ناصر عبد العال عبد الفتاح

فى أواخر عهد أسرة هان الشرقية، ظهرت في الصين ثلاث قوى عسكرية متبارزة تحت قيادة كل من تساو تساو، وصون جوان، وليو بى. وبعد وفاة تساو تساو، قام ابنه تساو بى باقصاء امبراطور مملكة هان الشرقية، وقلد نفسه منصب الامبراطور سنة ٢٢٠م، وأسس بذلك مملكة وى. ثم أسس القائد صون جوان مملكة وو، كما أسس القائد ليو بى مملكة شو. فأصبح ذلك العهد عهد "الممالك الثلاث".

ثم بعد ذلك قضت مملكة وى على مملكة شو، واستولى القائد سى ما يان على عرش مملكة وى فغيرها إلى مملكة جين. ثم قضت مملكة جين على مملكة وو، حيث توحدت الصين مرة أخرى في أسرة جين.

ومع مرور الزمن، دبت الاضطرابات في مملكة جين حتى انهارت، ثم أقام سى ما روى سليل الأسرة الامبراطورية مملكة جديدة اتخذت من مدينة جيان يه (نانكين اليوم) عاصمة لها، وظل يطلق عليها مملكة جين. وهكذا أطلق المؤرخون اسم "جين

الغربية" على مملكة جين القديمة، واسم "جين الشرقية" على مملكة جين الجديدة.

وفي أواخر عهد مملكة جين الغربية، قد قام عدد من الممالك الصغيرة الأخرى في شمال الصين، كما قامت أربع ممالك أخرى في الجنوب إثر انهيار مملكة جين الشرقية، هكذا. تشكلت في شمال الصين وجنوبها قوتان متجابهتان معروفتان في كتب التاريخ بـ "الأسر الشمالية والجنوبية".

كان الشعر هو أهم الأشكال الأدبية في هذه الفترة، وكان تساو تساو وولداه تساو بى وتساو تشى هم من أبرز الشعراء في عهد "الممالك الثلاث"، وكانوا مشهورين بـ "الثلاثة تساو" في تاريخ الأدب الصيني. وكان الأب تساو تساو أكثرهم انجازا للشعر. وفي هذه الفترة، ظهر حولهم أيضا مجموعة من الشعراء. وكان البحر الخماسي هو أهم بحور الشعر انتشارا في هذه الفترة، مع أن الابن تساو بى قد بدأ في نظم الشعر بالبحر السباعي أيضا.

وفي عهد أسرة جين الغربية، كان من أشهر الشعراء يوان جى وتزو سى.

أما في عهد أسرة جين الشرقية، فظهر واحد من أعظم شعراء الصين، وهو الشاعر تاو يوان مينغ. كانت معظم أعماله الشعرية منظمة في وصف الريف والحياة الريفية بين الحقول والبساتين والمناظر الخلابة، حتى أطلق عليه "شاعر الريف". وبذلك أسس الشاعر مدرسة شعرية جديدة وهى "مدرسة الشعر الريفي"، وكان لها عظيم الأثر في أعمال الشعراء التابعين له.

وفي عصر "الأسر الشمالية والجنوبية" برز الشاعران شيه لينغ يون وشيه تياو اللذان اشتهرا بوصف مناظر الجبال والأنهار في أشعارهما، كما ظهر باو زاو الشاعر المشهور بوصف الحياة الجندية وطبيعة جبهة الحرب على الحدود ومعاناة الشعب. وتلمع في هذه الفترة أيضا نوع من "الأناشيد الشعبية"، كان أشهرها "أنشودة الفتاة مو لان" التي تروى قصة فتاة تنكرت في زى الرجال حتى استطاعت المشاركة في أعمال الحرب نيابة عن والدها.

وظهر في هذه الفترة أيضا الشكل البدائي للقصة، كالقصص الأسطورية والقصص عن السير الشخصية. أما أهم المؤلفات في الدراسات الأدبية فهو "في النقد الأدبي" لتساو بى و"في الشعر" لتشونغ رونغ. وكان "في النقد الأدبي" أكثر المؤلفات أثرا في عالم النقد الأدبي في الصين القديمة.

وقد قام لى داو يوان في عصر الأسر الشمالية بتفسير "كتاب الجغرافيا" الشهير في قديم الزمان، لم يكن لمؤلفه "تفسير الجغرافيا" قيمة علمية كبيرة فحسب، بل له قيمة أدبية عالية أيضا.

إلى جبل جى شى

بقلم: تساو تساو
ترجمة: منى فؤاد

أتجه شرقا إلى جبل جى شى
لأستمتع بالبحر الواسع اللانهائى

فما أعظم الأمواج المتلاطمة
ترتفع من بينها جزيرة جبلية

عليها أشجار كثيفة رائعة
وأعشاب مزدهرة متنوعة

ورياح الخريف تعزف أزيزها
وأمواج البحر يتمدد كيانها

كأن الشمس والقمر من بينها يطلعان
وتتسامى منها النجوم اللمعان

يا بركة السماء ما أجلها
لأقرض الشعر تمجيدا لها

تعريف الكاتب:

تساو تساو (١٥٥ - ٢٢٠م) من أهـل بلدة هاو بمقاطعـة آن هوى، مشهور في السياسـة والشؤون العسكريـة والأدب. لقد نفذ بعـض السياسات المتقدمة، فوحد شمال الصين، وأصبح ملكا لمملكة وى بعد أن كان جنرالا ثم وزيرا. ان شعره يتمتع بالواقعية وروح الكفاح والعواطف العميقة.

منبع أزهار الخوخ

بقلم: تاو يوان مينغ

ترجمة: جان ابراهيم بدوى وسعاد سلامة أحمد

حدث أنه في عصر تاى يوان (٣٧٦ - ٣٩٦م) بمملكة جين الشرقية، كان يوجد رجل في اقليم وو لينغ يعيش على صيد الأسماك.

ذات يوم، كان ذلك الصياد يجدف بمركبه في نهر صغير متجها إلى أعلاه، فنسى مدى المسافة التي قطعها. وفجأة، رأى غابة من أشجار الخوخ، تغطى مساحة واسعة على شطى النهر، ولا يتخللها أى نوع آخر من الشجر. وكانت الأعشاب على أرضها ناضرة جذابة، والأزهار فوق غصونها متساقطة كالرذاذ.

فاستغرب الصياد، وواصل سيره قاصدا إلى نهايتها.

انتهت الغابة إلى منبع النهر على سفح جبل، به غارة صغيرة كأن ضوءا ينبعث من داخلها. فترك الصياد مركبه ليدخل من هذه الغارة. وكان ممرها ضيقا لا يسع إلا لمار واحد، ثم اتسع بعد عشرات خطوة اتساعا يفتح للنظر أفقا مضيئا.

كانت الأرض هناك واسعة منبسطة، والبيوت منظمة مصفوفة، والحقول خصبة والبرك صافية، وأشجار التوت والخيزران وغيرهما من النباتات نامية مزدهرة، والطرق سهلة متشابكة، وصياح الديك

ونباح الكلب أصواتهما إلى الأسماع مترامية.

والناس هناك يذهبون ويرجعون، يزرعون ويعملون، وهـــم يلبسون، رجالا كانوا أو نساء، نفس الملابـس التـي يلبسها مـن خارج الغارة. والكبار والصغار كلهم في سعادة وهناء.

عندما رأى أحدهم هذا الصياد، دهش كثيرا، فسأله من أين جاء، فأجاب على كل ما سأل عنه. فدعاه إلى بيته، وقدم الخمر وذبح الفراخ لتكريمه.

ولما علم أهل القرية بخبر الصياد، حضروا جميعا ليستعلموا ما لديه. وقالوا له إن أجدادهم جاءوا مع أزواجهم وأقاربهـم إلـى هذا المكان المنعزل عن العالم هاربين من حرب عصر تشين، ثم لم يخرجوا منه مرة ثانية، وانقطعت العلاقات بالخارج.

وسألوه في أى عصر أنتم الآن؟ فلم يعرفوا أن العالـم قد شهد مملكة هان، فأنى لهم أن يعرفوا مملكة وى ومملكة جين؟

أخبرهم الصياد بكل ما في جعبته، فتعجبوا وتنهدوا جميعا. ثم دعاه كلهم إلى بيوتهم، وقدم إليـه الكـل ما لذ وطاب. ولما استأذنهم الصياد بعد عدة أيام، قال له أحدهم:

- لا تذكر شيئا لمن في الخارج.

ولما خرج الصياد، وجد مركبـه، ورجـع مـن حيـث جاء، ووضع علامات على طول الطريق. حتى وصل إلـى الاقليـم، فبلـغ حاكمه ما رأى وسمـع. فبعـث الحاكـم رجالا ليذهبوا معـه إلـى مذهبـــه. ولما أرادوا أن يجدوا تلـــك العلامات، تاهوا وضلوا طريقهم.

وكان السيد ليو زى جى نبيلا صاحب الفضيلة، لما سمع الأمر، أعد نفسه للذهاب إليه، ثم مرض وتوفي قبل أن ينفذ خطته. وبعد ذلك، لم يعد هناك أحد يفكر في البحث عن منبع أزهار الخوخ مرة أخرى.

الاستيطان فى القرية

بقلم: تاو يوان مينغ
ترجمة: جان ابراهيم بدوى

أزرع الفول على سفح الجبل
ينمو شحيحا ويكثر عشب الحقل

فأقوم صباحا لأزيل العشب البرى
وأرجع حاملا فأسى والنور القمرى

الدرب ضيق والعشب عليه طويل
بندى الليل ملابسى كلها تتبلل

تتبلل ولا تثير أسفى
فالأهم هو تحقيق هدفى

تعريف الكاتب:

تاو يوان مينغ (٣٦٥ أو ٣٧٢ أو ٣٧٦ الى ٤٢٧م) يسمى أيضا يوان لينغ وغير اسمه فيما بعد إلى تشيان وهو من مدينة جيو جيانغ بمقاطعة جيانغ شي. وكان يعمل حاكما صغيرا، ثم رجع للعيش في الريف بسبب عدم رضاه عن المجتمع. وقد كتب أشعارا كثيرة عن حياة الريف. وكان نثره "منبع أزهار الخوخ" مشهورا جدا في الصين.

وتوضح محتويات النص عدم رضا الكاتب عن السياسة في ذلك الوقت وأمنياته بحياة جديدة.

المضايق الثلاثة

مأخوذ من: "تفسير الجغرافيا"
بقلم: لى داو يوان
ترجمة: استر وليم بولس

تحيط الجبال ضفتان للمضايق الثلاثة، تمتدان على بعد سبعمائة ميل، لا توجد خلالها منطقة خلاء. والقمم الصخرية المتراكمة تخفى ما وراءها من السماء. فلا يمكن رؤية الشمس أو القمر إلا في منتصف النهار أو الليل.

والمياه في فصل الصيف تغمر السفوح، فتعرقل إبحار السفن باتجاه التيار أو ضده. وإذا اضطر الإبحار للأوامر العاجلة من الامبراطور، فتنطلق السفن أحيانا من مدينة باى دى صباحا وتصل الى مدينة جيانغ لين مساء، وتقطع ألفين ومائتي ميل من المسافة، ولن يكون سيرها سريعا رغم أنها قد أطلقت أشرعتها للرياح وجرت جريان الحصان.

أما فى فصلي الربيع والشتاء، فالسيول البيضاء تتدفق، والمياه الخضراء تتعمق، صافية تعكس ما على جانبيها من قمم الجبال، التي تنمو على منحدراتها أشجار الصنوبر الغريبة الأشكال، وتصب من أعلاها شلالات طائرة. فالمياه نقية والجبال شاهقة والنباتات مزدهرة تبعث للنفوس جمالا وروعة.

وإذا كان الصباح مبشرا بالصحو أو مكسوا بالصقيع، قلت المياه المنسابة فى الوديان واكفهرت الغابـة، فيسمـع صياح القرد طويلا حزينا، ويتردد صداه فـي أعماق الجبال ليتلاشـى بعد مدة طويلة. لذلك جاء في أغنية الصياديـن: "المضايـق الثلاثـة أطولها مضيق وو شيا، وصيحات القرد الثلاث ما أسرعها لإيثار الدموع".

تعريف الكاتب:

لي داو يوان (؟ – ٥٢٧م) من أهل مدينة زو تسو بمقاطعة خه بي. وقد شغل بعض وظائف حكومية متوسطة. وبعد ذلك قتل على يد رئيس المتمردين. وكان شغوفا بالعلم، يبحر بين الكتب، وقد كتب كتابه المشهور "تفسير الجغرافيا". لقد جاء هذا الكتاب تفسيرا لكتاب جغرافي صيني قديم يدعى بـ "الجغرافيا" يقال ان كاتبه شخص في عصر هان الغربية يدعى سانغ تشين. ولكن مضمون هذا الكتاب القديم قد بسط وفسر على يد الكاتب لي داو يوان في كتابه المشهور "تفسير الجغرافيا".

هذا الكتاب ليس فقط إيضاحا لأكثر من ألف ومائتي نهر صيني، ووصفا لروعة الجبال، بل أيضا جمع قصصا تاريخيا وأساطير وعادات محلية كثيرة من فترة وي ـ جين وما بعدها. وأصبح للكتاب قيمة أدبية كبيرة بعد أن كان كتابا علميا.

أنشودة الفتاة مو لان

مأخوذ من: "الأناشيد الشعبية في الأسر الشمالية"
ترجمة: أيمن السيد سعيد

صوت آلة النسج يتكتك ويتكتك
تجلس مو لان مواجهة الباب وتنسج

ثم توقفت تكتكة المكوك
لا تسمع إلا آهات الفتاة

فيما تفكرين يا فتاة وفيما تسرحين؟
قالت: لا شيء أفكر فيه ولست سرحانة

فقط لأن خاقان يريد تجنيد الجنود
ورأيت ليلة أمس قائمة الأسماء للتجنيد

هناك اثنا عشر مجلدا للتجنيد
وعلى كل منها اسم والدى موجود

ليس لوالدى ابن بكرى

وأنا فتاة ليس لى أخ كبير

أود أن أشترى الحصان من السوق
لأستبدل بوالدى وانضم الى الجيش متنكرة

اشترت مو لان الحصان الأصيل من السوق الشرقى
واشترت البردعة من السوق الغربى

واشترت اللجام من السوق الجنوبى
واشترت السوط من السوق الشمالى

ودعت الفتاة والديها صباحا
وفى المساء سكنت بجانب النهر الأصفر

لم تعد تسمع مناداة الوالدين
تسمع فقط خرير المياه المتدفقة

غادرت النهر الأصفر صباحا
وفي المساء وصلت الى الجبل الأسود

لم تعد تسمع مناداة الوالدين
تسمع فقط صهيل أحصنة العدو في الجبل

قطعت مسافات بعيدة للقيام بالمعركة
وعبرت ممرات وجبالا بسرعة هائلة

يترامى الى الأسماع صوت الناقوس فى الليالى الباردة
وينعكس ضوء القمر على دروع الجنود

استشهد من استشهد فى المعارك حتى الجنرال
ورجع من رجع بعد عشر سنين وهم الأبطال

رجعت وهى ما زالت متنكرة فى ملابس الفارس
فاستقبلها الملك في قصره الفاخر

وعدها الملك بالترقية الى المنصب العالى
ووهبها آلافا من الذهب والفضة

ثم سألها خاقان: يا فتى
ماذا تنوى أن تفعل وماذا تطلب؟

أجابت مو لان: يا جلالة خاقان
لا أريد منصبا عاليا في الحكومة المركزية

أريد أن أستعير منكم جملا سريع السير
لأرجع به إلى موطني الحبيب

سمع الوالدان خبر رجوع البنت
ذهبا إلى خارج المدينة متساندين

سمعت الأخت الكبيرة عودة أختها
دخلت غرفتها لتلبس وتتزين

وسمع أخوها الصغير أنها رجعت
سن السكين ليذبح البقر والخروف

فتحت مو لان باب غرفتها الشرقية
وجلست على سريرها في الجهة الغربية

خلعت ملابسها العسكرية
ولبست ملابسها الأصلية

جلست أمام زجاج النافذة لتسرح شعرها
ونظرت فى المرآة لتضع الزينة على جبينها

ثم خرجت من غرفتها لتقابل أصدقاءها فى الجيش

فاندهش الأصدقاء وأخذهم كلهم الذعر

قالوا : إننا شاركنا البعض فى الجيش سنين
وما كنا نعرف أن مو لان هى بنت

الأرنب عندما يمشى عادة يقفز
والأرنبة عندما تنظر لا ترى بوضوح

وإذا مشى الأرنبان جنبا الى جنب
فكيف تميز الأنثى من الذكر؟

الأدب في عهود أسرتي سوى وتانغ
والأسر الخمس
(٥٨٩ – ٩٦٠م)

نبذة عن الأدب فى عهود أسرتى سوى وتانغ والأسر الخمس

بقلم: لى يا خو
ترجمة: ناهد عبد الله

تأسست أسرة سوى الملكية في شمال الصين عام ٥٨١م، ثم قضت على آخر أسرة من الأسر الجنوبية عام ٥٨٩م، بذلك انتهى وضع التشتت والانقسام الذى أحدثه حكام الأسر الشمالية والجنوبية في الصين.

ولم تمض على حكم أسرة سوى إلا فترة قصيرة، حتى أنشأ لى يوان أسرة تانغ في عام ٦١٨م معلنا بنهاية أسرة سوى.

وفى عام ٩٠٨م، تم القضاء على آخر أباطرة أسرة تانغ، فانقسمت الصين من جديد إلى ممالك صغيرة، وتسمى هذه الفترة في تاريخ الصين عصر "الممالك العشر والأسر الخمس" أو "الأسر الخمس" باختصار.

إذ ان أسرة سوى لم تستمر إلا أربعين عاما، فلم تترك انجازات أدبية كبيرة.

أما عهد أسرة تانغ، فهو أكثر العصور ازدهارا في الأدب والفنون في الصين القديمة. وقد بلغ فن الشعر أوجه في هذا العهد. ذلك لم يتمثل فحسب في كثرة عدد الشعراء وروعة أعمالهم (كان

مؤلف "الأشعار الكاملة لأسرة تانغ" قد جمع فيه ٤٨٩٠٠ عمل شعرى لـ ٢٢٠٠ شاعر مشهور)، بل يتمثل في نضوج المهارة الفنية ووساعة الآفاق الشعرية، فلم يترك الشعر في هذا العهد مجالا من مجالات الطبيعة والعواطف والحياة إلا وصفه بدقة لا يشق لها غبار.

تنقسم تطورات الشعر في عهد أسرة تانغ إلى أربع مراحل:

المرحلة الأولى – بداية أسرة تانغ، المرحلة الثانية – ازدهار أسرة تانغ، المرحلة الثالثة – منتصف أسرة تانغ، المرحلة الرابعة – أواخر أسرة تانغ.

فى مرخلة بداية أسرة تانغ، كان الشعر ما زال يتأثر كثيرا من الأسلوب البلاطي الذى تشكل في الأسر الجنوبية والشمالية، فبذل الشعراء المشهورون في ذلك الوقت بجهود حميدة لتغيير هذا الأسلوب البلاطي المنمق، ومنهم وانغ بو، ويانغ جيونغ، ولو تشاو لين، ولو بينغ وانغ. وهم الذين يطلق عليهم "الأربعة البارزون في بداية أسرة تانغ" في تاريخ الأدب الصيني. ثم جاء من بعدهم سونغ زى ون، وتشين زى آنغ اللذان بذلا غاية جهدهما أيضا في مناهضة الأسلوب البلاطي. وكان للشاعر تشين تزى آنغ اسهامات هامة في الشعر على المستوى النظرى والتطبيقي. أما في مرحلة ازدهار أسرة تانغ، فكان الشعر في ازدهاره الكامل وتطوره الشامل. ورث الشاعران منغ هاو ران، ووانغ وى تقاليد كل من تاو يوان مينغ وشيه لينغ يون، فنظما كثيرا من القصائد لوصف المناظر الطبيعية والحياة الريفية حيث تشكل مذهب شعر الطبيعة. وكانت

أشعار كل من قاو شى، وتش تسن، ووانغ تشانغ لينغ، ووانغ تزى هوان تتركز في وصف الحياة الحربية في المناطق النائية حيث تشكل مذهب شعر الحماسة. وقد عاش كل من لى باى، ودو فو – وهما أميران من شعراء الصين – في هذه المرحلة. فكان شعر لى باى مليئا بالرومانسية، وكان مشاعر الحب والكراهية في شعره واضحة قوية، كما كان شعره خصب الخيال. أما دو فو فكان يكتب بريشة واقعية ملامح العصر الحقيقية والكوارث التي أتت بها الحروب.

وفي مرحلة منتصف أسرة تانغ، على الرغم من وجود "عشرة من النوابغ" فلم يكن لأحدهم شهرة واسعة، كما لم يكن لأعمالهم الشعرية أثر كبير. ثم ظهر بعدهم أمير الشعراء الثالث (بعد الأميرين لى باى، ودو فو) في أسرة تانغ وهو باى جيو يى. انه كان يدعو الى حركة تجديد الشعر تحت شعار "كتابة المقال من أجل المجتمع ونظم الشعر لوصف الواقع"، وقد نظم هو نفسه كثيرا من القصائد المشهورة. وظهر في هذه المرحلة أيضا بعض الشعراء المشهورين مثل يوان تشن، وهان يو، وليو تزونغ يوان، وليو يو تشى، ومنغ جياو، وجيا داو، ولى خو الخ.

أما في مرحلة أواخر أسرة تانغ، فكان هناك أيضا بعض الشعراء المشهورين مثل دو مو، ولى شانغ ين وغيرهما. ولكن الأشعار في هذه المرحلة يفتقر معظمها إلى روح العظمة والبطولة التي تتميز بها أشعار مرحلة الازدهار، وذلك نتيجة لتدهور أسرة تانغ يوما بعد يوم.

كانت هناك أيضا انجازات واضحة في مجال النثر في عهد أسرة تانغ، وكان أسلوب النثر المسجوع فارغ المعنى الناتج في الأسر الشمالية والجنوبية يظل مؤثرا في الأعمال النثرية في عهد أسرة تانغ، حتى جاء اثنان من أكبر كتاب النثر وهما هان يو، وليو تزونغ يوان، فقادا جانب معارضة النزعة الشكلية في أسلوب النثر المسجوع، وناديا بدراسة مؤلفات عهد أسرتي تشين وهان، التى تتميز بحرية الشكل وسلاسة اللغة وغنى المعنى. وكانت هذه الدعوة تسمى في تاريخ الأدب الصيني بـ "حركة النهضة بالأدب القديم". لم تقصد هذه الحركة مجرد تقليد مؤلفات القدماء، بل كانت ترمي إلى التجديد والإبداع على أساس وراثة الأدب القديم. وبفضل دعوة هذين الكاتبين وتطبيقهما الأدبي، قد شهد النثر في عهد أسرة تانغ تطورا كبيرا.

وهناك لون أدب آخر ظهر في عهد أسرة تانغ، يسمى "الأسطورة"، وهى قصص قصيرة كتبت باللغة القديمة. وقد تطور أدب "الأسطورة" في عهد أسرة تانغ على أساس ما ظهر في الأسر الشمالية والجنوبية من قصص العجائب والسير الشخصية الأسطورية.

في أواخر أسرة تانغ، بدأ نوع أدبي جديد في التطور، وهو الموشحات. ويطلق عليها أيضا "الأبيات الطويلة والقصيرة"، أو "كلمات الأغاني". فهى منظومة على الأنغام الموسيقية المتنوعة ويمكن التغني بها.

نشأت الموشحات بين أفراد الشعب في البداية، ثم أخذ بعض الشعراء ينظمون "الأبيات الطويلة والقصيرة" أيضا حسب تلك

النغمات الموسيقية، ومن ثمة أصبحت "الموشحات" نمطا جديدا من الفن الشعرى. انها تختلف عن الشعر من حيث الشكل، فأبياتها غير منتظمة، ولكنها مقفاة. وعدد كلمات كل بيت محددة على أساس نغمات الموسيقى.

وكان ون تينغ يون من أشهر كتاب الموشحات، فقد كتب أكبر عدد منها في تاريخ الأدب الصيني.

أنشودة الصعود الى قمة يو جيو تاى

بقلم: تشين تزى آنغ
ترجمة: سمية محمد مصطفى الدمهوجى

إلى الماضى أنظر فلا أرى للملوك العدول ظلا
وليس هناك أمل فى أن ألقاهم مستقبلا
أفكر مليا فى الوجود الأزلى الذى ليست له نهاية
وأنا وحدى حزين والدموع تملأ عيني

تعريف الكاتب:

تشين تزى آنغ (٦٦١ – ٧٠٢م) من أهل مدينة شى هونغ بمقاطعة سى تشوان. شاعر مشهور في أسرة تانغ. انكب على الدراسة عند شبابه، ثم توظف في الحكومة عندما كان عمره اربعا وعشرين سنة. وقد ذهب مع الجيش إلى جبهة الحرب في حدود الصين الشمالية الغربية حيث تأثر كثيرا من حياتها ومناظرها المتميزة. وقدم استقالته من الجيش في الثامنة والثلاثين من عمره، ثم رجع إلى بلده حيث توفى. إنه كان يدعو إلى تعبير المشاعر الحقيقية فى الشعر، وقدم مساهمة كبيرة فى تجديد الشعر.

الصعود الى جوسق قوان تشويه

بقلم: وانغ تزى هوان
ترجمة: آسيا أحمد يوسف

الشمس تغرب والجبال يكسوها الشفق
والنهر الأصفر يجرى وإلى البحر يتدفق
هيا اصعدوا طابقا أعلى من الجوسق
لترسلوا أنظاركم إلى أبعد الآفاق

تعريف الكاتب:

وانغ تزى هوان (٦٨٨ – ٧٤٢م) من أهل مدينة شين جيانغ بمقاطعة شان شى، وهو شاعر من مشاهير شعراء أسرة تانغ. كان عهد شبابه مولعا بالفروسية متمتعا بالشهامة، ثم عقد عزمه على القراءة. لقد تقلد بعض الوظائف الصغيرة فى الحكومة المحلية. ولم تبق من أعماله إلا قصائد يصف أكثرها مناظر الحدود والحياة العسكرية. ومن أشهر أبياته "اصعدوا طابقا أعلى من الجوسق، لترسلوا أنظاركم الى أبعد الآفاق" وهو البيت الذى يستشهد دائما للتقدم والتطلع الى العلا.

فجر الربيع

بقلم: منغ هاو ران
ترجمة: آسيا أحمد يوسف

مستغرقا في النوم لا أشعر بالفجر
وإذا بزقزقة الطيور تسمع من كل شجر
بعد ليلة تصدح فيها الريح والمطر
كم تساقطت يا ترى وريقات الزهر؟

تعريف الكاتب:

منغ هاو ران (٦٨٩ – ٧٤٠م) من أهل مدينة شانغ يانغ بمقاطعة هو بى. كان منكبا على القراءة والكتابة عهد شبابه فى بيته، ثم تجول فى شمال الصين وجنوبها بعد أن بلغ عمره أربعين عاما. لقد وصل من جولته الى مدينة تشانغ آن ومدينة لو يانغ، ولم يكن قادرا على التوظف فى الحكومة، فرجع ثانية الى موطنه ناسكا فى صومعته. لقد خرج شعره عن مواضيع سابقة متعلقة فقط بحياة القصر والبلاط، ونظم عددا كبيرا من القصائد لوصف المناظر الطبيعية والحياة الريفية. وكانت قصيدته "فجر الربيع" معروفة عند جميع الصينيين.

توديع الصديق الى غرب الصين

بقلم: وانغ وى
ترجمة: آسيا أحمد يوسف

رذاذ الصباح يبلل ثرى مدينة وى
والدار متوارية بين أشجار الصفصاف الخضراء
اشرب كأسا آخر يا صاحبى
فلن تجد وراء ممر يانغ قوان أصدقاءك القدماء

تعريف الكاتب:

عاش الشاعر وانغ وى في الفترة (٧٠١ – ٧٦١ ميلادية) ببلدة تشى بمقاطعة شان شى وكان من أبرز الشخصيات التي تتغنى بالطبيعة وكذلك الشاعر منغ هاو ران فلقبا بـ "وانغ منغ".

التحق بالجيش في الواحدة والعشرين من عمره وشغل منصبا عظيما فى البلاط الملكى.

كانت حياته مستقرة. فقد اهتم بشؤون مجتمعه في بداية حياته وكتب بعض الأشعار التي تعكس حدود الحياة وتفضح وتكشف الحكام.

تفضلوا بالخمر

بقلم: لى باى
ترجمة: أمانى محمد أبو العينين

ألم تر يا صاحبى، مياه النهر الأصفر من السماء تنساب
وإلى البحر تتدفق فلا تؤب؟

ألم تر يا صاحبى، المرآة الصافية في القصر تعكس الأسى
فكان الشعر كالحرير الأسود صباحا ثم شاب في المساء؟

افعل ما يطيب لك عندما تبتسم لك الحياة
ولا تجعل الكؤوس فارغة تواجه الضياء

فالسماء تهب لنا الموهبة لا بد لها أن تفيد
والأموال وإن تبددت لا بد لها أن تعود

لنذبح البقر ونطبخ الغنم ونكمل المتعة على المائدة
ولنجرع ثلاثمائة كأس معا فى مرة واحدة

السيد جين والأخ دان فو، اشربوا ولا تتوقفوا

سأشدو لكم لحنا جميلا، فآذانكم أرهفوا

لا تستهويني الحياة الثرية ولا الجاه الأنيق
فقط أتمنى أن أثمل دائما ولا أفيق

كان الحكماء والفضلاء فى العصور القديمة كلهم مظلومين
إنما السكارى هم الذين خلدت ذكراهم فى العالمين

فكان الأمير تساو تشى فى قصر بين لو يقيم حفلة مسلية
يشترى صاعا من الخمر بعشرة آلاف أقية فضية

وكيف للمضيف أن يظهر قلة ماله؟
فلنشرب والخادم سيشترى الخمر بما لديه

الحصان النفيس والفراء الثمين يمكن إبدالهما بالرحيق
ولننس معا أحزان الدنيا منذ العهد السحيق

التمتع بشلال لوشان

بقلم: لى باى
ترجمة: أمانى محمد أبو العينين

مع سطوع الشمس وإشراق أشعتها
تظهر فوق قمة لوشان سحب رقيقة بيضاء تسبح فى الفضاء
وترى من بعيد شلالا معلقا بلا انقطاع
يندفع نحو الأرض على مسافة ألف متر
فيخيل للناظر اليه أن نهر المجرة
يهوى من أعلى موقع فى السماء

رحيل عن مدينة باى دى في الصباح

بقلم: لى باى
ترجمة: أمانى محمد أبو العينين

فى الصباح ومع انتشار السحب فوق مرتفعات مدينة باى دى
تقطع ألف ميل في يوم لتصل الى بلدة "جيانغ لينغ"
تسمع على جانبي النهر أصوات القرود. وقبل انتهاء الصوت
تكون القوارب السريعة قد مرت بعشرات الآلاف من الجبال

تعريف الكاتب:

لى باى (٧٠١ – ٧٦٢ ميلادية) ولد بمدينة سوى يى، وانتقل مع والده وهو في السن الخامسة الى مقاطعة سي تشوان، ثم رحل عنها وهو في الخامسة والعشرين.

يعد لى باى من أعظم الشعراء فى أسرة تانغ الملكية. يمتاز لى باى بالشجاعة والبطولة، كان دائم التطلع الى المشاركة فى القضايا الكبرى، ودائم الاستخفاف بأصحاب النفوذ والجاه، بما فيهم الامبراطور والامبراطورة، فهو لا يضعهم فى دائرة اهتمامه.

كان شديد التعاطف مع آلام الشعب، مخلصا لقضايا بلاده. شارك لى باى فى النضال العسكرى لقمع فتنة "آن لو شان" و"شى سى مينغ". وتعرض للنفى الى مكان مجهول، ثم تم العفو عنه.

وتعكس قصيدته "تفضلوا بالخمر" الألم الذى عاشه لى باى مع الشعب، وتعكس أيضا أفكاره السابقة، فهو شاعر رومانسي كبير.

ينبض شعره بالعواطف الجياشة، غني بالتخيلات، خال من التكلف والصنعة، يجمع ببراعة بين روح الرومانسية وطرق الإبداع الجيدة. ان الشاعر لى باى كان ولا يزال من أعظم الشعراء الرومانسيين، فأشعاره تتابع عمل السلف وتفتح الطريق للخلف، لها تأثيرها العميق، بحيث أصبحت بعد ذلك تقليدا إبداعيا رومانسيا بعيد المدى في تاريخ الأدب الصيني.

فراق في ليلة العرس

بقلم: دو فو
ترجمة: هشام المالكى

اللبلاب ينمو مستندا على نبات آخر.
فلا يزيد طوله عن قدر معلوم.
زواج المرأة من جندى.
أتعس من أن تترك على جانب الطريق...

وهذه فتاة تزوجت جنديا..
لم يدفأ فراشهما بعد..
في المساء تزوجا، وفي الصباح افترقا..
لا مفر.. فالأمر عاجل جدا..
قالت: ستتركني وتذهب الى الحدود
ولم تتحدد هويتي بعد..
فكيف أذهب وأركع أمام حماى وحماتى؟
أثناء وجودى في بيت أهلى
لم تكن تتاح لى الفرصة للخروج من البيت
وعندما تتزوج الفتاة
تتبع زوجها كما في الدجاج والكلاب..

تذهب الآن الى أرض الموت
وتتركني تتقطع أحشائي حسرة من الفراق..
كم أتمنى أن أصطحبك
ولكن هذا الأمر قد يدعو الى الفتنة بين الجنود..
لا تزعج نفسك بالتفكير في أمرى
واعمل على الاجتهاد في عملك..
لو بقيت معك في الجيش لن ترتفع معنوياته
لقد نشأت فى أسرة فقيرة
وقضيت زمنا طويلا لتجهيز متطلبات الزواج
لن أستطيع ارتداء ملابسي الجديدة مرة أخرى
وسوف أزيل زينتى من على وجهى..
أرى مئات الطيور في السماء تطير..
متزاوجة صغيرة كانت أم كبيرة
الحياة مليئة بالمنغصات
ولكن يكفينا أن نتبادل الحنين فيما بيننا..

حلم الربيع

بقلم: دو فو
ترجمة: هشام المالكى

احتل العدو البلاد، ولم تبق منها سوى الأنهار والجبال...
وعندما حـل الربيـع، ارتفعـت الأعشاب مهملـة دون مـن يرعاها...
بكت الزهور، وارتعشت الطيور للفراق.
استعرت نيران الحرب ثلاثة أشهر.
أصبح الخطاب من الأهل يساوى آلافا من القطع الذهبية
تقدمت بنا السن... وشاب الرأس
حتى لم يعد مشبك الشعر بصالح له.

تعريف الكاتب:

نشأ دو فو (٧١٢ – ٧٧٠ ميلادية) في مدينة تشانـغ آن (شـى آن حاليا). وقد ولد في مركز جونـغ التابـع لمقاطعـة خـه نان. إلا أن أجداده ينتمون الى مدينة تشانغ آن. ويعتبر دو فو من الشعراء الواقعيين العظام فـي أسرة تانغ.

عن الفرس

بقلم: هان يو
ترجمة: سعاد سلامة

لن يكتشف من الأفراس ما هو جواد أصيل إلا اذا تواجد في العالم الخبير بو لو. والأفراس الأصيلة موجودة دائما، غير أن أمثال بو لو نادرا ما يتواجدون. والشهرة لا تسعى للفرس الأصيل إلا بعد أن يذل بين يدى الخيال الماهر، وإلا فإنه يموت مع غيره العادى بين معلفه ومربطه دون أن ينال من الناس اسم الجواد.

والفرس إذا كان جوادا أصيلا قد يعتلف في وجبة واحدة صاعا كاملا من الذرة الرفيعة، والذى يعلفه لا يعرف أن ذلك بسبب جودته وأصالته.

ومثل هذا الجواد قادر على أن يجرى ألف ميل في اليوم، ولكن إن لم يقدم له الغذاء الكافى ضعفت قوته، وامتنعت كفاءته عن الظهور، حتى يصير مثل غيره من الجياد العادية، وآنذاك كيف لنا أن نطالبه بجرى ألف ميل في اليوم؟

إنه يضرب بالكرباج ضربا لا يوافق طبيعته، ويعلف بعلف لا يسد حاجته، ويصهل صهيلا لا يفهمه صاحبه، بل يقف بجانبه والكرباج بيده قائلا:

— لا جواد في العالم من ذلك النوع...

يا للويل.. هل لا يوجد مثل هذا الجواد حقا؟ أم أن هناك جهلا شديدا في معرفة أنواع الجياد!

تعريف الكاتب:

هان يو (٧٦٨ - ٨٢٤ ميلادية) من سكان مركز منغ بمقاطعة خه نان. وهو كاتب نثرى وشاعر مشهور بعصر تانغ، وواحد من ثمانية كتاب نثريين مشهوريين بعهدى تانغ وسونغ. اجتاز اختبار التوظيف وعمره ٢٥ عاما وعمل حاكما كبيرا في العاصمة. وبعد ذلك أذله الامبراطور وجعله حاكما محليا بسبب اقتراحاته على الامبراطور بأن يخفض الضرائب ويعفى سكان الكوارث منها. وبعد اعادته الى وظيفته الأولى عاد الى العاصمة. كان يعتنق المذهب الكونفوشيوسي، ويعارض البوذية والطاوية، وقد أغضب الامبراطور بسبب اقتراحاته حول المواقف الدينية، فنقله الامبراطور الى مدينة قوانغ دونغ ليعمل حاكما بها. وبعد ذلك عاد مرة ثانية حاكما كبيرا بالعاصمة. وقام هو وليو تزونغ يوان بـ "حركة اللغة القديمة" وعارض كتابة المقالات التي تتطلب فقط الشكليات الجميلة الخالية من المعاني. وكان من رأيه العودة الى دراسة طرق كتابة المقالات ذات المحتويات الوفيرة في عهدى تشين وهان، ومن آرائه أيضا تجديد اللغة وتوحيد الفكريات والفنون، وتقييم التقاليد الأدبية السابقة، ثم تجديدها.

وتمتاز مقالاته بالأسلوب الرائع والمعنى العميق وتتميز بالوضوح والسلاسة وبالعظمة والتنوع. وكانت كتابته للشعر متميزة أيضا، وما ذكره في مقال " عن الفرس" من الجواد الذى يجرى ألف ميل في اليوم وبو لو، أصبح اليوم يضرب به المثل في الصين بأن الشخص ذا الكفاءة العالية يستطيع أن يكتشف الأشخاص ذوى الكفاءة.

صائد الأفاعي

بقلم: ليو تزونغ يوان
ترجمة: منى فتوح مصطفى

تعيش علـى أطراف مدينـة يونـغ جو أفاعـى نادرة، بطونها سوداء وظهورها مزخرفة، اذا لمست هذه الأفاعى الأعشاب تموت الأعشاب في الحال. واذا لدغت انسانا، فلا سبيل لانقاذه. ولكن اذا تجففت هذه الأفاعـى بعد صيدها فيمكـن استخدامها كعلاج لكثير من الأمراض كالبرص والصرع وتضخم الغدة الدرقية والقرحة الخبيثـة، وكذلـك يمكـن استخدامها لإزالـة العضلات الميتـة والحشرات الطفيلية في الجسم.

في البداية، حسـب قرار الامبراطور، أمر طبيـب الامبراطور بجمع هذه الأفاعى، وأعلـن أن كـل عائلـة تقدم اثنيـن مـن هذه الأفاعى كل عام تعفى من دفـع الضرائـب. ومـن ثـم ساد الهرج والمرج أهل يونغ جو.

وكانت هناك عائلة تدعى جيانغ، تخصصت فـي صيد هذا النوع من الأفاعى على مدى ثلاثة أجيال.

سألت جيانغ ذات مرة فقال:

– قتل جدى بسم الأفاعى ووالدى أيضا، ورثت عنهم هذه المهنة وأمارسها منذ اثنتي عشرة سنة وكدت أقتل لعدة مرات.

قالها متأثرا متألما.

فسألته:

– هذا عمل شاق ومؤلم، فما رأيك لو طلبت من ولي الأمر أن تترك هذه المهنة وتدفع الضرائب؟

فاضت عينا جيانغ بالدمع وقال:

– حضرتكم تتعاطف معي وتريد أن تحافظ على حياتي؟ لكن هذا العمل بالرغم من كل ما فيه من معاناة إلا أنه يظل أهون بكثير من دفع الضرائب. ولو لم أمارس هذا العمل لقضيت نحبي منذ أمد طويل. وبينما نحن (عائلة جيانغ) نمارس هذا العمل لأكثر من ستين سنة على مدى ثلاثة أجيال، يعانى الناس في القرى المجاورة ضيق الرزق يوما بعد يوم. فجباة الضرائب يأتون على كل محصول الأرض وعلى كل ما في بيوتهم من متاع، فيفر الناس هاربين فزعين صارخين هائمين بلا مأوى. ويتساقطون من الجوع والظمأ تحت وطأة الأمطار والرياح والبرد القارس. ولم يبق من نسل جيل جدى سوى واحد من عشرة، ومن نسل والدى سوى اثنين أو ثلاثة من عشرة. وأنا أقيم ها هنا منذ أكثر من اثنتي عشرة سنة، بقى من جيلي أنا ثلاثة أو أربعة من عشرة. والباقون إما فروا من المكان أو لقوا مصرعهم. ولأني أعمل في صيد الأفاعى لم أتعرض لما يتعرضون له وبقيت حيا. عندما يحضر جباة الضرائب الى القرية يسودها الهرج والمرج، فهم يقتحمون المنازل شرقا وغربا، شمالا وجنوبا. فيعلو الصراخ ويضيع الأمان حتى الكلاب والدجاج تفقد الأمان. في الوقت الذى أغادر فيه فراشى

أنظر الى الأفاعى فى جرتي، فما دامـت الأفاعـى هناك فأنا فـي أمان، وأعاود نومى فى اطمئنان. حتى يحين وقـت تقديمها الـى البلاط الامبراطورى، أعود بعد تقديمها وأتمتع بما تنتجـه أرضـي حتى نهاية عمرى. وهكذا أتعرض في السنـة للخطر مرتيـن فقـط. وباقى الأوقات أقضيها متمتعا بالراحة بينما يعانـي جيرانـي الخطر كل يوم وساعة ودقيقـة. ولو انـي مـت بسـم هذه الأقاعـى اليوم لحسدت، لأن الحياة استمرت بى فترة أطول مـن كـل جيرانـي. فكيف لى أن أعتبر هذا العمل شاقا أو مؤلما؟

كنت أتألم وأنا أسمعه، وتذكرت مقولة كونفوشيوس:

— الحياة تحت ظل حكومة ظالمة أفظع من مواجهة النمر.

ولطالما شككت في هذا القول، أما الآن وبعدما سمعته من جيانغ فلا محل للشك. والسم الذى يتجرعـه الشعـب مـن جبايـة الضرائب أفظع من سم هذه الأفاعى.

لذلك كتبت هذا المقال حتى يعلم الناس مدى معاناة الشعب في هذا الوقت.

تعريف الكاتب:

ليو تزونغ يوان (٧٣٣ - ٨١٩ ميلادية) من منطقة يونغ تشى بمقاطعة شان شى. وهو كاتب وشاعر مشهور في عصر أسرة تانغ. وهو أيضا واحد من ثمانية كتاب كبار في عصر أسرتي تانغ وسونغ. دخل ليو معترك السياسة وهو في السن الحادية والعشرين، فكان عضوا مهما في حركة الاصلاح السياسي. وبعد فشل حركة الاصلاح عوقب بالنقل الى منطقة يونغ جو بهو نان (اليوم لنغ لنغ بمقاطعة هو نان) فعمل موظفا بالحكومة البلدية. ثم نقل مرة أخرى الى منطقة ليو جو بمقاطعة قوانغ شى حيث توفي.

عكس نثر ليو كله معاناة الشعب وكشف رجعية المجتمع ونشر بالأفكار الاصلاحية. كتب ليو تزونغ يوان أيضا مجموعة من الحكايات الرائعة، انتقد فيها السياسة الفاسدة، وهو الذى أعطى الحكاية الشكل الأدبي المستقل الكامل في الصين. ومذكراته عن سياحه بين المياه والجبال، جزء من نثرياته الرائعة التي أضفت على الطبيعة حيوية نادرة، كما أظهر شعره أخلاقه الرفيعة والحبكة المتقنة وله مجموعة من القصائد الذائعة الصيت.

خواطر المغترب

بقلم: منغ جياو
ترجمة: ننيت نعيم ابراهيم

بيد الأم الحنون خيوط وثياب
تخيط لابنها قبل أن يغترب
تخيط بدقة في وقت الرحيل
خوفا من أنه يتأخر في الاياب
انها مثل أشعة الشمس الدافئة الوهوب
فكيف لقلب نبتة صغيرة أن يرد جميلها الخصيب

تعريف الكاتب:

منغ جياو (٧٥١ - ٨١٤م) كان يعيش في بلدة دى تشين بمقاطعة تزيه جيانغ وهو شاعر من أسرة تانغ. وفي شبابه اشترك في امتحانات لكي يصبح موظفا حكوميا، ولكنه لم ينجح فيها. لذلك اعتزل الناس وذهب ليعيش بمفرده في الجبال العالية. وبعد ذلك عمل موظفا في الحكومة المحلية. انه إنسان مستقيم الخلق وصريح في تعامله مع الناس. وانه لم يستطع أن يحقق أمنيته طول حياته.

ان حياته كانت شاقة مليئة بالصعاب. فكانت معظم أشعاره تعبر عن فقره الشديد وحياته الحزينة وبعض أشعاره كانت تعكس أيضا مشاكل المجتمع. كان شعره جيدا وكلماته صادقة وجادة.

ان المقطوعة الشعرية "خواطر المغترب" من احدى مقطوعاته الشعرية المشهورة جدا في الصين.

بائع الفحم العجوز

بقلم: باى جيو يى
ترجمة: منى فتوح مصطفى

عجوز... هو بائع الفحم النباتي
بعد أن صنعه في أعماق الجبل الجنوبي

مغبر الوجه بسواد الغبار
ملوث اليدين وصدغاه أدركهما المشيب

ما عساه أن يفعل بالنقود بعد بيع الفحم؟
يشترى الملابس ويأكل الطعام

البرد كل أمنيته وكان رداؤه خفيفا
من ركود بضاعته كان خائفا

أثلج الليل فيكسو الدنيا جليد
أصبح فقام ليدفع عربته في طريق متجمد

انتصف النهار لينال منه جوع وبقره تعب

فاستراح في جنوبي المدينة بين الطين والتراب

خرج من المدينة فارسان فمن هما يا ترى؟
موظف كبير والآخر صغير لا يزدرى

في أيديهما أمر من الامبراطور يعلناه
فساقا العربة صوب الشمال الى القصر يقصداه

ألف كيلو من الفحم في هذه العربة الثقيلة
وقعت في أيدى موظفي الحكومة فما الحيلة؟

قذفوا له قطعة من الحرير الأحمر رديئة
لتربط برأس البقر كقيمة البضاعة المليئة

الوداع

بقلم: باى جيو يى
ترجمة: منى فتوح مصطفى

العشب الأخضر كبساط يفترش السهول
تمر عليه الفصول بين نبوع وذبول

لن يلتهم حريق البرية كيانه البديع
تعود حياته بتداعب أنسام الربيع

يفوح منه الشذى ليعطر الدروب العتيقة
وتلمع فيه الخضرة فتصبغ المدينة العريقة

ها أنا ذا على متنه لتوديع الرفاق
تجيش مشاعرى حياله للفراق

تعريف الكاتب:

باى جيو يى (٧٧٢ – ٨٤٦ ميلادية) يرجع أصل باى جيو يى الى تاى يوان ولكن جد جده من شمال شرق مركز وى ناى بمقاطعة شان شى. ولد باى جيو يى في شن جنغ بمقاطعة خه نان. نشأ في عائلة من صغار الموظفين وفي التاسعة والعشرين من عمره اجتاز الاختبار الملكي، ثم ارتقى ثلاث درجات في غضون عشر سنوات. وسارت الأمور على ما يرام في عمله كموظف بمدينة بكين، كان يهتم بالسياسة، وتبنى سياسة الاصلاح، ثم اتهم بعد ذلك بالعيب من كبار الدولة وأصحاب السلطة. ونقل الى خارج بكين، فعمل في مدينة خان جو وسو جو وغيرهما. ويرى أن الأعمال الأدبية والفنية يجب أن تساير العصر وتعكس حياة المجتمع وتعارض الشكليات. وهذا ما دعا اليه هو وأصدقاؤه.

كتب باى جيو يى كثيرا من الشعر، كشف فيه جرائم الطبقة الحاكمة وتعاطف فيه مع الشعب البائس، وشعر باى جيو يى سهل الفهم حتى انه يقال ان السيدات المتقدمات في السن واللاتي لا يجدن حتى القراءة والكتابة يستطعن فهم أبيات شعره.

نزهة الى الجبل

بقلم: دو مو
ترجمة: عنايات عبد الحميد

رافقني الخريف الـــى الجبل		وصعدته والدرب مــائل
فوق قممه تهيــم سحـــب		يتراءى منـــها منــزل
وأشجار العنبر يلفها الشــفق		فأوقفت العربة لأتأمـــل
فاذا أوراقها الحمراء بالصقيع		مكسوة كزهور في فبراير

تعريف الكاتب:

ولد دو مو في مقاطعة شان شى عام ٨٠٣م وتوفي عام ٨٥٣م.

ودو مو من الشعراء المشهورين في عصر أسرة تانغ الملكية، ترعرع في أسرة بيروقراطية وسبق له أن عمل موظفا في العاصمة. وتمنى أن يكون له مستقبل في الحياة السياسية. ولكنه كان بسيطا في حياته ولم يحقق طموحاته وآماله. وكان ينصرف أحيانا الى حياة الملذات. ويعد شعره "قصر آفانغ" من أشهر أشعاره. وكتب الشعر التاريخي واستنكر فيه بشدة حياة المجون للامبراطور الاقطاعي. وكان يمزج في أشعاره بين سخطه على المجتمع وأسلوبه الرائع في عرض الموضوع. وتحدث في أشعاره عن المناظر الطبيعية بأسلوب جيد، ويعد شعره "نزهة الى الجبل" أحد هذه الأشعار. وبيت " فاذا أوراقها الحمراء بالصقيع مكسوة كزهور في فبراير" مشهور جدا يستعمل دائما في مناسبة مدح الأشياء وهى في أبهى صورها.

بدون عنوان

الشاعر: لي شانغ ين
ترجمة: عنايات عبد الحميد

دمعة عند اللقاء، ولوعة وقت الفراق
وسكنت نسمات الربيع وذبلت وروده المتنوعة
حرير دودة القز لن ينتهي إلا بعد فناء روحها
ودموع الشمعة لن تنفد حتى اذا ذاب جسدها
خائفة أن أصبح وفي المرآة أنظر فأرى ملامحي تتغير
وقلقة أن أمسى وأقرض الشعر فتعتريني برودة الوحدة والأحزان
لم يكن جبل بونغ بعيدا
وليزرك الطائر الأزرق عنى ودودا

تعريف الكاتب:

ولد لي شانغ ين عام ٨١٢م، وتوفي عام ٨٥٨ في مقاطعة خه نان. وهو شاعر معروف في أسرة تانغ. عمل فـي عدة وظائـف صغيرة. وكان الصراع قائما بين الحكام في الفترة الأخيرة من حياته. وكان له علاقة مـع الجانبيـن المتصارعين. ثم تخلى عنه الجانبان وطرداه، فيئس وحزن حزنا شديدا، واتجه باهتماماته الي السياسة. وكانت أشعاره تصف واقع المجتمع مباشرة، وبعضها عكس ملامح المجتمع بشكل غير مباشر. ومن أفضل أشعاره هو شعر الحب " بدون عنوان". ويتسم شعره بالعمق والأسلوب الدقيق الرائع. والبيت:

حرير دودة القز لن ينتهي إلا بعد فناء روحها

ودموع الشمعة لن تنفد حتى اذا ذاب جسدها

هي أشهر بيت فـي شعره ويستخدم الآن فـي الصيـن لوصـف مأساة الحـب والاخلاص فيه وروح التضحية. وكلمة "الحرير" تساوى كلمة "الشوق" فـي اللفظ الصيني.

أحزان منتظرة

بقلم: ون تينغ يون
ترجمة: سعاد سلامة أحمد

اغتسلت وتطيبت بالعطر
تستند وحيدة الى الشرفة المطلة على النهر
تمر أمامها ألف مركب ومركب بدون الحبيب المنتظر
غربت الشمس والأمواج يدفعها القدر
وتطفو الأحزان كطحالب في النهر

تعريف الكاتب:

ون تينغ يون (٨١٢ – ٨٧٠ ميلادية) من مركز تشي بمقاطعة شان شي. وهو كاتب موشحات وشاعر مشهور في أواخر عهد تانغ ومطلع أحد الممالك الخمسة.

قد نشأ في أسرة ارستقراطية. وكان يتردد دائما على بيوت الغانيات. وفي شيخوخته عمل ببعض الوظائف الصغيرة بالحكومة. وهو ماهر في الموسيقى. وقد عمل ابداعا فنيا كبيرا في فن كتابة الموشحات. وقدم مساهمات كثيرة، وكان له تأثير كبير على كتاب الموشحات الذين خلفوه، وهو يعتبر كاتب الموشحات العظيم الأول في تاريخ الأدب الصيني. ومعظم موشحاته عن ملامح النساء وزينتهن وحياتهن وأفكارهن ومشاعرهن، ولأنه فهم مشاعر المرأة جيدا، كانت كتاباته لبعض الموشحات دقيقة وواقعية.

متى تنفد زهور الربيع

بقلم: لى يو
ترجمة: عنايات عبد الحميد

متى تنفد زهور الربيـــــع ويخبو قمر الخريف؟
آه ! كـــــم مـــــن أحـــــداث خلت !
بالأمس هبت رياح الربيـــع على منزلي البســـيط
وتحت ضوء القمر لا أطيق أتذكر وطني في الزمن الماضى

يجب أن تبقى القصور الضخـــــمة
لكـــــن تغيـــرت ملامحــــــها
أتســــاءل مـــــا كل هذه الأحزان؟
كأنها سيول في النهـر تتدفق نحو الشرق

تعريف الكاتب:

ولد لي يو عام ٩٣٧م وتوفي عام ٩٧٨م. وهو شاعر موشحات مشهور وامبراطور تانغ الجنوبية في عصر الممالك الخمس. وأثناء فترة توليه الامبراطورية، كانت مملكته تانغ الجنوبية خاضعة لأسرة سونغ التي وحدت شمال الصين. وآنذاك لم يهتم الامبراطور بازدهار الدولة أو تدهورها، وكان يقضي أوقاته في شرب الخمر واقامة الحفلات وينهمك في الشراب والطرب. وفي عام ٩٧٥م، دمرت سونغ مملكته. وبعد استسلامه أعطته أسرة سونغ وظيفة ظاهريا، والواقع أنه سجين ومات هناك بعد ثلاث سنوات. وقد قيل ان امبراطور سونغ أرسل شخصا ليسممه. وهو لم يكن متمكنا في المجال السياسي، ولكنه كان ماهرا وبارزا في مجال الأدب والفن، وبارعا في الكتابة والرسم والموسيقى وكتابة الموشحات. وكان موضوع الموشحات التي كتبها قبل تدهور مملكته تصف الحياة الرغدة والأزهار. وبعد تدهور المملكة أصبح الامبراطور سجينا، وأصبحت الآلام والمعاناة هي الموضوع الأساسي لموشحاته. وكان البيت " أتساءل ما كل هذه الأحزان؟ كأنها سيول في النهر تتدفق نحو الشرق" مثالا مشهورا وملموسا للأحاسيس المعنوية في تاريخ الأدب الصيني.

قصة الفتاة خوه شياو يو

بقلم: جيانغ فانغ
ترجمة: سعاد سلامة أحمد

يحكى أنه في الفترة من عام ٧٦٦ إلى عام ٧٧٩ ميلادية فى عهد الملك تسون بعصر تانغ، كان يوجد طالب يدعى لى إى، وقد نجح فى اختبار الحكومة المحلية وعمره عشرون عاما. وفى العام التالى اختير وأرسل إلى وزراة الإدارة لاختبار الحكومة المركزية.

وفى شهر يونيو بالصيف، وصل لى إى إلى تشانغ آن، وسكن بشين تشانغ. وكان أفراد أسرة لى إى كلهم مثقفين وموظفين، وكان لى إى ذكيا جدا منذ صغره، فكان يكتب مقالات، وينظم أشعارا وكان يفوز فيها دائما بالمركز الأول حينذاك. وكان الجميع يحبونه ويمدحونه سواء كانوا ممن نجحوا في الامتحان قبله أو كانوا أكبر منه سنا، وكان لى إى واثقا بذكائه وكفاءته معتزا بلباقته ولياقته، فكان يفكر دائما في الحصول على فتاة متميزة ترافقه حياته، وقد اختار كثيرا من الغانيات، ولكنه لم يقابل من يرضى عنها.

كانت فى مدينة تشانغ آن خاطبة تدعى باو شى إى نيانغ، وكانت قديما جارية في منزل شيو زوج ابنة الامبراطور، وقد

عتقوها منذ أكثر مـن عشر سنوات، وأصبحـت لها علاقات مـع الناس، وتعمل خاطبة ماهرة، ولم يوفق أصحاب المال والنفوذ في هذا المجال إلا بها. فأرسل إليها لى إى أموالا كثيرة وتوسل إليها أن تخطب له، فتأثر قلبها كثيرا لحاله. وبعد عدة أشهر، بينما كان يجلس لى إى في القاعة الجنوبية بدون عمل وكانت الساعة حوالى الثالثة أو الرابعـة بعد الظهر، سمـع فجأة دقا سريعا علـى الباب. وصوت يقول لقد وصلت باو شى إى نيانغ!

وبمجرد أن سمـع لـى إى ذلـك، قام بجلبابـه إلـى الباب، ورحب بها سائلا:

– أى ريح أرسلت بك الينا اليوم؟

فضحكت باو شى إى نيانغ قائلة:

– ملك الأحلام أرسل لك حلما جميلا، عندى فتاة نزلت اليك من السماء، فهى لا تهتم بالثراء، لكنها فقط تتمنى شخصا ذا ذكاء ولباقة، فأنت حقا الذى يناسبها!

فرح لـى إى بمجرد سماعـه هذا الكلام، وفـي الحال هام بخياله، وشد على يدها شاكرا:

– إذن سأكون لها عبدا ما حييـت، ولـن يهمنـي حتـى الموت!

ثم سأل عن اسم تلك الفتاة وأين تعيش، فأخبرته باو شى إى نيانغ بكل شيء بالتفصيل من البداية الى النهاية. قالت:

– كانت تلك الفتاة فى الماضى بنت الملك خوه، وتدعى شياو يو، وكان الملك يحبها بشدة. وأمها تسمـى جيـن تشـى،

وكانت أحب زوجة الى الملك. وعندما مات الملك، رفض إخوانها الكبار إقامتها فى القصر لأنها ولدت من خادمة، وأعطوها بعض النقود، وطردوها الى خارج القصر. فغيرت اسمها إلى جين. ولم يعرف الناس أنها ابنة الملك. وهى ذكية وجميلة جدا ولم أر فى مثل جمالها فى حياتى، فلا فتاة تساويها في الروعة والهيبة. وغير ذلك، فهي تعزف الموسيقى، وتلعب الشطرنج، وتقرأ وترسم، وتنظم الشعر وتغني. وهى تقريبا ملمة بكل شيء. وقد طلبت مني بالأمس أن أبحث لها عن شخص مناسب، فأخبرتها بكل أحوالك. وكانت قد سمعت عن شهرتك من قبل، فشعرت بالرضا عنك، وهى تسكن بضاحية شن يه فانغ، ومنزلها فى مقدمة الطريق. وقد اتفقت معها على كل شيء، وغدا فى الظهر تذهب الى الضاحية وتبحث عن خادمة تدعى قوى تز. وبذلك تكون قد وصلت.

بعد أن ذهبت باو شى إى نيانغ، تزين لى إى فى الحال. وطلب من خادمه أن يذهب إلى منزل ابن عمه لى شانغ، ليستعير منه حصانا صغيرا عليه لجام ذهبي، وفى مساء ذلك اليوم غسل لى إى ملابسه واغتسل، وتزين من رأسه إلى قدمه. ولم يستقر حاله من شدة السعادة، ولم يغمض له جفن. وقبل أن يطلع النهار، لبس القبعة وأخذ ينظر في المرآة يمينا ويسارا، خائفا أن يكون غير لائق. ثم حل الظهر أخيرا فأعد الحصان بسرعة. وفى غمضة عين وصل الى المكان.

بعد أن وصل الى مكان الموعد وجد فعلا خادمة صغيرة في انتظاره، وأقبلت نحوه سائلة:

– أليس الذى حضر هو السيد لى؟
بعد أن نزل لى إى من على الحصان، طلبت منه الخادمة أن يقود الحصان إلى المربط تحت الإفريز. وبعد ذلك أغلقت الباب الكبير بسرعة ثم رأى لى إى باو شى إى نيانغ خارجة من الداخل وهى تضحك من بعيد وتقول:
– من أين جاء الينا هذا الشاب الطائش المتطفل؟
لم ينتظر حتى تنتهى من ضحكها انقاد إلى الباب الأوسط. يوجد بالفناء أربع أشجار كريز، ويعلق فى جهة الشمال الغربي قفص للببغاء. وما إن رأى الببغاء غريبا حضر حتى قال:
– لقد دخل شخص غريب اسدلوا الستائر بسرعة!
فعندما سمع فجأة الببغاء يتكلم، وقف مكانه، ولم يعد يجرؤ على التقدم للأمام.
وبعد أن تردد لحظة، نزلت باو شى إى نيانغ وهى تقود السيدة جين تشى ودعت لى إى أن يدخل ويجلس فى الحجرة.
كانت جين تشى فى الأربعين من العمر وما زالت عندها آيات جمال شبابها والكل ينجذبون اليها عندما تتحدث أو تضحك. قالت جين تشى للى إى:
– لقد سمعت أنك مثقف خفيف الروح، واليوم أراك بكل هذه الوسامة فالاسم على المسمى حقا. وأنا عندى فتاة، رغم أنها لم تتم تعليمها فى الصغر، الا أن منظرها لا بأس به، وممكن أن تكون زوجة لك. لقد سمعت عن رغبتك من باو شى إى نيانغ، واليوم تستطيع أن تتزوج فتاتى لتخدمك.

فشكرها لى إى قائلا:

– اننى شخص بليد وعادى، ولم أفكر فى أن أحظى باحترامك. فلو كنت كسبت حقا رضاك فسوف أشعر بشرف كبير حتى لو مت.

بعد ذلك طلبت جين تشى تجهيز المائدة، كما أمرت شياو يو أن تخرج من داخل الحجرة الشرقية.

فاستقبلها لى إى بالتحية، وشعر كأن بداخل الحجرة شجرتين من الأحجار الكريمة تتلألأ بهارتهما مع البعض. جلست شياو يو بجانب أمها. فقالت لها الأم:

– أنت دائما تحبين قراءة شعر هذا الأديب، وأنت كل يوم تتكلمين بينك وبين نفسك عنه، أفليس لقاء اليوم أفضل من شوق الأمس؟

فأخفضت شياو يو رأسها وتبسمت وقالت بصوت منخفض:

– الرؤية ليست مثل الشهرة، وكيف من الممكن أن لا يكون للأديب ملامحه الطيبة.

فوقف لى إى وانحنى للتحية قائلا:

– الفتاة تحب الأدب وأنا أحب الجمال، ولقد اجتمعت هنا الميزتان فى آن واحد، فأمسى حالنا كاملا متكاملا.

فتبادلت نظرات الأم والبنت معا وضحكتا. وشربوا بعض أكواب الخمر، ثم وقف لى إى وطلب شياو يو أن تغني أغنية. فلم تجرؤ فى البداية أن تغني، فطلبت منها أمها بجدية أن تغني إلى أن غنت. وكان صوتها رنانا رقيقا كما كان اللحن غاية في الجمال.

عندما انتهى الجميع من الطعام، كان قد حل المساء، وقادت باو شي إي نيانغ لي إي الى الفناء الغربي ليرتاح قليلا.

الفناء فسيح والحجرات عالية وواسعة، والناموسيات جميعها جميلة جدا، وأمرت باو شي إي نيانغ الخادمتين قوى تز ووان شا أن تخلعا حذاء لي إي وتفكا له الحزام.

بعد لحظة جاءت شياو يو وهي تتكلم بصوت بطيء ورقيق وبكل لطف ومودة، وقوامها رشيق. ثم أسدلت الناموسية، ووضعت شياو يو رأسها على الوسادة وغرق الاثنان في الحب، وعندئذ شعر لي إي أن سعادته تفوق سعادة ملائكة جبل أو ونهر لوو.

وفي منتصف الليل نظرت شياو يو الى لي إي وانهمرت دموعها قائلة:

– أنا غانية، وأعرف أنني لا أناسبك... وما يقلقني هو أنني عندما يمر بي العمر، وتتغير ملامحي، سوف تتغير عواطفك نحوي. فأنا سوف أصبح مثل شجرة اللبلاب التي لا تجد جذعا اليه تستند، ومثل المروحة في الخريف، لا أحد يحتاج اليها.

عندما سمع لي إي هذا الكلام تأثر بشدة، ومد ذراعه الى شياو يو لتضع عليها رأسها. وقال لها ببطء:

– لقد تحقق أمل حياتي، ولن أفارقك الى الأبد. فما ضرورة كلامك هذا؟ من فضلك احضري قطعة من الحرير الأبيض، وسأكتب عليها قسمي.

كفت شياو يو عن البكاء، وطلبت من الخادمة ين تياو أن ترفع الناموسية، وتحضر شمعة، وتأتي الى لي إي بالقلم والحبر،

وكانت شياو يو الى جانب العزف على الآلات الموسيقية في وقت فراغها تحب خاصة كتابة الشعر، ومن ناحية أخرى تحب الأشياء القديمة الموجودة في قصر الملك من ورق وحبر وأدوات الكتابة.

فتحت شياو يو الصرة وأخذت مترا من الحرير الأبيض اللون وأعطته للى إى. ولأن لى إى أصلا واسع الثقافة، فقد أخذ القلم وكتب بعض العبارات، وكان يشهد بالجبل والنهر، ويقسم باسم الشمس والقمر وكانت كل جمله صادقة، ومن يسمعه يتأثر بشدة. بعد أن انتهى لى إى من الكتابة، طلب من شياو يو أن تضعه جيدا بداخل الصندوق. ولم يفترق الحبيبان من يومها فصاعدا، وصارا مثل الطائرين الأخضرين اللذين يطيران بكل حرية ومحبة في عنان السحاب. ومر على ذلك عامان، ولم يفارق أحدهما الآخر صباحا ومساء.

في ربيع العام الثالث، اجتاز لى إى اختبار الوزارة، وعين كاتبا بمركز تشين بمقاطعة خو نان.

ولما جاء موعد سفره في اتجاه مدينة لو يانغ للعمل في شهر ابريل، دعاه الأقارب والأصدقاء بمدينة تشانغ آن لتوديعه. وكان هذا الوقت في نهاية الربيع وبداية الصيف، وكانت الطبيعة خلابة، ولما انصرف الضيوف بعد تناول الطعام تأججت عواطف لى إى للفراق.

فقالت له شياو يو:

– الناس كلهم يحترمونك ويقدرونك لكفاءتك وثقافتك وشهرتك وتتمنى ألف فتاة الزواج منك بالاضافة الى أن والديك ما

زالا على قيد الحياة، وانت لم تتزوج بعد. بعد أن تسافر هذه المرة، فبالتأكيد ستتزوج زوجة جديدة، وقسمك الذى أقسمت فيه بالجبال والبحار كان كلاما فارغا. وبالرغم من كل ذلك فما زال عندى أمل ضعيف سأخبرك به وأتمنى ألا تنساه الى الأبد. فلا أعرف اذا كنت مستعدا أن تسمعنى أم لا؟

سألها لى إى متعجبا:

– أى خطأ ارتكبت لتحدثيني بهذه الطريقة؟ قولي ما تريدينه فأنا طوع أمرك.

فقالت شياو يو:

– أنا عمرى ١٨ عاما وأنت عمرك ٢٢ عاما، انتظر الى أن يصير عمرك ثلاثين عاما أى انتظر كذلك ثمانية أعوام، لأعيش معك خلال هذه الفترة بكل فرحة وسعادة. وبعد ذلك لك أن تختار عائلة محترمة وتتزوج منها فليس ذلك متأخرا. وعندئذ سأغادر هذه الدنيا وأقص شعرى، وأرتدى ملابس الراهبات. وهكذا سأكون قد حققت رغبة عمرى وسأكون راضية تماما.

وبعد أن سمع لى إى هذا الكلام، شعر بالخجل وتأثر بشدة. ونزلت دموعه دون ارادته. وقال لشياو يو:

– القسم المنير مثل نور السماء، لن يتغير مهما عشت أو مت. ولا أظن أنني ممكن أن أحقق أمل حياتي حتى ولو عشت معك الى أن أكون عجوزا ويشيب شعرى، فكيف أجرؤ على تغيير رغبتى؟ أرجو منك ألا تشكي في ذلك، فقط ابقى هنا وانتظريني الى شهر أغسطس وسيكون المبعوث مني قد وصل الى مدينة خوا

تشوا. فيوم لقائنا ليس ببعيد.

وبعد مرور عدة أيام ودع لــي إى شياو يو وانطلـــق نحو الشرق.

بعد أن استلم لى إى العمـل لأكثر مـن عشرة أيام، طلـب اجازة لزيارة الأسرة في لو يانغ، وقبل وصوله لبيت أسرتـه كانـت والدته قد قررت أن تزوجه من ابنة خالته لوو وبالفعل حددت موعد الزواج.

كانت والدة لى إى عنيدة جدا، ولذلـك فهو لـم يجرؤ أن يتردد ولو لحظة واحدة للتعبير عـن رفضـه لهذا الزواج، وبالفعـل انتهى هذا الموضوع واتفقوا على موعد الزفاف.

كانت أسرة لوو أسرة كبيرة ذات مستوى عال، وعندما تزوج بناتها لأسر أخرى تشرط عليها مهرا مقداره مليون أوقية من الفضة. واذا قل المهر عن ذلك فلا توافق على الزواج.

لكن أسرة لى فقيرة نسبيا، فهو يحتاج الى قرض من أجـل تدبير المهر، مما جعله يفكر في حجة ليذهب الى أقاربه وأصدقائه ليقرضوه النقود. فعبر نهر اليانغتسي ونهر خواى وهكذا ظل مشغولا من خريف هذا العام الى صيف العام التالي.

وعرف لى إى بنفسه أنـه قد خالـف القسـم الذى أقسمـه، فعطل موعد الرجوع الى شياو يو دون أن يخبرها بأى شــيء فهو يفكر في أن يجعلها تفقد الأمل في رجوعه، وأوصى أيضا الأقارب والأصدقاء بأن لا يسربوا اليها أى خبر.

وجاء موعد رجوع لى إى الـى شياو يو، ولكنـه لـم يعد،

فبدأت شياو يو تسأل عنه في كل مكان، وكانت الأقوال غريبة متنوعة كل يوم بشكل، حتى انها سألت المنجمين، وكان قلبها يملأ بالقلق والأسى.

وبعد مرور أكثر من عام على ذلك الحال، مرضت شياو يو ولزمت الفراش، واشتد مرضها يوما بعد يوم، وبالرغم من ذلك لم يرسل لها لي إي أي ورقة ولا كلمة، ولكن شوق شياو يو اليه لم يتغير ولو قليلا. وأخذت تنفق النقود على الأقارب والأصدقاء من أجل سماع أي خبر عنه، ولأن الناس المكلفين بذلك كثيرون فقد صرفت الكثير من النقود عليهم وأوشكت على الإفلاس، مما جعلها تطلب خفية من الخادمة أن تذهب لتبيع بعض الممتلكات، وكانت غالبا تبيع للسيد هو جين شياو صاحب دكان بيع الأشياء القديمة.

وذات مرة طلبت من الخادمة وان شا أن تأخذ قطعة حلي وتذهب لبيعها عند دكان هو جين شيان. وعند ذلك قابلها في الطريق بالصدفة صائغ الحلي بقصر الامبراطور، وعندما رأى الحلي التي أخذتها وان شا تقدم اليها ودقق النظر فيها قائلا:

— هذه الحلي من صنع يدي، في تلك السنة عندما بلغت ابنة الامبراطور خو سن الرشد، طلب مني أن أعمل هذه الحلي وكافأني بعشرة آلاف من النقود ولم أنسها أبدا فأي شخص أنت؟ ومن أين حصلت على هذه الحلي؟

فقالت وان شا:

— ان سيدة المنزل هي ابنة الامبراطور وقد تدهورت حالة الأسرة، وتزوجت من شاب، وبعد أن ذهب زوجها الى لو يانغ،

ولم تسمع عنه أى خبر، مرضت بسبب الحزن والشجون، وقد مر على ذلك عامان، فطلبت مني أن أبيع لها هذه الحلى لتنفقها على الأشخاص الذين يستقصون لها الأخبار عنه.

فتأثر صائغ الحلى ودمعت عيناه وقال:

– ابنة الملك النبيل من يتخيل أن تتدهور حالتها الى هذه الدرجة. لقد مضى بي العمر، وأرى هذه الحالة من التدهور بعد الازدهار. انه حقا شيء مؤسف ومؤلم للغاية.

ثم أخذ وان شا الى بيت الأميرة من أجلها. وأعطتها مائتي ألف من النقود.

في هذا الوقت كانت الفتاة لوو خطيبة لى إى تعيش في تشانغ آن. وبعد أن أكمل لى إى المهر بصعوبة، عاد الى محافظة تشين، وفي شهر ديسمبر من هذا العام طلب لى إى اجازة ليذهب الى تشانغ آن لإتمام الزواج، ثم بدأ يبحث خفية عن مكان ليسكن فيه ولا يعرفه أحد. نجح تسوى يون مين ابن خال لى إى في امتحان التوظف الحكومي. وهو رجل أمين ومخلص، وكان كثيرا ما يجتمع مع لى إى في منزل شياو يو يأكلون ويشربون ويتحدثون ويضحكون باستمرار، وكان كلما حصل على أخبار لى إى أخبر شياو يو، وكانت شياو يو تساعده دائما ببعض الحطب والملابس وغيرهما من الأشياء، لذلك كان شاكرا لها على جميلها، ولما أن لى إى قد وصل الى تشانغ آن، فأسرع تسوى يون مين الى اعلام شياو يو بكل الحقيقة.

تنهدت شياو يو بحزن وقالت:

- هل من الممكن أن يوجد مثل هذا الأمر في الدنيا؟

ودعت الأقارب والأصدقاء فعلم الجميع بعودة لى إى.

وبسبب تأخر لى إى عن موعده ومخالفته للوعد، ومعرفته أن شياو يو مريضة تلزم الفراش، فقد شعر بالخجل وأراد قطع العلاقة بينهما ولم يزر بيت شياو يو أبدا. وكان يغادر المنزل كل يوم في الصباح الباكر ويعود اليه متأخرا حتى يتجنب مقابلة شياو يو.

كانت شياو يو تبكى ليل نهار حتى نسيت النوم والطعام، وكانت تفكر فقط في رؤية لى إى ولو مرة واحدة. ولكن ليس لديها طريقة لتحقيق هذه الأمنية، ولزمت الفراش مريضة، لذلك علم كثير من سكان تشانغ آن بهذا الأمر وتأثر العشاق بعواطف شياو يو، وعبر أصحاب الشهامة والمروءة عن. كرههم لجفاء لى إى.

جاء شهر مارس وخرج الناس جميعا من المدينة للاستمتاع بالربيع. وخرج لى إى مع خمسة أو ستة من أصدقائه وذهبوا الى معبد تزوغ تشين للاستمتاع بأزهار عود الصليب، وكانوا يتمشون في الممر الغربي، وينظمون الشعر، وكان معهم أيضا صديقه الحميم وى شيا تشين من هذه المدينة، فقال للى إى:

- يا لها من مناظر جميلة وجذابة، والأشجار والنباتات ناضرة ومزدهرة! يا لها من فتاة مسكينة! شياو يو تلزم غرفتها الخاوية، هل تركتها حقا يا سيدى؟ يا لك من رجل قاسي القلب، وصدر الرجال رحب لا يجب أن يكون بهذه القسوة. فكر مليا يا سيدى في الأمر.

وبينما كان يلوم هذا الصديق لى إى، ظهر فجأة فارس

يرتدى ثوبا خفيفا من الكتان الأصفر، ويحمل قوسا تحت ابطـه، ووجهه منير، ويسير خلفه غلام قصير الشعر، أقبـل اليهـم بخفـة، وسمع هذا الحديث، وبعد لحظة، تقدم وحيى لى إى قائلا:

- أ ليس حضرتك السيد لى إى؟ أنا من سكان شان دونغ ومن أقرباء الملك. بالرغم من أني تنقصني الثقافة والكفاءة الا أنني أحب المثقفين، لقد سمعت عنك منذ زمن بعيد، وكم تمنيت أن أراك. من حسن حظي اليوم أن أتشرف برؤيتك، منزلي ليس بعيدا عن هنا وعندى فرق موسيقية وغانيات للتسلية، وحوالى ثمانـي أو تسع جاريات جميلات. كما عندى أكثر من عشرة أحصنة أصيلة، تستطيع أن تستمتع كما تشاء، فمن فضلك شرفنا ولو مرة واحدة.

عندما سمع أصحاب لى إى هذا الكلام، صاحوا مهللين في صوت واحد تعبيرا عن موافقتهم، فركب لى إى الحصان وسار مع هذا الفارس. وبسرعة عبروا عدة طرق ووصلوا الى شـن يـه فنـغ ووجد لى إى نفسه بالقرب من منزل شياو يو، ففكر في الرجوع والتمـس الأعذار بوجود أمور أخرى وأراد أن يسحـب الحصان ويرجع.

فقال له الفارس:

- منزلي أمام عينيـك فكيـف تتركـه وتتخلـى عـن وعدك الأصلي؟

ثم سحب حصان لى إى وطلب من شخصين أن يأخذاه الى الأمام، وبعد فترة قصيرة وصل الى بوابة منزل شياو يو، فأصبح قلبه غير مطمئـن، فضرب الحصان وأراد العودة، فأمر الفارس بسرعـة

بعض الخدم ليدخلوا لى إى من البوابة الكبيرة. ثم أغلق الباب وصاح بصوت عال:

- لقد وصل لى إى!

ففرح أهل بيت شياو يو فرحا شديدا عندما سمعوا هذا الخبر، وصاحوا بسرور وانتشر الخبر في المدينة.

ليلة أمس رأت شياو يو في المنام ملاكا يرتدى ملابس جميلة، ويأتي اليها حاملا لى إى، ويتقدم أمام سريرها، ويطلب منها أن تخلع له الحذاء. فاندهشت شياو يو واستيقظت. وبعد أن استيقظت أخبرت والدتها بما رأته في المنام، وأيضا فسرته قائلة:

- كلمة الحذاء مثل كلمة الهوى في النطق، وذلك يعني أنه ستتجدد المودة بيننا، وتنبأ بأن الزوجين سيجتمع شملهما مرة أخرى. وكلمة الخلع بمعنى التخلع. أى سنجتمع ثم نفترق. ومن الواضح أيضا أنه سيكون الفراق الى الأبد. وأرى من هذا الحلم، أنني أكيد سأقابل لى إى مرة، وبعد أن أقابله سأموت.

في صباح اليوم الثاني، طلبت شياو يو من أمها أن تمشطها وتغسل وجهها وتزينها، وظنت الأم أنه بسبب مرضها الطويل، قد ذهب عقلها. ولم تصدق كل ما قالته. وتحاملت شياو يو على نفسها وطلبت من أمها. أن تزينها. وما إن انتهت من التطيب حتى جاء لى إى بالفعل.

قد لزمت شياو يو الفراش لمدة طويلة، وهى تحتاج دائما لشخص يساعدها في تحريك جسدها وعندما سمعت فجأة أن لى إى قد وصل، قامت بنفسها في الحال، وبدلت ملابسها وخرجت

اليه وكان هناك ملاك يساعدها. وبمجرد أن رأت لى إى اكتسى وجهها بالغضب وحملقت فيه بعينيها ولم تنطق بكلمة واحدة. فهى نحيفة وتبدو رفيقة جدا وكأن قدميها لا تتحملانها. وكانت تلتفت بين الحين والآخر الى لى إى تنظر اليه من وراء كمها.

أمام هذا المشهد تأثر جميع من بالغرفة ونزلت دموعهم، وبعد لحظة، الخدم أحضروا من الخارج الخمر وبعض الأطباق الشهية. ودهش جميع من بالغرفة، وتساءلوا ما الأمر، والحقيقة أن كل هذه الأشياء مرسلة من ذلك الفارس. وبعد ذلك جهزت المائدة، وجلس الجميع، ودارت شياو يو بجسدها ووجهها، ونظرت بطرف عينها الى لى إى مدة طويلة، الى أن رفعت كأس الخمر، وسكبته على الأرض، وقالت:

- أنا فتاة سيئة الحظ، وانت رجل سيد، تغير قلبك الى هذه الدرجة. وأنا ما زلت شابة صغيرة، وسأموت حزينة. والدتي ما زالت على قيد الحياة، لا أستطيع أن أعيلها. لقد انتهت أيام السعادة من الآن فصاعدا الى غير رجعة. وبهذه الطريقة سأموت متألمة، وأنت السبب في كل ذلك أيها السيد لى، السيد لى، وداعا أبديا من اليوم! بعد أن أموت، سأصبح شبحا يجعلك أنت وعائلتك فى اضطراب دائما!

بعد أن انتهت من كلامها، مدت يدها اليسرى لتمسك بذراع لى إى. ورمت كأس الخمر على الأرض، وبكت بكاء شديدا ثم ماتت. فأخذت الأم جثة ابنتها ووضعتها في صدر لى إى، وطلبت منه أن ينادى اسم شياو يو، ولم تعد روحها مرة

ثانية. ولبس لى إى ملابس الحداد من أجلها، وكان يبكـى فـي الصباح والمساء أمام تابوتها.

في ليلة الدفن رأى لـى إى فجأة شبـح شياو يو وراء ستار الغرفة التي بها التابوت، وكان محياها ما زال جميلا كما كانت وهي على قيد الحياة، وكانت ترتدى جونلـة حمراء بلون الرمان، ورداء بنفسجي اللون، وعلـى كتفها شال باللون الأحمر والأخضر وكانت ماثلة بجسدها تستند الى الستار وتلعـب بيدها فـي حبـل الستار المزخرف، وتنظر الى لى إى قائلة:

- أنا شاكرة لتوديعـك، يبدو أنـه ما زال عندك عواطـف الحب، وأنا في الدنيا الآخرة، أشعر بكل شكر وامتنان!

قالت هذا الكلام ثم اختفت، وفي اليوم الثاني دفنـت شياو يو في بلدة يوتو في مدينة تشانغ آن. وقد شيع لـى إى جنازتها الى المقبرة، وظل يبكى مدة طويلة ثم عاد.

بعد أكثر من شهر، تزوج لى إى من الفتاة لوو. وكلما رأى الأشياء القديمة شعر بالحزن والضيق. وفي مايو وقت الصيف عاد لى إى مع زوجته لوو الى بلدة تشين. وبعد أن وصلا بعشرة أيام، أرادا أن يذهبا الـى السرير ليناما، وفجأة سمـع صوتا يأتـي مـن خارج الناموسية فقفز لى إى من الفزع، ونظر الى خارج الناموسية، فرأى فقط شابا، عمره حوالى عشرين عاما، وشكله لطيف ورشيق، ووسيم جدا، يختفى خلف الناموسيـة ويلوح ويشاور بشدة للسيدة لوو.

غضب لى إى غضبا شديدا ووقف ليطارده، ولـف لـى إى

حول الناموسية عدة لفات، وفجأة اختفى الشبح، ومن ذلك الوقت دخل الشك قلب لى إى، وشعر بالظنون تجاه زوجته. ونشبت الخلافات بين الزوجين، ونصحه الأقرباء والأصدقاء بعض النصائح اللطيفة، الى أن هدأ غضبه نوعا ما.

بعد مرور عشرة أيام أخرى، وعندما عاد لى إى الى منزله، وكانت السيدة لوو تعزف الموسيقى على السرير، فجأة سقطت علبة مزخرفة مصنوعة من قرن وحيد القرن، وهى على شكل مربع، ومربوطة بالحرير، وفي الوسط عقدة على شكل قلبين، واستقرت العلبة في صدر السيدة لوو، فأخذها لى إى وفتحها، فوجد بداخلها حبتين من الفول الأحمر تدلان على الشوق والحب، فصاح لى إى غاضبا كصياح الذئب وزئير النمر، ورفع الآلة الموسيقية ليضرب بها زوجته، وأجبر زوجته على توضيح الحقيقة، ولكن زوجته لا تستطيع توضيح شيء.

ومن هذه المرة اعتاد لى إى على ضرب زوجته بشدة، وكان يظلمها بكل الطرق، وتطور الأمر الى أن اشتكى للحكومة وطلقها. وبعد الطلاق رجعت السيدة لوو الى بيت أسرتها، وأمر لى إى بأن تنام معه الجاريات، وكلما نام مع واحدة منهن، شك فى أمرها بسرعة، واشتعل قلبه بنار الغيرة، حتى قتل جميع الجاريات.

ذات مرة، سافر لى إى الى مدينة يانغ جو بمقاطعة جيانغ سو للنزهة، وتزوج من فتاة غنية مشهورة تدعى ين شى إى نيانغ وكانت جميلة الملامح رشيقة القوام، فأحبها بشدة. وكلما جلسا يتحدثان معا، أخبرها قائلا: .

– لقد وجدت امرأة في مكان ما ثم قتلتها بطريقة ما لأنها ارتكبت جريمة ما.

وكان يكرر هذا الكلام كل يوم لإدخال الخوف في قلب ين شى إى نيانغ، كي لا تسيء سمعة البيت.

وكان كلما خرج لى إى حبس زوجته على السرير ووضعها داخل حوض مقلوب كبير من الخشب، وختمه من الخارج. وكلما يرجع الى البيت يفحصه بدقة ثم يرفعه عنها. وفي نفس الوقت يحضر خنجرا حادا جدا، وأحيانا ينظر الى الجاريات ويقول لهن:

– هذا الخنجر مصنوع من حديد مشهور، ويستعمل خاصة لقتل الذين يزنون.

على كل حال كان لى إى يشك في عفة كل امرأة يراها، وقد تزوج من ثلاث زوجات، وكانت معاملته لهن جميعا مثل معاملته لزوجته ين شى إى نيانغ.

تعريف الكاتب:

جيانغ فانغ (؟ -- ؟) أديب فى عهد أسرة تانغ، ومن أهل مدينة يى شينغ بمقاطعة جيانغ سو. له أيضا ديوان من الشعر.

الأدب في عهد أسرتي سونغ ويوان
(٩٦٠ - ١٣٦٨م)

نبذة عن الأدب فى عهد أسرتى سونغ ويوان

بقلم: لى يان خو

ترجمة: هشام المالكى

فـى عام ٩٦٠ الميلادي أنهـت الصيـن عصر "الممالـك العشر والأسر الخمس" الذى اتسـم بالانقسام فـى أنحاء الصيـن، وعادت الصين مرة أخرى إلى وحدتها. وفى عام ١١٢٧م تأسست دولة جن الجنوبية فى محافظـة كاى فنـغ بمقاطعـة خـه نان، وفر امبراطور أسرة سونغ على لين آن (مدينة خان جو بمقاطعـة جـى جيانغ الحاليـة)، وأسـس أسرة سونـغ الجنوبيـة. وقد أطلـق علماء التاريخ اسم سونغ الشمالية على أسرة سونغ فيما قبل عام ١١٢٧م و اسم سونغ الجنوبية على أسرة سونـغ فيما بعد ١١٢٧م. وفـى عام ١٢٣٤م هزمت أسرة يوان أسرة جن كما انهزمت أمامها أسرة سونغ الجنوبية عام ١٢٧٩، وبذلـك توحدت الصيـن مرة أخرى تحـت سيطرة أسرة يوان.

وتعد الموشحات هى أهم ما يميز أسرة سونـغ فـى مجال الأدب، وقد ظهر فن الموشحات فى عصر الأسر الخمس، وتطور تطورا كبيرا مع أسرة سونغ. ويعتبر فن الموشحات فى أسرة سونغ مساويا لفن الشعر فى أسرة تانغ من حيث الشهرة.

ويعتقد القدماء الصينيون أن النثر هو فـــن نشر الفلسفـــة

والأخلاق والآراء السياسية، والشعر يعبر عن الطموحات و المشاعر المثالية، أما الموشحات فتعبر عن العواطف الشخصيـة. كما يرون أن أسلوب الموشحات يجب أن يكون معبرا عن المشاعر الرقيقـة اللطيفة. والموضوعات التى تتناولها الموشحات يجب أن تدور حول الحب والزواج والأحزان علـى الدولـة والأسرة. ويطلـق علـى هذا المذهب فى تاريخ الأدب الصينى "مذهب الرقة"، ويعد الأديبان أو يانغ شيو وليو يونغ من أشهر أدباء هذا المذهب، ويعتبر ليو يونغ اكثر صيتا فى هذا المجال لأنه كتب بعـض الموشحات الطويلـة ذات المضمون الغنى، أما سو شى فيعتبر أشهر كتاب الموشحات فـى أسرة سونـغ حيـث كسر التقاليد السائدة للموشحات مجددا بذلـك أسلوبها ومضمونها. وبذلـك ظهرت مجموعـة كبيرة مـن الموشحات التـى تناول مضمونها الحنيـن إلـى الوطـن ومقاومـة الاعداء، ويسمى هذا المذهب فى تاريخ الأدب الصينى "مذهـب الحماسة". وعلى خلاف سو شى نجد فان تشونغ يان وشين تشى جى إلخ. وفى تلك الفترة ظهرت أشهر كاتبـة صينيـة للموشحات وهى لى تشينغ زاو وغيرها من أدباء الموشحات المشهورين.

أما الشعر فى أسرة سونغ فلا يرقـى إلـى مستوى شعر أسرة تانغ من حيث الشهرة، ولكنه يحمل صفات خاصة. فنظرا لضعف أسرة سونغ لأمد طويل وخضوعها الدائم للضغوط من جيـش أسرة جن وأسرة يوان، وأيضا لكثرة انتفاضات الفلاحين وكثرة الخلافات بين قادة الدولـة، مما أدى إلـى تعرض العديد مـن الشعراء إلـى الإيذاء والضرر، فجعل شعرهم يحمل معانى الحزن والغضب، وفى

نفس الوقت ظهرت أشعار جيدة تتغنى بالوطنية والبكاء على أحوال الوطن. ومن أشهر شعراء هذه الأسرة وانغ آن شى و سو شى و لو يو، ويعد لو يو أكثر شعراء الصين إنتاجا للشعر.

أما النثر فى أسرة سونغ فقد ورث روح حركة الأدب القديم من أسرة تانغ، وظهر أدباء أمثال أو يانغ شيو و سو شى و وانغ آن شى و غيرهم حيث هناك ستة أدباء يعدون من أشهر كتاب النثر فى أسرة سونغ، ويوضع هؤلاء الستة مع هان يو و ليو تزونغ يوان ــ أشهر أديبين من أسرة تانغ ــ فى مرتبة واحدة، ويطلق عليهم "الأدباء الثمانية لأسرتى تانغ و سونغ". وقد ورث هؤلاء الستة من أسرة سونغ نظرية الأديب هان يو التى تؤكد على أن النص يجب أن يعكس الواقع الاجتماعى، بالإضافة إلى أنهم غيروا من أسلوب هان يو الصعب الفهم إلى أسلوب سلس مفهوم.

كانت عاصمتا أسرة سونغ مزدهرتين وكان هناك العديد من الكتاب والرواة يكتبون مسودات لكتاباتهم، وهذه المسودات تناولها الأدباء فيما بعد بالتنقيح والزيادة فحولوها إلى روايات متكاملة، غير أنها كانت تختلف عن اللغة التحريرية السائدة فى أسرة تانغ، فقد كانت أعمالا وصفية مأخوذة عن اللغة العامية. وكان لهذه المسودات أثر كبير على الأدباء فى أسرتى مينغ وتشينغ فى كتابة القصة القصيرة والرواية.

لم يكن الإنتاج الأدبى لأسرة جن متطورا كما لم يظهر فى هذه الأسرة غير الشاعر يوان خاو وين الذى ذاع صيته فى ذلك العصر.

في عهد أسرة يوان كانت أعظم الإنجازات الأدبية في مجال المسرحية الشعرية، وكان أشهر أديبين في هذا المجال هما قوان خان تشينغ و وانغ شي فو. من أشهر أعمال قوان خان تشينغ "مظلمة الفتاة دو آي" أما أشهر أعمال وانغ شي فو فهي "قصة الجناح الغربي".

فى حدود الشمال الغربي

بقلم: فان تشونغ يان
ترجمة: سعاد سلامة أحمد

منظر الخريف غريب فى حدود الشمال الغربى
فتركتها الطيور المهاجرة غير آسفة على الرحيل
ارتفع صوت الأبواق فى أنحائها مع آهات الكآبة
وتخيم شفق المغرب والضباب
على مدينة منعزلة مرصدة بين الجبال

كأس من الخمر الأرزى يعيد ذكرى الموطن البعيد
فلا حيلة للرجوع والعدو لم ينطرد
أنين الناى يطوف على صقيع الأرض
العيون أرقة وشاب رأس الجنرال وإنهمرت دموع الجنود

تعريف الكاتب:

فان تشونغ يان (٩٨٩-١٠٥٢م) من أهل مدينة سو جو بمقاطعة جيانغ سو. كاتب مشهور للنثر والشعر في عهد سونغ، وقد اشترك في الجيش المرابط في حدود الصين.

أحزان الفراق

بقلم: ليو يونغ
ترجمة: ناهد عبد الله

فى محطة الوداع...يسدل الليل أستاره
يتساقط المطر...وفجأة يتوقف
ويصدح زيز الحصاد الحزين
هنا عند مدخل المدينة
تشربين معى نخب الفراق
ويأتى صوت النوتى ... يستعجل الرحيل
تتشابك الأيدى
دمعة تترقرق فى العيون فتسكت الكلمات
سوف أمضى والموج الهادر يطوينى
ويحجب عنك ... ضباب الغروب وعالم غريب

نحن المحبين يمزقنا الفراق
فما بالك والخريف موعدنا ؟!
يا له من فراق!
وحين أفيق من سكرة الليلة ... ترانى أين سأكون غدا ؟
عند شاطئ وشجرة صفصاف!

نسمة سحر باردة!
قمر أجهده المساء! وأرحل عنك ... وتمضى السنوات
ويصبح الجمال لا معنى له
ويستحيل حديث العاشقين ... ذكرى
بعدك لمن أرويه؟

تعريف الكاتب:

ليو يونغ (٩٨٧م – ١٠٥٣م) اسمه الأصلى (سان بيان). واسمه أيضا (ليو تشه) لأن ترتيبه السابع بين اخوته. وهو من تشونغ آن (تشونغ آن تقع فى مقاطعة فوجيان). وهو شاعر شهير فى عهد أسرة سونغ الملكية.

عندما قرأ الامبراطور أبياته التى يقول فيها: "أفضل الخمر والغناء، أما الشهرة فإنى عنها غنى" قرر حرمانه من دخول امتحان تقلد الوظائف الملكية. فغير اسمه حتى يتسنى له دخول الإمتحان، وقام بشغل وظائف صغيرة.

عاش حياته دون أن يحقق أيا من طموحاته، وقد عاش منغمسا فى اللهو ودور الغانيات. خبر حياة المدن فكانت موشحاته تعتمد أساسا على وصف المدن و ازدهارها وكذلك حياة الغانيات، وهموم المثقفين الذين يحيون هائمين على وجوههم مشردين فى كل مكان. وقد أسهمت موشحاته المطولة بصورة كبيرة فى تطور الموشحات. فقد أصبح الموشح أطول وموضوعاته أوسع وكذلك أصبح واضحا منسقا.

وقد برع ليو يونغ فى وصف مختلف المشاهد بأسلوب بسيط سلس، ولغة بسيطة سهلة الفهم. حتى أن الناس فى ذلك الوقت كانوا يقولون: أينما توجد حياة يوجد من يتغنى بموشحات ليو يونغ.

جوسق الشيخ النشوان

بقلم: أو يانغ شيو
ترجمة: ماجدة صوفى محمد

إنما تحيط بمدينة تشو جبال. والقمم الواقعة فى جنوبيها الغربى، متميزة بالغابات والوديان الرائعة الجمال. أما الذى تتراءى للعيون خضرته الجذابة، فهو جبل لانغ يا...اتبع الدروب الجبلية واقطع حوالى ٣ كيلومترات، يمكنك أن تسمع تدريجيا خرير المياه التى تنصب من بين الجبلين، إنه "منبع عنبرى" ومع دوران الجبل وإلتواء الدرب، تجد جوسقا سطحه كالأجنحة الباطسة، واقفا على جانب المنبع، إنه جوسق الشيخ النشوان..فمن بنى هذا الجوسق يا ترى؟ يقال انه راهب في الجبل يدعى ملاك العقل. ومن أطلق على الجوسق هذا الإسم؟ إنه حاكم المدينة سماه على كنية نفسه...فكان الحاكم يشرب الخمر مع مجالسيه فى هذا المكان، وكان ينتشى حتى و لو شرب قليلا، ثم كان أكبر من الآخرين عمرا، فلقب نفسه بكنية "الشيخ النشوان"... إن الشيخ النشوان لم تكن رغبته فى الخمر، بل فى الاستمتاع بما توحى به المياه والجبال اليه. فمتعة ما توحى به المياه والجبال تنتشى لها القلوب مع تسقية الخمر.

عندما تشرق الشمس، يتلاشى الضباب المخيم على الغابات،

وعندما تؤوب الغيوم القاتمـة، يضرب الظلام أطنابـه فـى الصخور والكهوف. فتناوب الظلام و الضياء يحدث فـــى الجبال صباحا ومساء...الزهور تتفتـــح فينتشر عبيرها، والأشجار تزدهر فيكثـــف ظلالها، والرياح تهـــب فتتصقـــع ضالتها، والمياه تتصفـــى فتبرز الصخور على سطحها...كل هذه إن هى إلا مناظر للفصول الأربعة المختلفة. تذهب الى الجبل صباحا، ثم تعود منـه مساء، فالمنظر مختلف بإختلاف الفصول، والمتعة بالتالى لا نهاية لها.

أما الحمالون الذيـن يغنون فـى الطريـق، والعابرون الذيـن يستريحون تحـت الأشجار، والمنادون الذيـن يسيرون فـــى الأمام ليجيبهم من فى الوراء، والمسنون الذيـن يأخذون بأيدى الأطفال، والقادمون والراجعون الذين لا تنقطع آثارهم، فكلهم سائحون مـن مدينة تشو...يمكنك أن تصطاد على ضفاف الجدول، حيث المياه عميقة فالأسماك سمينة. ويمكنـك أن تصنـع الخمر بمياه المنبـع، حيث المياه عطرة فالخمر عنبرى...انما يوضـع أمام الحاكـم مـن المأكولات الجبلية المتنوعة، فهو مأدبته الخاصة. وانما يتسلى بـه المجالسون فى نشوة المأدبة، ليس بآلات موسيقية. فمنهم من يرمى فيصيب هدفه، ومنهم من يلعب الشطرنج فيغلب خصمه، ومنهم من يشرب فيبادل الآخر كأسه، و منهـم مـن يقوم أو يجلـس فيرفـع صوته، وكل ذلك يدل على مدى الفرح الذى بلغوه...أما الجالس بينهم شاحب الوجه، أشيـب الشعر، تعـب النفـس، فهو الحاكـم الثمل.

ثم تغرب الشمـس الـى وراء الجبـل، وتتبدد ظلال الناس،

حيث تكون عودة الحاكم يتبعه المجالسون...ويخيم الظلام على الأشجار، فتنبثق من أنحائها التغاريد، معبرة عن فرح الطيور لانصراف الزوار...غير أن الطيور تستمتع فقط بسعادتها فى الجبال والغابات ولا تدرك سعادة هؤلاء الناس. والناس يستمتعون فقط بمتعة السياحة مع الحاكم ولا يدركون سبب سعادته. أما الذى يمكن أن يشاركه فى هذه السعادة و هو ثمل ونشوان، ويمكن أن يسجل هذه السعادة فى النثر بعد أن يفيق من سكره، فهو الحاكم نفسه. فمن يكون هذا الحاكم؟ إنه أو يانغ شيو من مدينة لو لينغ.

البحيرة الغربية الجميلة

بقلم: أو يانغ شيو
ترجمة: ماجدة صوفى محمد

يتهادى الزورق والمجاديف صغيرة
فى البحيرة الغربية وما أجمل البحيرة
وتتماوج المياه الخضراء والرياحين
على طول شاطئها منتشرة
وأصوات الغناء والموسيقى الرقيقة
تصحب الزورق على طول المسيرة

ملساء هى صفحة المياه من غير الرياح
لا أحد يشعر بحركة الزورق وهو ينزاح
إلا مويجات خفيفة تترجح
فطارت الطيور فوق الشاطئ مخفقة الجناح

تعريف الكاتب:

أو يانغ شيو (١٠٠٧-١٠٧٢م) من أهل مدينة جى آن بمقاطعة جيانغ شي. كاتب مشهور للنثر والشعر والموشحات فى أسرة سونغ، ورائد حركة تجديد النثر والشعر فى مملكة سونغ الشمالية، كما هو زعيم الأدباء حين ذاك. لقد عمل موظفا حكوميا ناصحا، وكان جريئا فى نقده عادلا فى رأيه، ومهتما بمعاناة الشعب، ومؤيدا لحركة الإصلاح السياسى، فتلقى هجمات عنيفة من قبل الحكومة.

إن الجملة الواردة فى المقال: "أن الشيخ النشوان لم تكن رغبته فى الخمر" يصف بها الصينيون دائما ما يختلف شكله ظاهريا عن قصده حقيقيا.

ذكريات تشي بي

بقلم: سو شي
ترجمة: ناهد عبد الله

تنساب مياه اليانغتسى نحو الشرق
تتتابع الأمواج وتتقلب
لتطوى أبطالا عبر التاريخ..
يقول الناس
هناك غرب القلاع العتيقة
ساحة شهدت للفتى تشو لانغ انتصارات عديدة
الصخور مبعثرة لكنها شامخة
الأمواج عاتية تحطم الشطآن
تندفع كأنها كرات جليد ناصعة البياض
كم هى جميلة صورة الوطن
خطت ملامحها بيد الأبطال..

تحلق بى الذكرى بعيدا
حيث عرس ذلك الفتى المغوار
وجياو الصغيرة عروس الجمال
كان يختال فى بهاء وجلال

يروح بمروحته من ريش
وعلى رأسه عمامة من قشيب...
وحديثه العذب يأخذ بالألباب
بينما يحطم جنده مراكب الأعداء
فتستحيل رمادا تذروه الرياح...

كم تحلق بى خواطرى الى ساحة الأمجاد
ولكن ماذا تجدى الذكريات
وقد خط رأسى المشيب...
تمضى الحياة حلما قصيرا
فلنرفع الكأس ونتشر الخمر
نخب النهر العظيم
نخب القمر المضىء...

بعد رحيلك

بقلم: سو شى
ترجمة: عنايات عبد الحميد

عشر سنوات بعد رحيلك
كلانا فى عالم آخر
أحاول الهروب من طيفك
لكن هذا شئ صعب
قبرك عنى بعيد بعيد...
وما من أحد احدثه عن تعاستى
حتى ولو التقينا لن يعرف بعضنا بعضا
فالوجه أشعث أغبر
واشتعل الرأس بالمشيب
استغرقت فى نوم عميق
فرأيتك فى أحلامى
وعدت فجأة الى منزلى
فوجدتك تقفين فى شرفتى
وأنت تتزينين
تبادلنا نظرات صامتة
فلم نشهد غير دموعنا فى الظلام

أصعب لحظات عمرى على مر السنين
عندما أرى قبرك بين أشجار الصفصاف
تحت ضوء القمر

جبل لو شان

بقلم: سو شى
ترجمة: ناهد عبد الله

نظرة أمامية الى الجبل فترينه تلالا متراصة
ونظرة جانبية إليه فترينه قمما متباينة
ترتفع النظرة وتنخفض او تقترب وتبتعد
فترينه أشكالا مختلفة
لن يدرك الناظر حقيقة ملامحه
اذ انه متواجد فى اعماقه

تعريف الكاتب:

سو شى (١٠٣٦-١١٠١م) لقبه زى شان، وكنيته "ناسك دونغ بو" وهو من جبل ماى شان بولاية ماى جو فى عهد أسرة سونغ الملكية (جبل ماى شان يقع فى مقاطعة سى تشوان). كان سو شى ذا مواهب عديدة. فقد برع فى الأدب والشعر والموشحات والرسم والخط الصينى. وكان واحدا من أكبر ثمانية أدباء فى عهد أسرتى تانغ وسونغ الملكيتين. وقد كان أبوه سو شون وأخوه الأصغر سو تشى أديبين، فأطلق الناس على ثلاثتهم "الثلاثة سو".

إمتلأت حياته الوظيفية بالصعاب وكانت أفكاره متحفظة، فطلب أن ينقل الى مكان آخر بسبب عدم رضائه عن النزعة التجديدية عند وانغ آن شى. وقد نقل من وظيفته مرتين الى أماكن أخرى. وذات مرة أبعد عن الوظائف الملكية. وكانت أبعد نقطة نقل إليها جزيرة خاى نان.

كانت مقالاته بسيطة طبيعية، سلسة متنوعة الأساليب، وكانت مذكراته ويومياته ومقاماته ورسائله أكثر كتاباته تميزا. وله أيضا شعر منثور. أكثر وأجمل أعماله الشعرية هى التى تصف الطبيعة والمشاعر الإنسانية ولموشحاته مكانة هامة فى تاريخ الموشحات، وتفوق فيها على سابقيه وكسر الاتجاه الناعم فى كتابة الموشحات والذى يعتمد فقط على التعبير عن العشق وآلام الفراق. ويعد هو مؤسس الاتجاه الحر القوى. وعمل على توسيع مجال موضوعات الموشحات فبإمكان الموشحات أن تعبر عن كل الموضوعات. ويعد موشحه "ذكريات تشى بى" دليلا فى هذا الصدد. وقد كان لموشحاته أثر كبير على من خلفه مما جعله قائد الساحة الأدبية بعد أو يانغ شيو فى عهد أسرة سونغ الملكية الشمالية.

الأنين

بقلم: لى تشيتغ زاو
ترجمة: آسيا أحمد يوسف

أبحث عنه...أسأل عنه
البرد قارس...موحش
الجو دافئ حينا...بارد أحيانا
فكيف لى أن أستريح
وكيف بكأسين أو ثلاث من الخمر الخفيف
أقاوم البرد......ورياح الليل شديدة
تهاجر الطيور...وتزداد الأحزان...وتتراءى الذكريات

وجه الأرض كسته زهور صفراء ذابلة
فلمن أتزين اليوم بهذه الورود؟!
إتكأت على النافذة...كيف أعيش وحيدة وسط الظلام؟!
يتساقط رذاذ المطر ليبلل اوراق شجرة "بارسول"
عند المساء يتساقط المطر قطرة قطرة
وكل كلمات الحزن تعجز عن وصف حالى

هدأت العاصفة...

بقلم: لى تشينغ زاو
ترجمة: آسيا أحمد يوسف

هدأت العاصفة
وتوقف سقوط الأزهار
وما زال عبقها ينبعث من تحت الثرى...
عند الغروب كنت متعبة
لم أمشط شعرى...
كل الأشياء كما كانت لكن الشخوص تغيرت
فكلما أردت الكلام سبقت دموعى كلماتى...

سمعت أن ضفاف نهر سوانغ شى ما زالت ربيعا
فتمنيت أن أركب المركب هنالك
ولكننى أخاف ألا يحملنى النهر
فأحزانى ثقيلة ثقيلة...ثقيلة...

تعريف الكاتب:

عاشت الشاعرة لى تشيغ زاو فى مدينة جى نان فى الفترة من ١٠٨٤ – ١١٥٥م، وكانت كاتبة مشهورة للموشحات فـى أسرة سونـغ الملكيـة. كما أجادت كتابة الشعر والأعمال الأدبية.

وتنتمى لى تشينغ زاو وزوجها الى أسرة ذات ثقافة عريقـة. كما تبوء زوجها العديد من المناصب الحكومية. كان التفاهـم والترابـط العاطفـى مـن السمات التى تربـط بينهما. وكان يربـط بينهما حـب الشعر وكذلـك حـب البحث فى التحف الأثرية.

كانت حياتها فى البداية تتسم بالرفاهية واليسر، وبعد احتلال الشمال، هربـت مـع زوجها الـى جنوب الصيـن، وبعد وفاة زوجها واحتلال الجنوب عاشت حياة شريدة، ثم وافتها المنية هناك.

والباحث فى شعرها يجد أنه إنقسم الى مرحلتين: مرحلـة نظمـت فيها شعرها فى الشمال، والأخرى نظمت الشعر فى الجنوب.

ومن أهم مميزات شعرها فى الشمال: إنه يتسم بوصف حياتها وهى فتاة صغيرة او سيدة متزوجة، كما وصف مشاعر حبها الفياض تجاه زوجها. بينما إتسـم شعرها بعد إنتقالها للجنوب بالحزن والألم والأسى الذى يلمس مشاعر القارئ. ومن سمات شعرها الرمزية والبلاغة ودقة الوصف.

الى الأبناء

بقلم: لو يو

ترجمة: محسن فرجانى

مع علمى أن مماتى سيذهب بجميع أحزانى
إلا هما لن يزيله الفناء قبل توحيد وطنى
إذا ما انتصر جنود الملك على العدو فى الشمال
يومها أحيوا ذكرياى يا أولادى وأخبرونى

يد ناعمة

بقلم: لو يو
ترجمة: محسن فرجانى

يد ناعمة كالورد الزكى
ناولتنى كأسا من الخمر الملكى
كانت المدينة فى أحضان الربيع
والقصر يلثم جدرانه صفصاف بديع
وإذا بعاصفة عاتية تهب
فاجتاحت وحرمتنا من التحاب
فطرت قلوبنا و أنا حزين حزين
وفرقنا المصير منذ سنين سنين
وا أسفاه، وا أسفاه، وا أسفاه...

لقد عاد الربيع وجماله لا يفنى
ولكنك يا حبيبتى قد أدركك الضنى
ووجهك الجميل بالدموع مغسول
وبها تتبلل جميع المناديل
غصون الخوخ تساقطت منها الزهور

وحديقة القصر لا تجد لنا الآثار
مهما كانت العهود باقية كبقاء الجبال
ولكن رسالة القلب بعثها من المحال
يا للويل، يا للويل، يا للويل...

تعريف الكاتب:

لو يو (١١٢٥–١٢١٠م) من مواليد مدينة شاو شينغ بمقاطعة تشه جيانغ، وهو شاعر مشهور ظهر فى زمن أسرة "سونغ" وله أيضا مؤلفات نثرية. وقد نشأ فى بيت بيروقراطى، وتأثر بوالده وورث عنه ميله الى الموضوعات الوطنية والسياسية، فلما بلغ التاسعة والعشرين من عمره ذهب الى العاصمة لأداء الامتحان، ولسوء حظه ورد اسمه فى القائمة قبل اسم حفيد أحد الوزراء الفاسدين فى ذلك العهد، فاستبعد اسمه من القائمة تماما، وصادف المصير ذاته عندما التحق بأحد الوظائف فى "فو تشو" وغلبت عليه ميوله الوطنية فتقدم بطلبات الى الجهات المختصة يطالب فيها من بين أشياء كثيرة بإلغاء العقوبات القانونية العنيفة، حبا فى الوطن والشعب، فلما عد ذلك إساءة موجهة الى الامبراطور ذاته، فصل "لو يو" من وظيفته. فلما تولى العرش امبراطور آخر جديد، أعيد الى وظيفته، لكنه فصل مرة أخرى بسبب نشاطه "المزعج"، ثم أرسل ليتولى وظيفة فى "سي تشوان" بناء على طلبات عديدة تقدم بها هو نفسه، وجاءته فرصة الذهاب إلى جبهة المكافحة ضد العدو مباشرة، لكنه لم يلبث هناك طويلا، وألحق بوظيفة فى "جيانغ شى" ثم استقال من وظيفته تلك، ولزم بيته ست سنوات كاملة احتجاجا على ما أصاب المواطنين من كوارث ونكبات. وعاد الى وظيفة بسيطة، ثم استقال منها للمرة الرابعة، واعتكف فى بيته مدة عشرين عاما.

قد بلغ عدد القصائد التى كتبها طوال حياته، تسعمائة ألف وثلاثمائة قصيدة، فهو من أغزر الشعراء الصينيين إنتاجا. وقد تناول فى شعره الموضوعات الوطنية والعاطفية، وصور المشاهد الريفية الطبيعية كما عبر عن معاناة المواطنين، وبلغ بشعره مرتبة عالية فى الوصف، وقدرة هائلة على الإيجاز، ودرجة رفيعة فى تصوير المشاعر والأحاسيس.

أمسية عيد الفوانيس

بقلم: شين تشى جى
ترجمة: طارق حسين الفرماوى

فى أمسية عيد الفوانيس
تعرض كل النواميس
تتلألأ فيها المصابيح الملونة
كأنها آلاف الأزهار المزركشة
تتطاير عطور الزهور
وتحملها النسائم كأنها سيل من النجوم
يفوح من السيدات الشذى الجميل
ويعبق الجو بالعطر من الحصان الأصيل
تتراقص الأسماك الذهبية والتنين
على أضواء القمر اللجين
والخيوط الذهبية تتلألأ
من الحلى والزمرد والزبرجد
وتتعالى الضحكات
أبحث عن حبيبة قلبى آلاف المرات
وألتفت برأسى فجأة
ها هى...أسفل الضوء الخافت

تعريف الكاتب:

شين تشى جى (١١٤٠–١٢٠٧م) من أهل مدينة جى نان بمقاطعة شان دونغ. شاعر وطنى بارز فى عهد سونغ. لقد احتل جيش مملكة جن موطنه شان دونغ قبل ولادته، غير أنه ظل يعتبر نفسه من رعية أسرة سونغ الجنوبية بعد فشل النضال حيث تقلد بعض الوظائف فى الحكومة المحلية. وأثار غضب أصحاب السلطة وحقدهم عليه إذ انه كان يعمل سعيا الى ما فى صالح البلاد البائد. ان أعماله الأدبية بليغة اللغة ومتنوعة الأسلوب والتعبير، وعميقة الأبعاد الفكرية. وقد نظم ستمائة وعشرين موشحا فى حياته، فهو من أكثر الشعراء إنتاجا للموشحات فى أسرة سونغ.

حنين في الخريف

بقلم: ما تزى يوان
ترجمة: هشام المالكى

غراب وغروب وسيقان لبلاب يابسة
شجرة عجوز عارية الأغصان..
وبيت قديم..
ماء ينساب أسفل جسر صغير..
طريق قديم مهمل..
رياح غربية باردة..
حصان هزيل ساكن..
شمس تميل للغروب..
غريب تقطع قلبه حسرة من الفراق...

تعريف الكاتب:

لايعرف تاريخ ميلاد ما تزى يوان على وجه التحديد. نشأ فى مدينة بكين وذاع صيته كمؤلف مسرحى ونثرى. سعى فى بداية حياته وراء الوظائف الحكومية، إلا أنه لم يوفق فى ذلك على الرغم من حصوله على وظيفة حكومية فى مقاطعة جى جيانغ. و فى شيخوخته اعتكف فى الريف، وفضل أن يعيش بين الحقول. بلغت أعماله المسرحية سبعة أعمال. ويعتبر "حنين فى الخريف" من أشهر أعماله الشعرية.

قطف من «مظلمة الفتاة دو اى»

بقلم: قوان خان تشينغ
ترجمة: حسن رجب حسن

المشهد الثالث

(خرج الموظف الحكومى الى خشبة المسرح)

الموظف: إننى مشرف على الاعدام، واليوم يوم إعدام المجرمة، أيها الخدم اقطعوا كل السبل، وامنعوا المارة من السير والعبور فى أى اتجاه..

(الخدم يدقون الطبول والصنوج ثلاث مرات، ثم نزلوا من على الخشبة، خرج جلاد يلوح بيده علما وبيده الأخرى سيف، سائقا الفتاة دو اى المقيدة...)

الجلاد: تحركى، تحركى، فقد وصل المشرف على الاعدام مبكرا.

الفتاة: (تغنى):

من غير جريمة خالفت القانون
وحاكمتنى المحكمة غصبا عنى
اننى مظلومة وليت السماء تسمعنى

وبعد قليل الجحيم سيأوينى
فكيف لا أوجه لومى الى الكون

الشمس تشرق فى النهار
والقمر يسطع فى الليل
والاله بيده حق الموت والحياة
أيتها السماء، أيتها الأرض
كلاكما جبانة أمام القوى وظالمة أمام الضعيف
وكلاكما تتساير مع تيار الشر
أيتها الأرض
لا تستحقين بأن تكونى أرضا لاختلاط الصالح بالطالح
أيتها السماء
لست جديرة بكونك سماء وأنت لا تفرقين بين النبيل والشرير
وا حسرتى، لم تبق عندى إلا دموع تنهمر...
الجلاد: أسرعى، أسرعى، لقد تأخرنا عن الموعد.
الفتاة (تغنى):
يثقل على القيد فأترنح فى السير
ويدفعنى الناس فى خطواتى أتعثر
يا أخى الجلاد هلا تسمع منى؟
لى كلمة أقولها لك يا أخى الكبير...
الجلاد: ماذا تريدين أن تقولى؟
الفتاة (تغنى):

إذا مررنا بالطريق الأمامى فلن يستريح بالى
وإذا مررنا بالطريق الخلفى فلن ألوم بعد موتى
فلا تعتذر ببعد المشوار وترفضنى

الجلاد: تذهبيـــن الآن الـــى ميدان الاعدام، إذا أردت أن تقابلى أحدا من أقاربك، يمكننى أن أستدعيه لك.

الفتاة (تغنى):

إننى وحيدة يتيمة من الأقارب
لا تصاحبنى إلا تنهدات وآهات

الجلاد: أ ليس هناك أحد من أهل والدك ووالدتك؟

الفتاة: هناك فقط والدى، وهو ذهـب للاشتراك فـى امتحان الحكومة قبل ثلاث عشرة سنة، ولم يصل الى عنه أى خبر حتـى الآن..

(تغنى):

لقد مضت على ثلاث عشرة سنة
ولم أر خلالها وجه أبى

الجلاد: إذن، لماذا طلبت من أن نمر بالطريق الخلفى؟

الفتاة (تغنى):

إننى خائفة أن ترانى حماتى

الجلاد:إنك مشرفة على الموت، فما خوفك من رؤيتها؟

الفتاة: إذا رأتنـى حماتـى وأنا أتقيد وأذهـب الـى ميدان الاعدام...

(تغنى):

ستموت من الحزن
ستموت من الحزن
يا أخي
إنني في الضيق فساعدني
(الحماة العجوزة خرجت الى خشبة المسرح باكية)
العجوزة: يا الهي، أ ليست هذه زوجة إبني..
الجلاد: يا عجوزة تراجعي..
الفتاة: يا أخي الجلاد، ما دامت حماتي قد جاءت، استدعها، لي اليها وصية..
الجلاد: يا عجوزة، اقتربي، لزوجة ابنك وصية اليك.
العجوزة: يا بنتي، إنني سأموت من الحسرة...
الفتاة: يا حماتي، لقد وضع تشانغ ليو آر السم في الحساء ليقتلك ويجبرني على الزواج منه، ولكن بالصدفة كان والده شرب الحساء بدلا منك، فمات من السم. إنني خفت أن أورطك في هذه القضية، فاعترفت على كره مني بالجريمة التي أنا بريئة منها. والآن أنا ذاهبة الى ميدان الاعدام لأتلقى العقاب، فلا أتمنى يا حماتي إلا أن تقدمي الى ضريحي بعض القربان من بقايا الطعام في المناسبات المختلفة، وسأعتبر ذلك كرما منك لخاطري...
(تغني):
ارفقي بي وأنا أتحمل العقاب مظلومة
ارفقي بي ورأسي ستنفصل عن جسدي
ارفقي بي وكنت أشتغل في المنزل

يا حماتى
ارفقى بى وأنا يتيمة منذ صغرى

لقد خدمتك سنوات كثيرة يا حماتى
فقدمى لى شيئا من القربان
واحرقى لى بعض النقود الورقية فى الميدان
لتوديع روح الرحيل...

العجوزة: اطمئنى يا بنتى، لقد حفظت كل هذا الكلام...يا إلاهى، إننى سأموت من الحسرة...

الفتاة (تغنى):
لا تبكى يا حماتى ولا تعولى
لا تحزنى على ولا تتضجرى
لا تستغرقى فى الغضب ولا تلومى
كل ما فى الأمر إننى منحوسة الحظ
فاضطررت أن أتلقى هذا الظلم...

الجلاد: (صاح فى العجوزة): تراجعى يا عجوزة، لقد حان الوقت...

(الجلاد فك قيد الفتاة بعد أن ركعت على الأرض)

الفتاة: حضرة السيد المشرف على الإعدام، اذا وافقت على طلب منى فلا ألوم شيئا بعد موتى...

الموظف المشرف: قولى ما طلبك؟

الفتاة: إننى أطلب حصيرا نظيفا لأقف عليه، وحريرا ناصعا

طوله ستة أمتار ليتعلق على السارية واذا كنت مظلومة بالفعل، فبعد اعدامى سيطير دمى كله الى الحرير بدون سقوط نقطة منه الى الحصير...

الموظف المشرف: لا بأس، سأوافقك على ذلك.

(الجلاد أحضر الحصير فوقفت عليه الفتاة، ثم أحضر الحرير وعلقه على السارية)

الفتاة (تغنى):

لست متعمدة على عرض هذا النذر الخطير
لكنى مظلومة بالظلم الحقير
والسماء لن تبدو صافية على الناس
إن لم تترك بعض معجزاتها فى الأسفار
إننى لا أريد أن تتلون الأرض بدمى الحار
وأريد أن يطير الى السارية ويلون الحرير
ليراه جميع الناس فى مختلف الأنحاء
فيعرفون أننى مظلومة وقلبى كسير...

الجلاد: يا بنتى هل لديك كلام آخر؟ إن لم تقوليه للسيد المشرف فستفوتك الأوان.

الفتاة (ركعت مرة ثانية): يا سيدى تصادفنا الآن حرارة الصيف، إذا كنت مظلومة حقا، فسينزل الثلج الكثيف بعد موتى ليغطى كل الأرض ويوارى جثتى...

الموظف المشرف: ما هذا الهذى، إن الصيف فى عزه، فكيف يمكن أن تستدعى ثلجا حتى و لو كانت مظلمتك كبيرة؟

الفتاة (تغني):
إنك تقول ان الصيف فى عزه
والموسم ليس موسم الثلوج
ولكن هل سمعت هناك قصة فى الماضى
قد نزل الصقيع فى شهر يونيو بسبب المظلمة
اذا كان الحزن عميقا كالبركان
فلا بد أن ينفجر وتتحول شظاياه الى الثلج
وذلك ليوارى جثتى
فلا أحتاج الى تشييع جنازتى...

الفتاة (ركعت ثالثة): يا سيدى، اذا كنت مظلومة فعلا، فهذه البلدة ستعاني القحط لمدة ثلاث سنوات مستمرة... من الآن ...

الموظف المشرف: تبا لك، كيف يمكن أن تنذرى مثل هذا النذر؟

الفتاة (تغنى):
أ تظن أن السماء لا يمكن أن نتمنى منها رحمة
والقلوب لا يمكن أن نطلب منها رفقة؟
فالسماء تستجيب أيضا لعامة الناس رغبة
لقد كانت هناك بلدة فيها مظلمة لإمرأة
فتعرضت للقحط ثلاث سنوات لا تنعم بالمطر
والآن جاء دور بلدتكم
بسبب ظلم الحكومة ومعاناة الشعب الفقير

الجلاد (يلوح العلم): يا الهى، كيف اكفهرت السماء في لحظة واحدة؟

(أزيز الرياح ارتفع من وراء الكواريس)

الجلاد: يا لها من الرياح الباردة...

الفتاة (تغنى):

انتشرت الغيوم تحزن على
وهبت الرياح تبكى من أجلى
ثلاثة أنذار وضحت مظلمتى

(تبكى): يا حماتى انتظرى حتى ترين الثلج ينزل فى شهر يونيو، والقحط يقتحم البلدة لمدة ثلاث سنوات...

(تغنى):

فى ذلك الوقت فقط
ستنجلى روح بنتك المظلومة...

(الجلاد ضرب رأسها بالسيف، فسقطت الفتاة)

الموظف المشرف (بالدهشة): يا السلام، لقد نزل الثلج حقا، إنه لأمر غريب جدا.

الجلاد: كنت أنفذ الاعدام، كان الدم يلوث الأرض عادة، ولكن دم هذه الفتاة طار كله الى الحرير الناصع ولم يسقط الى الأرض، هذا عجيب جدا.

الموظف المشرف: انها مظلومة بالتأكيد، لقد تحقق نذران من أنذارها، ولا نعرف النذر الثالث عن القحط سيتحقق أم لا؟ سوف نرى فيما بعد، هيا ارفعوا الجثة وقدموها الى حماتها قبل أن

يتوقف الثلج.

(فعل الخدم ما أمرهم به الموظف المشرف، فرفعوا الجثة وقدموها الى حماتها ونزلوا جميعا من على خشبة المسرح)

تعريف الكاتب:

ولد الكاتب المسرحى العظيم قوان خان تشينغ فى أواخر عهد أسرة جن الملكية. حيث توفى فى فترة ما بين عام ١٢٩٧ الى ١٣٠٧ بعد الميلاد. وهو كاتب مسرحى مشهور فى الصين القديمة.

قضى الكاتب معظم حياته فى كتابة الأعمال المسرحية. وكان تربطه علاقات مودة متميزة مع معظم كتاب المسرحيات وممثليها، ولذلك لقب بزعيم المسرح فى عهد أسرة يوان.

وقد ترك الكاتب بصمات واضحة فى النهضة المسرحية لأسرة يوان. واشترك بنفسه دائما فى عرض مسرحياته. وتتضمن معظم أفكار مسرحياته وصف حياة المعدمين والطبقة الفقيرة فى المجتمع الصينى، حيث عبر عن آلامهم وآمالهم ممجدا دورهم البطولى وكفاحهم فى الحياة. وكذلك كشف فضائح الطغاة من الحكام.

اهتم الكاتب بصفة خاصة بالكتابة عن المرأة كما أبدى اهتماما خاصا بقضيتهن ودورهن الرائد فى حركة المجتمع.

وقد كتب خلال رحلة حياته أكثر من ستين عملا مسرحيا. وتبقى منها حتى الآن ثمانية عشر عملا مسرحيا. تتميز لغته المسرحية بالبساطة والوضوح. وتعتبر مسرحية "مظلمة الفتاة دو اى" من أعظم ما كتبه من المسرحيات. وهى من أشهر المسرحيات الشعرية ذات الطابع المأساوى فى الصين القديمة. وما زالت تعرض على خشبة المسرح الصينى حتى اليوم.

تتلخص الأفكار المسرحية كما يلى:

كانت هناك فتاة تسمى دو اى وكان والدها مثقفا فقيرا. بعد وفاة الوالدة أعطى الوالد ابنته الى امرأة أخرى لتربيها وتكون زوجة لإبنها فى المستقبل. وأعطت المرأة فى مقابل ذلك والدها مبلغا من المال لكى يذهب لأداء امتحان الحكومة.

وعندما بلغت الفتاة السابعة عشرة من عمرها، تزوجت إبن المرأة التى

قامت بتربيتها، ثم توفى زوجها بعد عامين من الزواج.

بعد ثلاث سنوات، ذهبت حماة دو اى الى العطار خارج المدينة لكى تسترد الديون التى اقترضها منها، وكان العطار ماطلها وحاول قتلها. ولكن شخصا يدعى تشانغ ليو آر صادفها فأنقذها من الموت.

كان تشانغ ليو آر هذا رجلا صعلوكا، لما رأى هاتين الأرملتين أجبرهما على الزواج منه ومن والده، ولكن الفتاة لم توافق، وعاش الرجل الصعلوك فى بيتهما غصبا عنهما.

ذات يوم مرضت المرأة العجوز وتريد أن تشرب الحساء فجهزت الفتاة الحساء لحماتها، فاستغل الصعلوك هذه الفرصة، وقام بوضع السم فى الحساء لكى يتخلص من العجوز، ويجبر الفتاة على الزواج منه. ولم يدر فى خلده أن العجوز تتقيء وتعطى الحساء لوالده فقتل الوالد بالسم. وقد اتهم الفتاة بأنها هى التى قامت بوضع السم لوالده، وإذا هى لا توافق على الزواج منه، فسيذهب الى المحكمة ويتهمها بهذه التهمة. ولم توافق الفتاة، فقبض عليها وتعرضت للضرب والايذاء، ولكنها لم تعترف بالتهمة.

وأخيرا قاموا بضرب حماة الفتاة حتى تعترف، وخافت الفتاة على حماتها العجوز من الايذاء فاعترفت بالجريمة التى لم ترتكبها. وأخيرا حكم عليها بالاعدام. وبعد وفاتها عين والدها حاكما كبيرا فى المقاطعة، وجاء الى المدينة للبحث عن إبنته، وبعدما عرف بالقصة أمر باعدام الرجل الصبعلوك.

قطف من «قصة الجناح الغربى»

بقلم: وانغ شى فو
ترجمة: نينت نعيم إبراهيم

المشهد الثالث

(دخلت الوالدة وكبير الرهبان الى خشبة المسرح)

الوالدة: سوف نودع اليوم الشاب تشانغ شين الى العاصمة، وقد جهزت مأدبة التوديع فى مكان الافتراق. لقد مشينا أنا وكبير الرهبان أولا، فكيف لا أرى الشاب وبنتى يحضران؟

(دخلت الجماعة الى خشبة المسرح)

الآنسة: اليوم يوم توديع حبيبى تشانغ شين للاشتراك فى امتحان العاصمة، فإننى مستغرقة فى الحزن العميق، ثم الخريف أوشك على انتهائه، فأصبح كل شىء صعب الاحتمال. سنشرب الآن كأسا من الخمر، وبعد ذلك للأسف سوف نفترق...

(تغنى)

إن السماء مغطاة بسحب زرقاء
والأرض مفروشة بورود صفراء
والرياح الغربية عاتية
والأوز البرى راحل الى الجنوب

عندما أشرق الفجر
كانت الغابة تدمع من الصقيع
وقد احمر وجهها كلون وجه السكران
إن هذه الدموع هى دموع الفراق

وا أسفاه، لقد تعارفنا متأخرا
وسوف نفترق سريعا
برغم من طول غصون الصفصاف
ولكنها لا تستطيع أن تربط حصانك
وتثنيه عن الرحيل
إننى أكره هذه الغابات المتفرقة
لأنها لا تستطيع أن تمنع الشمس
كيلا تغرب
مهما كان حصانك يمشى ببطء
وعربتى تلحق بك مسرعة
لكن الفراق أمر لا مفر منه
عندما سمعت فقط انصرافك
هزلت فوسع على سوارى
وحينما رأيت من بعيد مكان الافتراق
أدركنى الضمور
فمن يا ترى يعرف مدى حزنى؟
الخادمة: لماذا لم تتزينى اليوم يا آنسة؟

الآنسة: أنت لا تعرفين ما في قلبي...
(تغني)
عندما رأيتهم يعدون العربة والحصان
تملكني الحزن العميق
فأين لي رغبة كي أتزين
لأبدو كزهرة تنبهر بها العيون؟
أحتاج فقط الى اللحاف والوسادة
لأستغرق في نوم عميق ولا أصحو
من الآن فصاعدا كل ملابسي ستبللها الدموع
وسوف يقتلني الهم والحزن
وسوف يقتلني الهم والحزن...
من الآن فصاعدا لا يسعنا إلا أن نتراسل
لنتبادل الكلمات القلقة والحزينة...
(وصل الجماعة الى مكان الافتراق، فسلموا على الوالدة)

الوالدة: تفضل بالجلوس يا تشانغ شين، وكبير الرهبان، وأنت يا بنتي اجلسي هنا. أحضري لنا يا خادمة خو نيانغ الخمر...أنت يا تشانغ شين اقترب، كلنا أهل البيت فلا حاجة أن تبتعد هكذا. إنني اليوم قد وعدتك ببنتي، فلا بد أن تنجح في الامتحان الحكومي من أجل كرامتها...

الشاب: البركة فيك يا سيدتي المحترمة، إنني لدى موهبة، والحصول على الوظيفة الحكومية سهل كالتقاط العشبة من الأرض.

كبير الرهبان: إن رأيك صائب يا سيدتي المحترمة، إن تشانغ

شين شاب جيد لن يسقط فى الامتحان...
(بدأوا يشربون الخمر)
الآنسة (تتنهد وتغنى):
الرياح الغربية تهب
والأوراق الذابلة تتساقط
والأعشاب الهزيلة مغلفة بالضباب
هذا هو منظر حبيبى الجالس
فلا روح له ولا حياة عليه تبدو
رأيت الدموع تملأ عينيه ولا تنهمر
إذ انه خائف أن ينكشف أمام الناس الأمر
وفجأة أحنى رأسه
تنهد وتظاهر كأنه يهندم ملابسه

رغم أنه ستضمنا عائلة واحدة فى المستقبل
لكن كيف أستطيع ألا أبكى للفراق الطويل
لقد هزل جسمى ونحل من كثرة الوعيل...
الوالدة: يا بنتى قدمى للشاب كأسا من الخمر.
الآنسة: تفضل بالخمر...
(تغنى)
السعادة لم تجمع بيننا إلا قليلا
والفراق الحزين لاحقنا سريعا
بالأمس تقاربنا

وها نحن الآن سنفترق
سوف يكون اشتياقنا وحنيننا لبعضنا
عشرة أضعاف لشعورنا قبل الفراق

قد ينظر الشباب الى الفراق نظرة سطحية
وبعضهم يستخفونه لقلة عواطفهم
وينسون ما كانوا عليه من الحب
لقد أصبحت أنت زوجا لبنت رئيس الوزراء
فبقاؤنا مع البعض
أحسن من أن تنجح فى الامتحان الحكومى...

الوالدة: يا خادمة خون نيانغ، قدمى للشاب كأسا من الخمر.

الآنسة: (تواصل غناءها)
ما هذه السرعة لتقديم خمر التوديع؟
لن تطول الجلسة وسوف نفترق
لو لم تكن والدتى موجودة فى المائدة
لا بد أن أحكى لك كل ما فى قلبى
رغم أن الجلسة فترة وجيزة
يمكننا أيضا أن نأكل سويا كالزوجين الحبيبين
لكن الآن فقط يمكن أن تتكلم عيوننا
وكدت أن أتحجر من كثرة النظر

الخادمة: يا آنسة، لم تتناولى الفطور بعد، اشربى بعض الحساء...

الآنسة: أى حساء أستطيع أن أشربه؟
(تغنى)
إن الطعام والخمر مثل التراب والطين
والأول عندى أسوء طعما من الثانى
فالتراب له رائحة زكية للطبيعة
وكذلك شأن الطين

الخمر الساخن من النوع الثمين
لكننى أحس أنه ماء بلا لون
إنه ليس بخمر بل دموع الحنين
ليس لى شهية لطعام ولا شاى
فأحشائى تزدحم بالأحزان
شهرة لا معنى لها ومصلحة زهيدة
لعبتا دورهما وفرقتا الحبيبين
ستكون أنت هناك وأبقى أنا هنا
لا نتبادل إلا تنهدات وآهات...

الوالدة: أحضروا العربة، إننى أرجع أولا، والحقينى يا بنتى وخادمتك بسرعة.

كبير الرهبان: كل ما أريد أن أقول لك يا تشانغ شين إننى سأقرأ لوحة تسجيل نجاحك فى الامتحان الحكومى، ثم لا تنس أن تدعونى الى وليمة زواجك، خذ بالك من نفسك ومع السلامة...

(نزلوا من على خشبة المسرح)

الآنسة (تغنى):
لقد تناثرت الكؤوس والأطباق
وانصرفت العربة والحصان الى اتجاهين
لكن ما زالت تتردد القلوب
والشمس تميل الى الغروب
من يعرف أين سيسكن حبيبى الليلة
يصعب أن أراه حتى جاءنى السراب

الآنسة: يا سيدى، إنك لا بد أن تعود الى سريعا مهما حصلت على الوظيفة الحكومية أو لا...

الشاب: لا بد أن أحصل على الوظيفة بالدرجة الأولى، فكما يقولون:

لا بد من الصعود الى قمة الجبل ما دام هناك درب، ولن يرجع مقدم الامتحان إن لم يسجل اسمه على لوحة النجاح الذهبية.

الآنسة: ليست هناك هدية منى لك يا سيدى إلا مقطوعة شعرية من نظمى وهى:

أين حبيبى الذى تركنى وحيدة؟
وأين حبه لى وكان عميقا؟
قد يعطى الآن جميع عواطفه
الى من يصادفه من حبيبة جديدة...

الشاب: لقد أخطأت فى كلامك يا آنستى، فكيف أجرؤ أن أحب فتاة أخرى؟ إننى أهدى اليك مقطوعة شعرية أيضا تعبر عن

شعورى نحوك:

الحياة لقاء وفراق
ومن أقرب الى حتى فى الفراق؟
لن أصادف أحدا يفهمنى كما تفهميننى
أ فلا تعطفين على آهاتى؟

الآنسة: (تغنى)

ملابسى مبللة بالدموع الحمراء
والطيور تطير الى جميع الانحاء
أسأل عن موعد الرجوع قبل الفراق
رغم أن حبيبى سيرحل الى مكان بعيد
فلنشرب أولا كل ما فى الكأس
وقد سكر قلبى قبل أن أشرب الخمر
وعيناى تدمعان دما
وقلبى أصبح رمادا

عندما تصل الى العاصمة
انتبه الى صحتك ومأكلك ومشربك
ولا تأكل وتشرب كثيرا فى الطريق
ولا بد أن تراعى صحتك مع تقلبات الجو
نم مبكرا وأنت فى القرية المهجورة
وقم مبكرا وأنت فى الفندق العتيق
خذ بالك من نفسك ورياح الخريف تهب عليك

مع من أتكلم عن مدى حزنى؟
إن شعورى نحوك لا أحد يعرفه سواى
ضمرت ملامحى من كثرة شوقى اليك
والسماء لا تبالى بأحوالى
فاضت مياه النهر الأصفر من كثرة دموعى
وأحزانى ثقيلة تضغط على قمم الجبل
يزداد حزنى ليلا وأنا مستندة على النافذة الغربية
لا أرى إلا شمس الغروب والدرب العتيق
والصفصاف الذابل على الشاطئ الطويل...

لقد جئنا معا ونحن مبتسمون
ثم نفترق ودموعنا تنهمر
وبعد أن رجعت الى سريرى
لعل دفاءة الأمس ما زالت باقية فى لحافى
ومن سيحس بما أحس به من برودة الليلة؟
إننى أريدك أن تبقى ولا ترحل
ولا أستطيع أن أمسك دموعى وحزنى
عندما أراك تركب الحصان للرحيل
الشاب: هل من وصية أخرى؟
الآنسة (تغنى):
لا تقلق على نتيجة الامتحان

بل أنا قلقة على أن تتزوج عنى
إننى سأراسلك مراسلة مكثفة
فلا تقطع أخبارك عنى
ولا تقل: لن يرجع الممتحن إن لم ينجح فى الامتحان
إذا قابلت فتيات أخريات غريبة الأطوار
لا تفعل معهن مثلما فعلت معى فى هذا المكان

الشاب: أية فتاة يمكن أن تماثلك يا آنستى حتى تخطف لبى؟

الآنسة (تغنى):
الجبل الأخضر يمنع استمرارى فى التوديع
والغابات المتفرقة لا تساعد على مواصلتى فى السير
و الضباب الخفيف يغطى على طريقى
الشمس تميل الى الغروب والدرب العتيق
لا صوت للإنسان إلا صهيل الحصان وأزير الرياح
لماذا أتباطئ فى ركوب عربة العودة
بعد أن جئت بعجلة الى مكان الافتراق؟

الخادمة: لقد رجعت السيدة الكبيرة الى البيت من مدة طويلة، هيا بنا نرجع يا آنستى...

الآنسة (تغنى):
الجبال تحوط عربتى من كل جانب
الحصان المنفرد تضيئه شمس الغروب
هموم الدنيا تثقل على صدرى

فكيف تستطيع أن تحملنى هذه العربة الصغيرة؟
(نزلت الآنسة وخادمتها من على خشبة المسرح)
الشاب: يا غلام، هيا لنلحق الطريق قبل أن تظلم الدنيا،
حتى نستطيع أن نبحث عن مكان للمبيت...
دموعى تنهمر بسرعة جريان المياه
وأحزانى تطارد السحاب الطائر...
(نزل من على خشبة المسرح)

تعريف الكاتب:

وانغ شي فو لا نعرف بالتحديد تاريخ ميلاده أو وفاته، وهو من أهل العاصمة (بكين الآن). إنه كاتب مسرحي قديم. وكان موظفا حكوميا كما كان على دراية كاملة بحياة الممثلين، كتب ١٤ نوعا من المسرحيات الشعرية القديمة، ما تبقى منها الآن ثلاثة أنواع فقط. وقصة الجناح الغربي مسرحية من أبرز إنتاجه الأدبي. كما انها تعد من أعظم الأعمال الأوبرالية التقليدية فى الصين. إنها مسرحية عاطفية تعارض الاقطاع وتبغى حرية الزواج.

ومن الشخصيات البارزة فى المسرحية: الخادمة خون نيانغ والشاب تشانغ شين والآنسة تسوى ين ين. إن هؤلاء الأشخاص معروفون لدى جميع الناس فى الصين وبصفة خاصة الخادمة خون نيانغ. وإن المعنى المجمل للقصة كالتالى:

فى عصر أسرة تانغ، مات رئيس الوزراء، وقد قامت ابنته تسوى ين ين و والدته بدفنه. وفى الطريق سكنتا فى معبد بو جيو. وفى نفس الوقت كان أحد المثقفين الشبان واسمه تشانغ شين ذاهبا الى العاصمة للاشتراك فى الامتحان الحكومى وقد سكن أيضا فى هذا المعبد. وهى المرة الأولى التى تقابلا فيها الشاب تشانغ شين و الآنسة تسوى ين ين، ولكنهما تحابا من اللقاء الأول. بعد ذلك لم يستطيعا اللقاء مرة أخرى. وبالصدفة فى ذلك الوقت، حاصر جيش سون فى خو المعبد و أراد أن يجبر الآنسة تسوى ين ين لتكون زوجة له. حينئذ قالت والدة الآنسة، من يستطيع أن يصد هذا الجيش سوف تزوجه بنتها. ففى الحال قام الشاب تشانغ شين بكتابة خطاب لصديقه الجنرال وطلب منه الحضور لإنقاذه، ففى الحال حضر الجنرال واستطاع أن يهزم الجيش المحاصر. فبذلك يجب أن تصبح الآنسة تسوى ين ين زوجة للشاب. ولكن الوالدة لم تف بوعدها، وطلبت من بنتها أن تنادى على الشاب ب "أخ". وكانت النتيجة أن مرض الشاب مرضا شديدا وذلك لشدة عشقه للآنسة.

ان الخادمة خون نيانغ كانت غير راضية تماما على ما فعلته الوالدة، وكانت متعاطفة مع الآنسة والشاب، لذلك فقد ساعدتهما أن يتقابلا خلسة وتزوجا بشكل غير شرعي. وبعد ذلك عرفت والدتها الأمر بعد فوات الأوان فليس لديها أى شيء يمكن عمله. الا أن تجبر الشاب على الذهاب فورا للاشتراك فى الامتحان الحكومى. وستسمح لهما بالزواج الشرعى بعد أن يتوظف الشاب فى الحكومة. وبعد أن رحل، كذبت الوالدة على بنتها، وقالت لها انه قد تزوج فى العاصمة وأرادت أن تزوجها بابن أخيها.

بعد أن نجح الشاب تشانغ شين فى الامتحان وتوظف، رجع واكتشف كذب الوالدة وتزوج حبيبته فى النهاية.

ان هذا الجزء من المسرحية هو توديع الآنسة تسوى ين ين للشاب تشانغ شين الى العاصمة للاشتراك فى الامتحان الحكومى.

الأدب في عهد أسرتي مينغ وتشيتغ
(١٣٦٨ - ١٩١١م)

نبذة عن الأدب فى عهد أسرتى مينغ وتشينغ

بقلم: لى يان خو
ترجمة: عنايات عبد الحميد

أطاح تشو يوان تشانغ بأسرة يوان عام ١٣٦٨م، وأسس أسرة مينغ التى إنهارت فى عام ١٦٤٤م، فأنشأت بعدها أسرة تشينغ الملكية. ثم إندلعت الثورة بقيادة صن يه سان عام ١٩١١م، فأسقطت أسرة تشينغ الملكية، وتأسست الجمهورية الصينية، وبذلك إنتهى تاريخ الحكم الاقطاعى فى المجتمع الصينى.

كان أبرز الانجازات الأدبية فى أسرة مينغ يتمثل فى الروايات الطويلة والقصيرة. فقد خرجت الى نور الوجود "قصة الممالك الثلاث" فى بداية عهد أسرة مينغ بقلم الكاتب المشهور لو قوان تشونغ. إن هذه الرواية تعتبر أول رواية طويلة شهدتها الصين، وهى رواية تاريخية تعكس الصراعات السياسية والعسكرية والدبلوماسية بين الممالك الثلاث –مملكة وى، مملكة شو، مملكة وو– بأسلوب أدبى رائع.

وفى نفس الوقت ظهرت رواية "الأبطال على جانب البحيرة" للكاتب شه ناى آن، وهى تصف إنتفاضة مجموعة من الفلاحين فى عهد أسرة سونغ، وتتضمن هذه المجموعة مائة وثمانية أبطال من الفرسان الأسطوريين الذين إتخذوا من جبل ليانغ قاعدة لهم للنضال

ضد النظام الحاكم.

ثم جاءت بعد ذلك رواية "حج الى الغرب" للكاتب وو تشنغ ان، وهى رواية أسطورية طويلة، تحكى أن الراهب تانغ ومرافقيه الثلاثة كيف تحدوا الأخطار واتجهوا الى غرب الصين للحج والحصول على الكتب البوذية المقدسة.

وان هذه الروايات الثلاث مشهورة جدا ومعروفة لدى جميع الصينيين. وكانت هذه الروايات تتم صياغتها من جديد بجهود الكتاب على أساس القصص المتداولة على ألسنة الشعب.

أما رواية "أزهار البرقوق فى الزهرية الذهبية" فهى أول رواية طويلة من تأليف الأديب وحده تصف الحياة العائلية باللغة الحديثة.

لقد قدم فنغ مينغ لونغ اسهامات كبيرة فى مجال الأدب الشعبى فى ذلك العهد. فقد أكمل رواية "حكاية مقاومة الشياطين"، وعدل رواية "الحكايات الجديدة عن البلدان العديدة"، كما ألف ثلاث مجموعات من القصص القصيرة وهى: "حكايات لتعليم الناس"، "حكايات لتحذير الناس"، و"حكايات لتنبيه الناس". وتحتوى المجموعات الثلاث على ١٢٠ قصة قصيرة.

وجاءت بعد ذلك مجموعتان من القصص القصيرة أيضا للكاتب لينغ مونغ تشو، وهما: "المجموعة الأولى من القصص العجيبة"، و"المجموعة الثانية من القصص العجيبة".

وشهدت أسرة مينغ إنجازات كبيرة فى الأدب المسرحى أيضا، والأعمال المسرحية فى أسرة مينغ ورثت تقاليد المسرحيات الشعرية المشهورة فى أسرة يوان، بل أضفت عليها ألوانا أسطورية

وورومانسية مثل: "جوسق عود الصليب" للكاتب تانغ شيان زو.

كان أكثر الإنجازات الأدبية فى أسرة تشينغ متمثلة فى الروايات أيضا كشأنها فى أسرة مينغ، وكان أشهر كتاب من القصص القصيرة هو "الحكايات الغريبة بلياو تساى" للكاتب بو سونغ لينغ، وهذه الحكايات مأخوذة كلها تقريبا مما تداول على ألسنة الناس من القصص الغريبة والأساطير العجيبة. أما الرواية الطويلة المشهورة "حلم المقصورة الحمراء" للكاتب تساو شوى تشين فيمكننا اعتبارها أعظم رواية فى الصين القديمة، تصف مأساة الحب بين الشبان والشابات فى عائلة ارستقراطية إقطاعية كبيرة متدهورة. ورواية "على هامش صفوف المثقفين" للكاتب وو جينغ زى قد وصفت المجالات المختلفة فى حياة المثقفين وأفكارهم فى المجتمع الاقطاعى. وظهرت فى اواخر أسرة تشينغ روايات طويلة أخرى مثل "فضائح الحكام" للكاتب لى بو يوان، و"العجائب خلال عشرين سنة" للكاتب وو يان رن الخ.

ومن أشهر المسرحيات فى أسرة تشينغ، "معبد الخلود" للكاتب هونغ شينغ، و"مروحة أزهار الخوخ" للكاتب كونغ شانغ رن.

وفى اواخر أسرة تشينغ، ظهر عدد من الأدباء والمفكرين البرجوازيين الذين شقوا طريقا جديدا لتجديد الشعر من حيث النظرية والتطبيقية، كما أبدعوا أسلوبا جديدا للمقالات النثرية باستعمال اللغة الحديثة، وبذلك قدموا اسهامات كبيرة فى نهضة الأدب الجديد.

رحلة نهرية لجلب السهام البحرية

مأخوذ من: «قصة الممالك الثلاث»
بقلم: لو قوان تشونغ
ترجمة: أحمد دياب

فى الموعد المحدد، اجتمع كبار القادة فى خيمة، ودعوا القائد كونغ مينغ لمناقشة بعض الأمور. وصل كونغ مينغ وجلس على أريكته، فتوجه القائد جو يو اليه بسؤال:

– عما قريب ستدخل قواتنا فى معركة بحرية مع قوات تساو تساو فأى سلاح أفضل فى رأيك.

أجاب كونغ مينغ:

– طالما أن المعركة ستدور فوق النهر الكبير، فإن أفضل سلاح هو القوس والسهم.

قال جو يو:

– ما قلتموه صحيح تماما وهو ما كنت أفكر فيه، فالقوس والسهم هما فعلا من أفضل الأسلحة للمعركة. ولكن السهام التى لدينا لا تكفى لخوض المعركة، ومن ثم فإننا نطمع أن تتكفل بصناعة مائة ألف سهم، لعلنا نستطيع مجابهة العدو بها. إن هذا الأمر من الأهمية بمكان. فهو أمر من أمور الدولة الهامة ونرجو ألا ترفض.

فقال كونغ مينغ:

– طالما كلفتمونى بذلك، فأنا رهن أمركم، ولكن متى تحتاجون الى هذه الكمية من السهام؟

أجاب جو يو:

– هل عشرة أيام تكفى لصنع هذه الكمية من السهام؟

– إن قوات العدو ستهاجمنا فى أقرب وقت، فإذا انتظرنا عشرة أيام فإن الأمر سيكون خطيرا والعاقبة ستكون وخيمة.

– فكم يوما إذا يحتاج اليه السيد كونغ مينغ؟

أجاب كونغ مينغ:

– لا أحتاج الى أكثر من ثلاثة أيام، وستكون مائة ألف سهم جاهزة لديكم.

قال جو يو:

– إن الأمور العسكرية لا تحتمل المزاح..

قال كونغ مينغ:

– ومن ذا الذى يجرؤ على المزاح فى أمر كهذا! إن شئت جعلناه أمرا عسكريا، إذا لم يتم ذلك فى غضون ثلاثة أيام تتخذ العقوبة اللازمة.

انتشى جو يو، وسر سرورا كبيرا وأمر أن يحضر كاتب الجيش على الفور لتسجيل ذلك. وتناول قدحا من الخمر ثم قال لكونغ مينغ:

– ستكون لكم هدية خاصة وعظيمة بعد إنهاء هذا الأمر.

قال كونغ مينغ:

– لقد أوشك اليوم على الانتهاء، فليبدأ العمل الغد، وفى اليوم الثالث يمكنكم أن ترسلوا خمسمائة جندى الى شاطئ النهر لنقل السهام.

تناول كونغ مينغ عدة أقداح من الخمر ثم استأذن ومضى.

كان من بين الجالسين لو سو أحد مساعدى جو يو فقال:

– قد يكون هذا الرجل مخادعا.

فرد القائد جو يو عليه قائلا:

– لقد كفانى مؤونة قتله، وألقى بنفسه فى الهلاك دون أن أجبره على شيء. فالمكتوب العسكرى الذى كتبه على نفسه أمام الجميع، لن يستطيع أن يتحلل منه. وما على إلا أن أصدر أمرا لصناع الأدوات الحربية بالجيش وغيرهم بأن يتعمدوا التأخير فى اعداد المواد اللازمة لصناعة السهام، وهكذا سيكون طبيعيا أن يخلف موعده الذى قطعه على نفسه. وعندئذ يستحق العقوبة، ولا يجد ما يقوله ويمكنك أن تذهب لزيارته اليوم لتستطلع الأمر وتتعرف على حقيقة نواياه، ثم تأتينى بخبره.

ذهب لو سو استجابة لأمر قائده لزيارة كونغ مينغ وجلسا يتحدثان.

قال كونغ مينغ:

– لقد عهدت عليك أن تكتم سرى عنه، لأننى أعرف أنه يريد ايذائى، ولكننى لم أكن أتوقع أن تفشى سرى له. وها قد حدث اليوم ما كنت أتوقعه. فأنى لى أن أصنع مائة ألف سهم حربى فى غضون ثلاثة أيام؟ عليك أن تنقذنى من هذه الورطة.

قال لو سو:

- لقد جلبت على نفسك المصائب، فكيف أستطيع مساعدتك؟

أجاب كونغ مينغ قائلا:

- أرجو أن تعيرنى عشرين قاربا، على كل قارب ثلاثون جنديا، وفوق كل قارب ستار من القماش، وألف من خيال الظل المصنوع من القش موزعة على جانبى القارب. وعندى تدبير حكيم لهذا الأمر. إذا استطعنا توفير ذلك، فسيكون لدينا فى اليوم الثالث مائة ألف سهم. ولكن يجب ألا يعرف القائد جو يو عن ذلك الأمر شيئا، وإلا فشل التدبير.

وافق لو سو بلا تردد، ولكنه لم يفهم قصد كونغ مينغ ولا ما يخطط.

رجع لو سو الى قائده جو يو واطلعه على الأمر. غير أنه لم يذكر أمر اعارة القوارب لكونغ مينغ. فقط أخبره أن كونغ مينغ لا يحتاج الى خيزران ولا ريش أو صمغ أو غير ذلك من المواد اللازمة لصنع السهام الحربية.

فقال جو يو وهو يشك فى قدرة كونغ مينغ على ذلك:

- لننتظر ما سيعود به الينا بعد الأيام الثلاثة.

ووفاء بالوعد، أعد لو سو عشرين قاربا سريعا وزود كلا منها بالستائر والقش وغيرها من المواد التى طلبها كونغ مينغ، وعلى ظهر كل منها أكثر من ثلاثين جنديا. مر اليوم الأول دون أن يفعل كونغ مينغ شيئا، وهكذا مر اليوم الثانى ولم يره يفعل

شيئا أيضا، وفى الهزيع الأخير من ليلة اليوم الثالث، دعا كونغ مينغ لو سو أن يتوجه سرا الى القوارب. فسأله لو سو:

- لماذا دعوتنى الى هنا فى مثل هذا الوقت؟

قال كونغ مينغ:

- لقد دعوتكم خصيصا لتذهب معنا لإحضار السهام الحربية.

فقال لو سو مندهشا:

- من أين نحضرها؟

- لا داعى للسؤال الآن، عندما نصل الى المكان ستعرف بنفسك.

ثم أمر أن تربط القوارب العشرون بحبل طويل لتبحر صفا واحدا تجاه الشاطئ الشمالى. كان الظلام حالكا والضباب كثيفا، وكان أشد كثافة فوق سطح نهر اليانغتسى حتى لا تستطيع أن ترى من أمامك. وقبيل الفجر، كانت القوارب قد اقتربت من المعسكر البحرى لقوات تساو تساو المعادية، فأمر كونغ مينغ القوارب أن تنتظم فى صف واحد كالشريط مقدمتها ناحية الغرب والمؤخرة الى الشرق. وأمر الجنود أن يقرعوا الطبول ويصيحوا بصوت عال ويثيروا جلبة كبيرة. فقال لو سو:

- ماذا لو خرج جنود العدو الينا الآن؟

فضحك كونغ مينغ وقال:

- أعتقد أن قوات تساو تساو لا تجرؤ على الخروج فى مثل هذا الضباب الكثيف. لا عليك! لنشرب أقداح الخمر،

وعندما ينقشع الضباب سنعود.

عندما سمعت قوات تساو تساو قرع الطبول والجلبة التي يثيرها الجنود، هرع كل من ماو جي و يو جين الى القائد تساو تساو ليخبراه بالأمر. فأصدر تساو تساو على الفور أوامره:

– إن الضباب الكثيف يحجب الرؤية، ولا نستطيع أن نميز قواتنا عن قوات العدو، ولا بد أن ثمة كمينا أعد لنا، فعلينا أن نتوخى الحذر ونتحرك بحساب. وعلى القوات البحرية أن يحملوا أقواسهم ويطلقوا سهامهم كيفما اتفق. ولنرسل على الفور الى تشانغ لياو و يو هوانغ في المعسكر البرى كى يمدونا على عجل بثلاثة آلاف من الرماة، ليساعدوا في اطلاق السهام من شاطئ النهر.

قبل أن تجيء أوامر أخرى، كان ماو جى ويو جين يخافان من اقتحام قوات الجنوب للمعسكر البحرى لهم. ولذا فقد أمر الرماة أن يستعدوا ويضعوا السهام في الأقواس تأهبا للذود عن المعسكر. لم يمض وقت طويل حتى كان أكثر من عشرة آلاف من الرماة قد وصلوا من المعسكر البرى. واجتمع الرأى على توجيه سهامهم تجاه النهر، فانهمرت السهام كالمطر على قوارب كونغ مينغ. وعند ذلك أمر كونغ مينغ قواربه أن تستدير حتى تكون المقدمة الى الشرق والمؤخرة الى الغرب، وتقترب من معسكر تساو تساو البحرى لتصيد سهامهم التى يطلقونها. وهم ما زالوا يقرعون الطبول ويثيرون الجلبة والصياح بصوت عال.

عندما أشرقت الشمس قد امتلأ كل القماش والقش وخيال

الظل على جانبى السفن بالسهام. وأمر كونغ مينغ جنوده أن ينادوا على قوات تساو تساو فى صعيد واحد وبأعلى صوت:

- نشكركم يا فخامة الرئيس.

عندما وصلت هذه الأنباء الى القائد تساو تساو فى معسكره، كانت قوارب كونغ مينغ قد شقت عباب الماء وبعدت عن معسكرهم عشرين ميلا. وبقى تساو تساو يعض أنامله من الغيظ.

في طريق عودته، قال كونغ مينغ للو سو:

- كل قارب من القوارب العشرين عليه خمسة أو ستة آلاف سهم حربى، وهكذا نكون قد حصلنا على مائة ألف سهم ونيف دون أن نكلفكم شيئا. وعما قريب نغزو قوات العدو ونرشقهم بسهامهم.

قال لو سو:

- يا لكم من داهية! كيف عرفتم أن اليوم سيكون الضباب بهذه الكثافة؟

أجاب كونغ مينغ قائلا:

- إن قائدا عسكريا يتحمل مسئولية جيش وليست له دراية بعلم الفلك ولا معرفة بعلم الجيولوجيا والكهانة، والطبوغرافيا فهو قائد فاشل، لا حول له ولا قوة. إننى بحسابات فلكية، عرفت قبل ثلاثة أيام أن اليوم سيكون كثيف الضباب، ولذلك تكلفت بالأمر فى غضون ثلاثة أيام. وإنه لأمر واضح للعيان أن القائد جو يو كان يبيت النية لقتلى حينما كلفنى بتجهيز مائة ألف سهم فى

غضون عشرة أيام وأنا لا أملك الصناع ولا المواد اللازمة لذلك. ولكن أجلى بيد السماء، ولا يستطيع السيد جو يو أن يقدم في عمرى أو يؤخر.

هنا اشتد إعجاب لو سو بكونغ مينغ وازداد احتراما له.

وصلت القوارب الى شاطئ النهر، وكان القائد جو يو قد أرسل خمسمائة جندى ينتظرون عند الشاطئ لنقل السهام. فأمر كونغ مينغ الجنود بالصعود الى القوارب وأخذ السهام التى زادت عن مائة ألف سهم وتوصيلها الى المعسكر.

دخل لو سو على القائد جو يو وأخبره بنبأ السهام، وكيف استطاع كونغ مينغ الحصول عليها، فتملكته الدهشة وهمهم قائلا:

– يا له من ذكى محنك، أنى لى أن أباريه!

وتوارث الناس قصة الرحلة النهرية لجلب السهام الحربية، وأصبحوا ينشدون فى مدح ذكاء القائد كونغ مينغ أو جو قى ليانغ بكلمات تالية:

أسدل الضباب أستاره الكثيفة
فوق صفحة نهر اليانغتسى
وأقبلت سهام العدو تهطل كالسيل
فوق خيال الظل على متن القوارب
كجماعات الجراد بعضها خلف بعض
تتزاحم
لتشهد أن كونغ مينغ حقا أسطورة
الذكاء..

معركة تشى بى

مأخوذ من: «قصة الممالك الثلاث»
بقلم: لو قوان تشونغ
ترجمة: أحمد دياب

كان جو يو يقف فوق الجبل، يتفقد المكان لوقت طويل. وفجأة وقع على ظهره، وسال الدم من فمه، وراح فى غيبوبة، فأسرع الجنود من حوله يأخذه الى خيمته. أقبل جميع القادة يزورونه ويواسونه، ويطمئنون عليه. وأخذوا ينظرون الى بعضهم، ويقولون فى دهشة:

- إن قوات تساو تساو تبلغ حوالى مليون جندى، وهم كالنمور المتحفزة والحيتان المتربصة، فماذا نفعل إذا زحفت هذه الجموع المحتشدة الينا ونحن على هذه الحالة؟

وأرسلوا على عجل رئيس الدولة بالأمر ومن ناحية أخرى طلبوا لعلاج جو يو.

دخل لو سو على جو يو وهو طريح الفراش، فخرج وهو حزين القلب متضايق الصدر، ثم ذهب الى كونغ مينغ ليخبره بأمر مرض جو يو، فقال كونغ مينغ:

- ماذا يجب علينا أن نفعل؟

قال لو سو:

– إن مرض جو يو شيء سار جدا بالنسبة الى تساو تساو، ولكنه كارثة بالنسبة لنا، فهو من حسن طالعهم، وسوء ونكد طالعنا.

ابتسم كونغ مينغ قائلا:

– إننى أستطيع أن أعالج مرض جو يو حتى يشفى.

قال لو سو:

– إن استطعت ذلك حقا، فان ذلك سيكون من حسن حظ بلادنا.

وطلب من كونغ مينغ أن يذهب معه على الفور لزيارة جو يو لعلاجه.

سبق لو سو بالدخول على جو يو وقد كان نائما على الفراش، واضعا اللحاف على وجهه.

فقال لو سو:

– كيف حالك الآن مع المرض يا سيدى؟

أجاب جو يو:

– أحس باضطرابات فى القلب والبطن، واننى لا أكاد أفيق حتى أصاب بالدوخة مرة أخرى وأذهب فى غيبوبة.

قال لو سو:

– هل تناولت دواء لذلك؟

قال جو يو:

– عندى ميل دائما للقيء، ولا أستطيع تناول الدواء.

قال لو سو:

- ذهبت منذ قليل الى كونغ مينغ، وأخبرني بأنه يستطيع علاجكم. وهو الآن ينتظر خارج الخيمة، هل نستدعيه ليعالجكم؟

فأمر جو يو بأن يتفضل بالدخول، وطلب الذين في جواره أن يساعدوه كي ينهض ويجلس على السرير.

قال كونغ مينغ:

- لم أر طلعتك منذ عدة أيام، ولم يخطر ببالي أن صحتكم الغالية ليست على ما يرام!

قال جو يو:

- لا يعرف الإنسان الغيب ولا متى يمرض، ولا متى يعافى، ولا يملك الإنسان أن يقرر شيئا حيال ذلك.

فقال كونغ مينغ مبتسما:

-حقا لا يملك الإنسان أن يقرر ما يحدث بين لحظة وأخرى، فأنى للإنسان أن يتوقع الغيب؟!

وما إن سمع جو يو هذا الكلام حتى تغير لونه وراح يتأوه.

قال كونغ مينغ:

- هل ضاق صدرك بذلك يا سيدى، وشعرت بالانزعاج؟

قال جو يو:

- نعم

قال كونغ مينغ:

- في البداية يجب أن نعالج الحالة النفسية حتى يقوم كل عضو بمهمته الفسيولوجية وعند ذلك ستنتظم عملية التنفس بالتأكيد.

أدرك جو يو من كلام كونغ مينغ أنه قد عرف نيته وما يدور في خلده، فأخذ بطرف حديثه على الفور وأجاب قائلا:

– وحتى تنتظم وظائف أعضاء جسمي، فماذا يجب أن آخذ من دواء؟

ابتسم كومغ مينغ قائلا:

– عندى وصفة طبية يمكن أن تستعيد بها صحتك.

قال جو يو:

– أرجو منكم أن تتفضلوا بوصفها لى.

فطلب كونغ مينغ ممن حوله احضار قلم وورقة، ثم طلب منهم أن يتنحوا جانبا، وخط فى سرية كلمات تالية: .

"إذا أردنا هزيمة تساو تساو، فعلينا أن نهجم عليهم بالنيران، وكل شيء جاهز معد، ولكن تبقى الحاجة الى الرياح الشرقية."

انتهى من الكتابة ثم أعطى الورقة لجو يو وقال:

– ذلك هو سبب مرضك يا سيدى.

دهش جو يو وقال فى نفسه:

– يا له من داهية، فهو قد عرف ما بداخلى منذ فترة! ولا مفر إذا من أن أصارحه بالحقيقة.

فضحك وقال:

– لقد عرف السيد السبب الحقيقى لمرضى، فما نوع الدواء الذى سيعالج المرض؟ الأمر ملح وعاجل، وأرجو أن تخبرنى على الفور بالعلاج.

أجاب كونغ مينغ:

- بالرغم من قلة امكاناتي وقصر باعي في ذلك، فقد صادفت من زمن شخصا عجيب الأطوار، وقد علمني هذا الرجل كتابا يحوى كثيرا من العجائب، وينبأ بالمستقبل، ويمكنني أن أستدعى الرياح والأمطار، وإذا كنت يا سيدى تحتاج الى رياح جنوبية شرقية فعليك أن تبنى منصة على جبل "نان بينغ شان"، وتطلق على هذه المنصة اسم "معبد النجوم السبعة" بارتفاع ثلاثة أمتار، وتجعله ثلاثة طوابق، كل طابق على ارتفاع متر. ثم ليقف حوله مائة وعشرون رجلا، يرفع كل منهم علما وسأقف فوق المنصة، أتلو بعض الكلمات السحرية لأستعير الرياح الجنوبية الشرقية مدة ثلاثة أيام بلياليها، لتساعدك على قتال العدو. ما رأيكم في ذلك.

قال جو يو:

- لا داعى لثلاثة أيام بلياليها، فليلة واحدة تهب فيها الرياح تمكننا من النجاح فى هزيمة العدو، ولكن الأمر ملح الآن، ولا يمكن أن نتمهل أو نتأخر فيه.

- إذن لنستدعى الرياح فى اليوم العشرين من شهر نوفمبر، ثم نأمرها بالسكون فى اليوم الثانى والعشرين من نفس الشهر. ما رأيكم فى ذلك؟

ما إن استمع جو يو لذلك حتى سر سرورا كبيرا، وقام على الفور من سريره، وأمر على الفور بخمسمائة جندى من الجنود الأقوياء، ليذهبوا الى جبل "نان بينغ شان" لبناء هذا المعبد، كما أرسل مائة وعشرين رجلا معهم الأعلام والرايات لحماية المعبد،

ولينتظروا الأوامر.

استأذن كونغ مينغ خارجا، ثم امتطى الجواد هو ولو سو واتجها الى جبل نان بينغ شان يتفقدون الموقع ويستطلعون المكان. ثم أمر الجنود بجلب التراب الأحمر من منطقة الجنوب الشرقي لإقامة المعبد على مساحة دائرية قطرها ثمانون مترا، وعلى شكل ثلاث طبقات بعضها فوق بعض، كل طبقة ارتفاعها متر، وعلى الطبقة الأولى ثبتت ثمانية وعشرون علما تحيط بالمعبد موزعة على كل اتجاه، شرقا وغربا، شمالا وجنوبا. وفى الطبقة الثانية نصبت أربعة وستون علما أصفر. والطبقة العليا يقف فيها أربعة أشخاص، لف كل منهم شعره الطويل وارتدى قبعة، ولباسا طويلا أسود اللون، وحزم وسطه بحزام مثبت فيه شرائط من القماش كما لبس حذاء أحمر اللون. يقف أحدهم ناحية الشمال أمام المعبد وفى يده عود طويل، مثبت أعلاه ريش الطيور، ليشير للرياح بالقدوم. وناحية اليمين يقف آخر وفى يده عود طويل أيضا، وفى أعلاه شارة مربوطة للنجوم السبعة، لتعبر عن اتجاه الرياح. وفى الخلف جهة الشمال يقف ثالث رافعا سيفه، وفى جهة اليمين يقف الرابع وفى يده مبخرة، وأسفل المعبد يقف أربعة وعشرون رجلا فى أيديهم أعلام وشارات وأنواع مختلفة من الأسلحة. وقد أحاطوا المعبد من كل جهة.

فى يوم رائع مهيب وافق العشرين من نوفمبر، أخذ كونغ مينغ حماما وكان صائما وارتدى الملابس التى تميز معتنقى ديانة الطاوية حافى القدمين أشعث الرأس.

وتقدم حتى وقف أمام المعبد ثم قال للو سو:

– اذهب أنت الى الجيش لتساعد جو يو فى تنظيم الجنود، واذا ضاعت صلاتى، ولم تحقق شيئا، فليس لكم أن تلومونى فى ذلك.

فاستأذن لو سو ومضى، ثم نادى كونغ مينغ على الضباط والجنود الذين يحمون المعبد قائلا:

– ليلتزم كل منكم مكانه ولا يغادره، ولا يسمح بالتهامس بينكم والنجوى، ولا بإلقاء الكلام جزافا، كما لا يسمح بإبراز مظاهر الدهشة والتعجب وحركات الاستغراب، والذى يخالف تلك الأوامر، سوف أقتله.

استجاب الجميع للأوامر. بدأ كونغ مينغ يصعد خطوة خطوة ببطء الى أعلى المعبد، ثم حدد المكان الذى يقف فيه، كى يستطلع السماء، ثم أشعل البخور ووضعه فى المبخرة، ثم صب بعض الماء فى وعاء. ورفع رأسه الى السماء وراح يصلى فى نفسه ويسر بالدعاء. وبعد أن انتهى من صلاته، نزل من المعبد ثم دخل خيمته ليستريح قليلا. وأمر الجنود أن يذهبوا لتناول الطعام بالتناوب.

استمر كونغ مينغ يفعل هكذا ويصعد وينزل ثلاث مرات فى اليوم، ولكن لم يظهر أثر للرياح الجنوبية الشرقية. دعا جو يو تشنغ يو ولو سو وغيرهما من الضباط لينتظروا فى الخيمة حتى اذا هبت الرياح المنتظرة، يمكن أن يبدأوا على الفور فى تنظيم الصفوف واعداد الجنود. ومن ناحية أخرى أرسل من يخبر الملك سون

تشوان بأخبارهم ليمدهم بمدد أو يرسل بتعليماته اليهم. وكان خوانغ قاى قد أعد بنفسه عشرين سفينة، فى مقدمة كل سفينة ثبتت عدة مسامير كبيرة الحجم، وعلى متنها أكوام من الحطب والخيزران، قد سكب عليها الزيت، كما وضعت عليها كمية من الكبريت وغيرها من المواد السريعة الاشتعال والإنفجار. وغطيت هذه الأشياء بقماش أسود. كما كانت مقدمة السفن على شكل تنين يثبت عليه علم مشرشر، وفى مؤخرة كل سفينة ربط قارب صغير للطوارئ والإغاثة. ثم جلس فى خيمته ينتظر أوامر.

كان جو يو وغيره من القادة يجلسون فى المعسكر المائى. وينشغل كل منهم فى تناول الخمر يوميا، ولا يسمحون لأحد من الجنود بالاقتراب من هذا المكان. وكان الجنود الخيالة لمملكة وو الشرقية يحيطون بالمكان من كل جهة إحاطة السوار بالمعصم حتى أنه لا يستطيع أحد أن يتسرب من بين أيديهم، وينتظرون الأوامر من القيادة.

وبينما كان جو يو مجتمعا فى خيمته، إذ جاءه الخبر من الاستطلاع يقول:

– إن سفن الملك قد رست على بعد خمسة وثمانين ميل فى انتظار أخبار سارة منكم.

فأرسل جو يو ولو سو ليخبرا جميع الضباط والجنود فى كل أنحاء المعسكر: أن يقوموا بتجهيز السفن والأدوات الحربية، والأشرعة والمجاديف، وعندما تصدر الأوامر، يجب أن يتحركوا على الفور، والذى يتمرد أو يخالف الأوامر، سوف يعاقب حسب

القانون العسكرى.

بعد أن تلقى جميع الضباط والجنود الأوامر، أخذ كل منهم أهبته وشمر عن ساعده استعدادا لخوض المعركة.

فى هذا اليوم قارب النهار أن ينتهى، ولكن السماء ما تزال صافية وليس هناك أثر لهبوب رياح. فقال جو يو للو سو:

- ان ما قاله كونغ مينغ هو محض افتراء، أنى تهب رياح جنوبية شرقية، ونحن فى الشتاء؟!

قال لو سو:

- أعتقد أن كلام كونغ مينغ صادق تماما.

عندما اقترب الوقت من منتصف الليل، سمع صوت الرياح فجأة، وبدأت الأعلام ترفرف.

عندئذ خرج جو يو من خيمته، ونظر الى الأعلام، فوجدها ترفرف جهة الشمال الغربى، ولم تمض برهة إلا والرياح الجنوبية الشرقية تهب بقوة.

توجس جو يو خوفا وقال:

- إن هذا الرجل لديه قدرة على الاتصال بقوى الكون والتأثير فيها. حتى الجن لا يستطيع أن يعرف مدى امكاناته وحيله، وإذا بقى هذا الرجل حيا، فسوف يكون أصل الكوارث التى تحل على المملكة. يجب أن نسارع فى قتله، حتى لا يجلب علينا المتاعب بعد ذلك.

نادى جو يو على الحارسين اللذين كانا أمام خيمته وهما دنغ فينغ، وشو تسنغ، وقال:

– اذهب كلاكما على رأس مائة جندى وليسلك شو تسنغ طريق النهر ويسلك دنغ فينغ طريق البر ولتلتقيا هناك حيث المعبد الذى أقامه كونغ مينغ عند جبل نان بينغ شان دون أن تقولا أى شيء، اقبضا على كونغ مينغ واقطعا رأسه، وسوف آمر لكما بالنياشين والأسلحة.

تلقى كلاهما الأوامر. فأخذ شو تسنغ سفينة عليها مائة جندى ومعهم الفئوس و السيوف وشرعوا يجدفون تجاه المعبد. وأما دنغ فينغ فقد امتطى جواده ومعه مائة جندى على خيولهم بأقواسهم ورماحهم واتجهوا قاصدين جبل نان بينغ شان حيث المعبد أيضا. وفى الطريق كانت تهب عليهم الرياح الجنوبية الشرقية التى استدعاها كونغ مينغ. وهكذا سجل الزمان وردد الناس يمتدحون براعة كونغ مينغ، فيقولون:

كان كالتنين شامخا فوق معبد النجوم السبعة.
ينادى الرياح بليل، فهبت تراقص أمواج النهر...
ولولا حيلة كونغ مينغ وبراعته العجيبة...
لم تكن لجو يو حيلة ولما اهتدى الى سبيلها...

كان دنغ فينغ أول من وصل الى المعبد، فوجد الجنود الذين يحملون الأعلام واقفين فوق المعبد والرياح تهب على وجوههم. فترجل عن جواده، وصعد الى المعبد شاهرا سيفه، ولكنه لم يجد كونغ مينغ، فسأل حراس المعبد فى قلق، فقالوا:

– لقد نزل لتوه من فوق المعبد.

فنزل دنغ فينغ بسرعة يجد في البحث عن كونغ مينغ. وفي هذه الأثناء، وصل شو تسنغ، والتقيا عند شاطئ النهر. فقال أحد الجنود:

– ليلة أمس كانت هناك سفينة ترسو عند الشاطئ، ومنذ قليل رأيت كونغ مينغ ركب هذه السفينة على عجل، واتجه بالسفينة الى أعالي النهر.

شرع دنغ فينغ وشو تسنغ يتعقبان كونغ مينغ نهرا وبرا. وقد أمر شو تسنغ الجنود برفع الأشرعة تجاه الرياح حتى تسير السفينة بسرعة. ونظر فوقعت عيناه على سفينة ليست عنه ببعيدة. فوقف على مقدمة السفينة، ونادى بصوت عال:

– سيدي المشير كونغ مينغ، لا تغادر، القائد جو يو يطلبك.

كان كونغ مينغ يقف على مؤخرة سفينته، يقهقه قائلا:

– عد الى قائدك، وأخبره بأن يحسن قيادة جنوده ويوجههم جيدا. سوف أعود مؤقتا الى شيا كو، بعد أيام قلائل، سوف أعود لمقابلته ثانية.

قال شو تسنغ:

– إن القائد جو يو لديه كلام مهم يريد اخباركم به، فهلا أجلت عودتك الى شيا كو قليلا!

قال كونغ مينغ:

– أيها الرجل لا داعي أن تتعقبني أنت وجنودك، فأنا

أعرف سلفا أن جو يو لا يريدنى على قيد الحياة ويسعى مؤكدا فـى قتلـى، لذا فقد أرسلـت الـى الجنرال جاو زى لونـغ ليأتـى لاستقبالى. فعد من حيث أتيت.

نظر شو تسنغ الى سفينة كونغ مينغ، فوجدها سفينة مكشوفة ليس عليها شيء، فلم يأبه بكلام كونغ مينـغ ومضـى مصرا علـى تعقبه.

عندما اقترب من سفينة كونغ مينغ، كان جاو زى لونغ واقفا على مؤخرتها، وقد وضع سهما فى قوسه ووجهه الى شو تسنـغ، وهو يهدر فيه قائلا:

– ها أنا ذا جاو زى لونغ، جئت لاستقبال المشير كونـغ مينغ حسب طلبه، فما الذى أتى بـك تتعقبنا؟ اننـى أستطيـع أن أرمى بالسهم فى نحرك فأقتلك، غير أننى أخشى على الاتفاق الذى بيننا...وسأعطيك فقط مثلا لما يمكن أن أفعل!

ما ان أنهى كلامه، حتى أطلق السهم على حبل شراع سفينة شو تسنغ، فقطعه وسقط الشراع فى النهر، وانحرفت السفينة عـن مسارها، ومالت على جنبها وعند ذلك رفـع جاو زى لونـغ شراع سفينته، ومضى مع الرياح، فأطلقت السفينة رجلها للرياح.

نادى دنغ فينغ على زميله شو تسونغ بأن يرسو بسفينته الـى الشاطئ وقال:

– إن كونغ مينغ رجل داهية، لا يباريه فـى ذكائـه أحد، فإذا كان معه رجل مثل جاو زى لونغ، فإن قوة مهما كانـت لا تستطيـع أن تتمكـن منهما. فلنعد أدراجنا ونخبر جو يو بما قالاه

وينتهى الأمر...

رجع دنغ فنغ وشو تسنـغ وأخبراه بأن كونـغ مينـغ كان قد أرسل سلفا الى جاو زى لونغ ليأتى ويأخذه، فعجب عجبا شديدا وقال:

- ما أكثر حيل هذا الرجل، إنه يجعلنى أعيش فى قلق ليل نهار.

قال لو سو:

- لننتظر إذن حتى نهزم تساو تساو، وبعد ذلك نحاول معه مرة أخرى...

تعريف الكاتب:

في الحقيقة ان المراجع التى تناولت حياة لو قوان تشونغ قليلة جدا، والراجح أنه عاش في الفترة من عام ١٣١٠ الى عام ١٣٨٥ من الميلاد. ومن ثم فقد عاصر نهاية حكم أسرة "يوان" وبداية أسرة "مينغ"، ويعد لو قوان تشونغ من مشاهير الروائيين الصينيين. ويمكننا من خلال أعماله الأدبية التى خلفها، ومما كتب عنه أن نقول إنه كان رجلا ذا مثل ومبدأ، وله خبرات سياسية وعسكرية أيضا. وقد كتب الى جانب الرواية مسرحيات أيضا. بيد أن نتاجه الروائى كان أكثر نضجا وأعظم أثرا وتأتى رائعته "قصة الممالك الثلاث" على رأس أعماله الروائية. وله أيضا ثلاث روايات أدبية أخرى.

تعد "قصة الممالك الثلاث" من أعظم الأعمال الروائية الطويلة فى الأدب الصينى القديم. وتقع الرواية فى مائة وعشرين فصلا. وقد كتبها لو قوان تشونغ فى نهاية أسرة "يوان" وبداية أسرة "مينغ" وهى رواية تاريخية حكت فى إطار فنى ما جاء فى كتب التاريخ عن فترة "الممالك الثلاث المتحاربة" من ملاحظات وحكايات وأمثال ووقائع. ويذكر البعض أن جل هذه الحكايات هى وقائع حقيقية، وأن أقل من الثلث هو من نسج الخيال جاء فى إطار الحبكة الفنية. وقد جعل الكاتب من الصراع والتناقض بين الممالك الثلاث - مملكة "وى" ومملكة "شو" ومملكة "وو" - خطا رئيسيا لسرد الأحداث، ووصف ما وقع بينها من صراع سياسى وعسكرى ودبلوماسى، وما قام به بعض شخصياتها من أعمال. وتعد الرواية تاريخا لفترة قاربت على ٢٠٠ عام (١٨٤م - ٢٨٠م)، وتسير الرواية فى خط فكرى واحد، فهى ترفع من شأن "ليو بى" قائد مملكة "شو"، وتضع من شأن "تساو تساو" قائد مملكة "وى"، وهى تثنى ما استطاعت على شخصيات مملكة "شو" من امثال "ليو بى"، "قوان يو"، "جانغ فى". وتبرز الرواية مختلف الخبرات والأساليب التى استخدمت فى مختلف الصراعات التاريخية فى الصين وذلك من خلال الصراع بين الممالك الثلاث. وتعد الرواية وصفا جيدا لمعركة ضخمة واسعة

النطاق معتمدة بصفة أساسية على الشخصيات فى صياغة النشاط الدبلوماسى وصراع الحكمة والقوة قبل وبعد المعركة، وكذلك التغيرات التى طرأت على الجانبين فى استراتيجية وفنون الحرب، والتحولات فى موازين القوة بين الطرفين المتحاربين. وقد عكست وصورت بنجاح حجم المعارك صغيرة وكبيرة بطابعها المميز. وقد صيغ عدد كبير من الشخصيات الحية فى هذه الروايات مثل "جو قى ليانغ" أو "كونغ مينغ"، و"قوان يو" و"جانغ فى" و"ليو بى" من مملكة "شو"، و"تساو تساو" من مملكة "وى"، و"جو يو" و"لو سو" من مملكة "وو" وغيرهم. وبعض هذه الشخصيات ترمز الى معان معينة لدى الصينيين، فعلى سبيل المثال شخصية "جو قى ليانغ" تعد رمزا للذكاء والفطنة، وشخصية "تساو تساو" رمزا للنفاق والخداع، وشخصية "قوان يو" رمزا للاخلاص والأمانة، و"جانغ فى" رمزا للشجاعة والقوة. وقد كانت رواية "قصة الممالك الثلاث" فاتحة خير للروايات التاريخية فى الصين، إذ ظهر بعدها عدد كبير من الروايات التاريخية..

الاستيلاء على هدايا عيد الميلاد

مأخوذ من: «الأبطال على جانب البحيرة»
بقلم: شه ناى آن
ترجمة: حسين إبراهيم

يحكى أن الحاكم ليانغ بقصر دامين ببكين، قد جمع هدايا عيد ميلاد الوزير التى تقدر بمائة ألف درهم، وراح يفكر فى الوقت المناسب والشخص المناسب الذى سيعهد اليه بمهمة ارسال هذه الهدايا، وفى أحد الأيام أثناء جلوسه فى غرفة المعيشة، سألته زوجته السيدة تشاى:

– متى ترسل هدايا عيد الميلاد الى الوزير؟

أجاب ليانغ قائلا:

– لقد إنتهيت من إعدادها، وسأرسلها غدا أو بعد غد. ولكن هناك أمر ما أتردد فى إتخاذ القرار بشأنه.

– أى أمر هذا؟

– أنفقت فى العام الماضى ألف درهم فى شراء جواهر وأرسلتها الى مدينة دونغ جين، ولكنى أسأت إختيار من يحملها، فسطا عليها قطاع الطرق ولم أستردها حتى اليوم، وهذا العام لم أجد بعد الشخص المناسب الذى يصلح لهذه المهمة.

أشارت زوجته الى حارس يقف الى جوار عتبة الباب قائلة:

– إنك دائما تقول عن هذا الفتى ان له قدرات عظيمة، فلم لا تعهد اليه بهذه المهمة؟

نظر الحاكم الى الحارس الذى يقف الى جوار عتبة الباب، فوجده يانغ تشى الملقب بالبطل ذى الوحمة السوداء، فسر لذلك واستدعاه اليه وقال له:

– كيف لم تخطر لى على بال؟ اذا استطعت أن ترسل هدايا هذا العام، سأجزل لك العطاء.

انحنى يانغ تشى قائلا:

– سمعا وطاعة يا سيدى، لكن كيف أستعد لهذه المهمة حتى أشرع فى تنفيذها ؟

– سأطلب من قصر دامين أن يعد عشر عربات تجرها الخيول، وسوف أختار عشرة فرسان من حاشيتى ليقوموا بمراقبة العربات، وسوف نضع الأعلام الامبراطورية على العربات وتكتب عليها عبارة "هذه هى هدايا عيد ميلاد وزير الامبراطور". وسوف تحاط كل عربة بعدد من الحراس، وسيتم التحرك فى غضون ثلاثة أيام.

أجاب يانغ تشى:

– لا يمكننى أن أخالف أوامرك، ولكننى لا أجد فى نفسى المقدرة على إتمام هذه المهمة، فأرجو من سيدى الحاكم أن يعهد بها الى غيرى من الفرسان الأبطال.

قال الحاكم:

– إننى أود أن أرفع من شأنك، وسأكتب رسالة لوزير

الامبراطور وأضعها مع قائمة الهدايا حتى أزكيك عنده وتعود حاصلا على أمر الترقية، فكيف تعتذر عن أداء هذه المهمة وترفضها إذن؟

أجاب:

– سيدى لقد سمعت أن هدايا العام الماضى قد سرقت ولم تسترد حتى اليوم. وما أكثر قطاع الطرق هذا العام! كما أن الطرق المؤدية الى العاصمة دونغ جين كلها برية، ولا يوجد بينها طريق بحرى واحد. وسوف نمر بجبل دى جين وجبل إرلونغ وجبل تاوخوا وجبل سان قاى وتل خوانغ نى وميناء باى شا ومرفأ يى يون وغابات تشى سونغ، وكل هذه الأماكن يختبئ بها قطاع الطرق حتى أن المسافرين العاديين لا يجرؤون على المرور بهذه الأماكن. ولو علم قطاع الطرق أن العربات محملة بالجواهر والذهب فلن يتوانوا عن مهاجمتها واغتصاب ما بها، وبالتالى سوف نلقى حتفنا جميعا، ولذا فأنا لا أرغب فى القيام بهذه المهمة.

أجاب الحاكم ليانغ:

– ما دام الأمر هكذا، فيكفى أن نزيد عدد الفرسان لحماية العربات.

قال يانغ تشى:

– سيدى! لا جدوى من هذا، حتى ولو أرسلت عشرة آلاف فارس، فسوف يهربون جميعا بمجرد سماعهم بقدوم قطاع الطرق.

رد الحاكم ليانغ:

- هكذا ترى أنه من الأحرى ألا نرسل الهدايا، أ ليس كذلك؟

قال يانغ تشي:

- استطيع القيام بهذه المهمة لو وافقت على خطتي.

أجاب الحاكم ليانغ:

- لقد كلفتك بهذا الأمر فكيف لا أوافق على خطتك؟ اخبرني بما يدور بخلدك.

قال يانغ تشي:

- بناء على خطتي لن نكون بحاجة الى العربات، وسوف نضع الهدايا داخل عشر جرات، وسأحتاج الى شخص يتنكر في صورة تاجر بالإضافة الى عشرة حراس أقوياء يتنكرون في صورة حمالين يحملون هذه الجرات، وسوف نرسلها الى دونغ جين ليلا خلسة، وهذه هي أفضل وسيلة لإرسال الهدايا.

فقال الحاكم ليانغ:

- لقد أصبت في كلامك، وسوف أكتب رسالة الى الوزير أزكيك فيها حتى تعود من عنده بأمر ترقيتك.

قال يانغ تشي:

- شكرا لك يا سيدى على مساعدتك.

وذات يوم، استدعى الحاكم ليانغ الحارس يانغ تشي، وطلب منه أن يعد الأمتعة والهدايا ويختار الحراس الأقوياء. وفي اليوم التالي حضر يانغ تشي، وانتظر في بهو القصر حتى خرج الحاكم ليانغ وسأله:

- متى ترحل؟

فرد يانغ تشى قائلا:

- سوف نرحل صباح الغد، ونحن فى انتظار أوامرك يا سيدى.

قال الحاكم ليانغ:

- لقد أعدت زوجتى بعض الهدايا التى تود ارسالها الى قصر والدها وزير الإمبراطور وسأعهد اليك مهمة ارسالها. وسوف أرسل معك السيد شى دو زوج مربيتها بالإضافة الى اثنين من الموظفين. لأنك ربما لا تعرف أسرتها جيدا.

اعترض يانغ تشى قائلا:

- عفوا يا سيدى لا يمكننى الذهاب اذن!

قال الحاكم ليانغ:

- لقد تم اعداد الهدايا وتجهيز كل شىء فكيف لا تذهب الآن؟

رد يانغ تشى:

- سوف أكون مسئولا عن الهدايا، وكل من سيذهب معى سيعمل تحت إمرتى، ويتوقف ويستريح طبقا لأوامرى وتعليماتى، لكنك اليوم تريد أن ترسل معى اثنين من الموظفين والسيد شى دو، لو حدث أى اختلاف بيننا، فكيف يمكننى أن أتعامل مع السيد شى دو الذى يعتبر خادما خاصا لقرينتكم وزوجا لمربيتها فى قصر وزير الامبراطور؟ وماذا أفعل إذا تأخرنا فى مهمتنا؟

أجاب الحاكم ليانغ:

- هذا أمر سهل فسوف يعمل الثلاثة تحت إمرتك.

قال يانغ تشى:

- طالما الأمر هكذا، سوف ألبـــــى أوامرك يا سيدى، وسأتحمل العقاب لو حدث خطأ.

سر الحاكم ليانغ سرورا عظيما وقال:

- لم أخطئ فى اختيارك لهذه المهمة، فأنت أنسب شخص لها.

وحينئذ حضر السيد شــى دو والموظفان الــى بهو القصر واستمعوا الى أوامر الحاكم ليانغ الذى قال لهم:

- سيتولـى يانـغ تشــى الإشراف علــى إرسال هدايا عيد الميلاد وحماية احدى عشرة جرة من الجواهر حتــى يسلمها الــى قصر وزير الامبراطور، وسوف تكون المسؤولية ملقاة على عاتقـه، وسوف ترافقونه فى هذه الرحلة. وعليكـم طاعـة أوامره فـى كـل شيء، ولا تخالفوه فى شيء. وقد عهدت اليكم بمسؤولية تسليـم هدايا زوجتــى وأرجو أن تتوخوا الحذر، وتعودوا مبكرا دون إثارة أى مشكلة.

وافق شى دو على كل ما أمر به، وكذلك قبل يانغ تشــى المهمة. وفى اليوم التالى أعدت الهدايا ووضعت فـى بهو القصر، وأحضر شى دو والموظفان الهدية الصغيرة الخاصة لزوجة الحاكم. واختاروا الحراس الأقوياء الذين تنكروا فى زى حماليـن، وارتدى يانغ تشى قبعة على رأسه وثوبا أخضر فضفاضا، ولف حزاما أسود حول خصره، ووضع فيه سيفا وأمسك رمحا بيده. بينما تنكر شى

دو فـى زى التاجر وكذلـك الموظفان فـى زى المساعديـن لـه، وأمسك كل منهم برمح وحملوا الهراوة. وقام الحاكم ليانغ بتسليم الخطاب المرســل لوزير الامبراطور اليهـم. بعد أن تناولوا الطعام ودعوا الحاكم ليانغ، وأشرف يانغ تشى وشى دو والموظفان على الحراس أثناء حملهم للجرات المليئة بالهدايا، وترك الخمسة عشر رجلا القصر، وغادروا المدينة متجهين الى العاصمة دونغ جين.

كان ذلـك فـى منتصـف شهر مايو حيـث الجو حار جدا يصعب السير فيه، فقد ترك يانغ تشى ومن معه من الرجال مدينة بكين في الخامس من شهر مايو، وكان عليهم أن يصلوا بالهدايا فى الخامس عشر من شهر يونيو، ومن ثم كان عليهم أن يسرعوا فى سيرهم، فكانوا يسيرون فـى طليعـة النهار حيـث الجو معتدل ويستريحون وقـت الظهيرة. وبعد مرور خمســة أيام تقريبا، بدأت القرى تختفى ويقل المارة فى الطريق، ولم يبق أمامهم إلا الطرق الجبلية، فاضطروا أن يسيروا طيلة النهار، ويؤخروا ميعاد راحتهـم. وكان الحمـل ثقيلا جدا علـى الحراس والجو شديد الحرارة، لا يحتمـل السير فيــه، فما ان رأوا الغابات حتــى ود الحراس أن يستريحوا، لكن يانغ تشى كان يحثهم علـى مواصلـة السير وعدم التوقـف، فأخذ يسبهـم وينهال عليهـم ضربا حتـى يجبرهـم علـى مواصلة السير. وتقطعت أنفاس الموظفيـن فتوقفا عـن السير، مما أغضب يانغ تشى، فنادى عليهما:

– انكما لا تفهمان الوضع الجديد، اننى مسئول عن هذه المهمة، ورغـم أنكما منوط بكما اللإشراف علـى الحماليـن إلا

انكما تسيران فى المؤخرة ببطء، وهذا الطريق ليس سهلا.

رد الموظفان قائلين:

– إننا لا نتعمد السير ببطء، لكن الجو حار جدا، مما يجعل السير فيه صعبا، لذا تخلفنا فى المؤخرة. وكنا منذ أيام نسير فى الصباح حيث الجو معتدل فلم نسير اليوم فى هذا الجو الحار؟ إنه غير مناسب لنا.

قال يانغ تشى:

– عليكما اللعنة، كيف تقولان هذا؟ فى الأيام السابقة كانت الأماكن التى نسير فيها آمنة، بينما نحن اليوم نمر بمناطق غير آمنة، فإذا لم نسر فى وضح النهار فمن يجرؤ على السير ليلا؟

صمت الموظفان عن الكلام، وقال كل منهما لنفسه:

– لا يمكن أن أسمح لهذا الوضيع أن يسبنا.

أمسك يانغ تشى بسيفه، وتناول السوط ليحث الحمالين على مواصلة السير، وجلس الموظفان فى ظل أشجار الصفصاف فى انتظار السيد شى دو، واشتكيا اليه قائلين:

– إن يانغ تشى هذا ما هو إلا حارسا فى قصر الحاكم، فكيف يتعالى علينا هكذا؟

قال شى دو:

– لقد أمرنا الحاكم ألا نختلف معه، ومن ثم لن أعترض على تصرفاته، فلنصبر قليلا ونرى ماذا يفعل خلال هذين اليومين.

قال الموظفان:

– لقد نصحنا الحاكم أن تكون المعاملة بيننا طيبة، وأن

يبدى كل منا وجهة نظره.

قال شى دو:

- لنصبر عليه.

ساروا فى هذا اليوم حتى غروب الشمس الى أن وصلوا الى مطعم يستريحون فيه.

وأخذ الحراس ينشفون عرقهم المتصبب، وقالوا لشى دو وأنفاسهم تلهث من التعب:

- من حظنا العاثر اننا حراس أقوياء فأرسلنا الى هذه المهمة فى هذا الجو الحار، علاوة على ما نحمله من حمل ثقيل، وخلال هذين اليومين لم نسر فى الصباح حيث الجو معتدل، كما أننا نضرب بالسوط، إننا من لحم ودم، فكيف نحتمل هذه المعاناة؟

قال شى دو:

- لا داعى للتذمر، وسوف أجزل لكم العطاء عندما نصل الى دونغ جين.

فقال أحد الحراس:

- طالما السيد شى دو يعاملنا معاملة طيبة فلا داعى للتذمر.

مرت ليلة أخرى، وفى اليوم التالى استيقظ الحراس من نومهم قبل شروق الشمس، وأرادوا مواصلة السير فأوقفهم يانغ تشى وقال لهم:

- الى أين أنتم ذاهبون؟ فلتناموا الآن، إنكم لا تدرون

الوضع جيدا.

قال له الحراس:

- انك تمنعنا من التحرك فى الصباح. ويصعب علينا السير وقت الظهيرة حيث الجو حار، وعندها فإنك تنهال علينا ضربا.

سبهم يانغ تشى قائلا:

- إنكم لا تفهمون شيئا.

قال ذلك وأمسك بالسوط وانهال عليهم ضربا. فسكت الحراس واضطروا للنوم.

وفى وقت الظهيرة، بدأوا فى التحرك بعد تناول الطعام.

وكان يانغ تشى يسوقهم فى الطريق، ولا يسمح لهم بالراحة. فأخذوا يتمتمون تذمرا. وكان الموظفان يسيران أمامهم يثرثران باللوم على يانغ تشى، وسمع شى دو ذلك فلم يهتم، لكنه كان خائفا و غاضبا فى أعماقه من يانغ تشى. وظلوا على هذا الحال حوالى خمسة عشر يوما، والجميع فى حالة تذمر من يانغ تشى. ذات يوم، بينما هم يتناولون طعام الإفطار فى أحد المحال قبيل الظهيرة، وكان ذلك رابع أيام شهر يونيو، والجو شديد الحرارة، والشمس حمراء ملتهبة فى كبد السماء، ولم تظهر السحب، وقد مروا فى هذا اليوم فى دروب متعرجة وجبال كثيرة، وقطعوا مسافة عشرة كيلومترات تقريبا، فكر الحراس أن يستريحوا تحت ظلال أشجار الصفصاف، فضربهم يانغ تشى بالسوط، وصرخ فيهم قائلا:

- أسرعوا فى السير، وسوف أجعلكم تستريحون مبكرا عن ذى قبل.

وفي ذلك اليوم كانت السماء خالية من السحب، والجو شديد الحرارة، ومع ذلك كان يانغ تشى يحث الحراس على مواصلة السير عبر الجبال، حتى جاء وقت الظهيرة، واشتدت الحرارة، وكان الحصى في الأرض يكوى أقدام الحراس، فلم يتمكنوا من مواصلة السير، فقالوا:

- سوف نموت من شدة حرارة الجو.

فصرخ فيهم يانغ تشى قائلا:

- أسرعوا، علينا أن نصل بسرعة الى الربوة الموجودة أمامنا، وعندئذ سوف يتضح الأمر.

واستمر الجميع مواصلة السير، وأصبحوا على مقربة من الربوة، وما ان وصلوا اليها، حتى أخذوا ينزلون ما معهم من أحمال، ونام الأحد عشر رجلا تحت ظلال أشجار الصنوبر، وعندئذ نادى عليهم يانغ تشى قائلا:

- يا للأسف، كيف تستريحون هنا، أنتم لا تعرفون هذا المكان جيدا، إنهضوا... هيا هلموا بالسير.

قال الحراس:

- لا يمكننا أن نبرح هذا المكان حتى لو قطعتنا إربا.

فتناول يانغ تشى السوط وانهال عليهم ضربا، وكان بينما يضرب هذا لينهض، يسقط الآخر وينام، فلم يجد يانغ تشى مفرا، ورأى الموظفين والسيد شى دو يلهثون، وهم جالسون تحت ظلال أشجار الصنوبر يستريحون، ولما وقعت عين السيد شى دو عليه قال له:

- لا تلمهم على انهم يستريحون هنا، فالجو شديد الحرارة لدرجة يستحيل معها السير.

قال يانغ تشى:

- يا سيدى شى دو إنك لا تعلم أن هذا المكان يدعى ربوة خوانغ نى التى يقطنها قطاع الطرق الذين غالبا ما يظهرون فى الأيام العادية فى وضح النهار ليسطوا على أموال المارة فى هذه الربوة، فلا يجرؤ أحد أن يستريح هنا، فما بالك لو رأونا على هذا الوضع؟

كان الموظفان يستمعان الى كلام يانغ تشى فقالا له:

- لقد سمعنا هذا مرارا وتكرارا، إنك لا تقصد سوى إرهابنا.

قال السيد شى دو:

- فلنتركهم يستريحون هنا بعض الوقت، وسوف يكملون السير بعد الظهيرة، فما رأيك؟

قال يانغ تشى:

- أنت أيضا لا تقدر الأمور جيدا، كيف ألتفت لكلامك وبعد عدة كيلومترات من هذه الربوة لا يوجد مارة، فكيف نستريح هنا إذن؟

قال شى دو:

- اننى لا أستطيع السير الآن وسوف أستريح هنا قليلا، فاذهب أنت لتحث الحراس على السير.

وهكذا أمسك يانغ تشى بالسوط وصرخ فى الحراس قائلا:

- من منكم لم يتحرك سوف أجلده عشرين جلدة.

فشرع الحراس فى التحرك وقال أحدهم:

- إننا نحمل أحمالا ثقيلة، ونختلف عمن يسير فارغ اليدين، فكيف تعاملنا معاملة غير آدمية إذن؟ لقد كلفك الحاكم أن تشرف على هذه الرحلة فقط، ولكنك لا تعرف...

فسبه يانغ تشى:

- أيها الوغد، لقد أغضبتنى، لذا سوف أوسعك ضربا.

وانهال يانغ تشى عليه ضربا أمام الجميع، فصاح شى دو قائلا:

- كف يدك عنه واستمع لكلامى، ففى أثناء عملى بقصر الامبراطور بدونغ جين رأيت الكثير والكثير من القادة، وجميعهم يعاملوننى معاملة طيبة، أما أنت، فلست سوى حارس عادى كان يجب أن يقتل، فرأف الحاكم بك، ووضعك فى هذا المنصب، فكيف يحق لك أن تدعى غير ذلك وتضرب الحراس وتعاملهم بهذا الشكل؟ علاوة عن اننى أعمل فى قصر الحاكم، فاننى رجل حكيم يجب أن تنصت لنصائحه.

قال يانغ تشى:

- يا سيدى شى دو، إنك من أبناء الحضر ونشأت وترعرعت فى قصر الحاكم، فكيف لك أن تعلم ما بالطرق الوعرة من الأخطار؟

قال شى دو:

- لقد داست قدماى الكثير من الأماكن من سى تشوان

حتى قوانغ دونغ وقوانغ شي، على أنني لا أتظاهر بمعرفة كل شيء مثلك.

قال يانغ تشي:

- الزمن الآن تغير ولا يقارن بالوضع آنذاك.

قال شي دو:

- يجب أن يكف لسانك عن هذا الكلام، فما هي الأمور غير المستقرة في الآونة الأخيرة؟

وأراد يانغ تشي أن يرد عليه، لكنه شاهد رجلا يتجسس عليهم من داخل غابات أشجار الصنوبر، عندئذ قال لهم:

- الآن يمكنكم أن تدركوا مصداقية كلامي، أ ليس هؤلاء الناس قطاع طرق؟

وألقى بالسوط وتناول سيفه، وجرى نحو غابات الصنوبر وصاح:

- أيها الجبناء، كيف تجرؤون وتتلصصون علينا؟

عندما اقترب منهم يانغ تشي، شاهد صفا من العربات التي تدفع باليد، ووجد ستة من الرجال مجردين تماما من ملابسهم ومستلقين على الأرض ليستمتعوا بالهواء الرطب. وهناك رجل آخر له وحمة حمراء على صدغه ممسك بسيفه، وعندما أحسوا بيانغ تشي يقترب منهم، نهضوا جميعا وصرخوا في صوت واحد:

- آه...آه

قال لهم يانغ تشي:

- من أنتم؟

رد عليه هؤلاء الرجال السبعة قائلين:

- بل من تكون أنت؟

فسألهم يانغ تشي:

- أ لستم قطاع طرق؟

- لقد أخطأت القول، فما نحن إلا تجار بسطاء، ليس عندنا مال نعطيه لك.

- أنتم تجار بسطاء ونحن أيضا لسنا أثرياء.

فسأله الرجال السبعة:

- أخبرنا حقا من تكون.

فرد يانغ تشي قائلا:

- أخبروني أولا من أي مكان أنتم؟

قالوا:

- نحن السبعة اخوة من مدينة جاو جو، نسافر متجهين الى مدينة دونغ جين لنبيع التمر هناك، وأثناء مرورنا بهذا الطريق سمعنا بعض الناس يقولون أن ربوة خوانغ ني يقطنها قطاع الطرق الذين يسطون على أموال المارة، ولكن في أثناء سيرنا كنا نقول لأنفسنا، ما نحن إلا بائعي تمر وليس معنا بضائع مغرية. فقررنا أن نصعد هذه الربوة، وما ان وصلنا اليها حتى فكرنا أن نستريح داخل تلك الغابات من حرارة الجو الشديدة، على أن نرحل في المساء حينما يتحسن الجو. وعندما سمعنا صوت اناس قادمين نحو تلك الربوة. خشينا أن يكونوا قطاع طرق، فخرجنا نتبين الأمر.

قال يانغ تشي:

– نحن أيضا تجار عاديون، عندما رأيناكم تنظرون الينا خلسة، ظننا أنكم قطاع طرق، فجئنا لمعرفة الحقيقة.

قال الرجال:

– فلتأخذ بعض التمر معك.

أجاب يانغ تشي:

– لا داعي.

ثم أعاد سيفه الى مكانه، وعاد الى رجاله.

كان شي دو جالسا تحت ظلال الأشجار، فقال ليانغ تشي:

– لنرحل من هنا طالما هناك قطاع طرق.

رد يانغ تشي:

– كنت أظن أنهم قطاع طرق، لكنهم في الحقيقة تجار تمر.

عندئذ أدار شي دو رأسه الى الحراس وقال:

– لقد أخبرتنا سابقا أن الطريق خطر، فلم لا تخاف على أرواحهم إذن؟

رد يانغ تشي:

– لا داعي للجدال، طالما لم يحدث شيء، فليست هناك مشكلة، لنسترح هنا قليلا، ثم نستكمل المسيرة حينما يتحسن الجو.

ضحك الحراس ورشق يانغ تشي سيفه في الأرض، وذهب ليستريح تحت ظلال الأشجار. وبعد مضي قليل من الوقت، شاهدوا رجلا قادما من بعيد يحمل مجموعة من القنينات، ويتجه

نحو الربوة، وقد صدح صوته بالغناء:

ألسنة الشمس كنار لاهبة شتلات الأرز فـي الحقول ذابلة
الفلاحون لأحوالهـــم يتعذبون والأمراء بمراوحهـــم يستريحون

واستمر الرجل فى الغناء حتى وصل الى الربوة، وأنزل ما معه مـن قنينات وجلـس علـى الأرض ليستريـح تحـت ظلال أشجار الصنوبر. وعندئذ اقترب منه الحراس وسألوه:

- ماذا بداخل هذه القنينات؟

رد عليهم الرجل:

- بداخلها نبيذ.
- الى أين وجهتك إذن؟
- إنى ذاهب لأبيعها بالقرية.
- بكم تبيع القنينة الواحدة؟
- بخمس ربطات من النقود المعدنية.

تشاور الحراس معه قائلين:

- ألا تبيع لنا بعضا من هذا النبيذ لنروى به ظمأنا؟

وأثناء جمع النقود لشراء النبيذ، شاهدهم يانغ تشى فسألهم:

- ماذا تفعلون؟

أجابوا:

- سوف نشترى نبيذا.

فضربهم يانغ تشى وسبهم قائلا:

- يا لجرأتكم! تشترون النبيذ دون أن تحظوا بموافقتى؟

قال الحراس:

- إننا نجمع النقود لنشرب النبيذ، لكنك تسبنا وتضربنا بدون داع، فما يعنيك فى هذا؟

أجابهم:

- أيها الأوغاد، أنكم لا تعبئون بشىء الا ملء بطونكم بالطعام والشراب غير مكترثين بالصعوبات التى تعترض طريقنا، فكم من الرجال خدروا من تناول هذه الأشياء!

نظر بائع النبيذ بابتسامة باردة وقال:

- إنك لا تدرى شيئا، لقد رفضت فى البداية أن أبيع لهم النبيذ، فكيف تهذى بهذا الكلام السخيف إذن؟

واشتد الجدل بينهم، وفجأة رأوا بائعى التمر قادمين نحوهم حاملين سيوفهم، وتقدموا يسألونهم:

- فيم تتجادلون؟

قال بائع الخمر:

- إننى أحمل هذا النبيذ لأبيعه فى القرية، وخلال مرورى بتلك الربوة، نويت أن أستريح قليلا من حرارة الجو، فأراد هؤلاء الحراس أن يشتروا منى بعض النبيذ، ولكننى رفضت أن أبيع لهم فإذا بقائدهم يزعم أن النبيذ به مخدر، أ ليس هذا أمرا يدعو الى الضحك؟

قال بائعو التمر:

– كنا نظن أن هناك قطاع طرق ظهروا فجأة، لكن ما دام الأمر هكذا، فلا جدوى من الجدال، ورغم أنهم يشكون فى أمر الخمر إلا أننا نريد أن نشترى قنينة نروى بها ظمأنا.

– لن أبيع لأحد.

أجابه باعة التمر:

– إنك رجل سخيف حقا، إننا لم نتهمك بشىء من هذا، وما دمت ستبيع الخمر داخل القرية لتربح النقود، فما المانع أن تبيع لنا قليلا من الشراب، وتقدمه لنا لنروى به ظمأنا؟

– لا أمتنع عن البيع، لكننى أتجنب القيل والقال، كما أننى لا أمتلك مغرفة لأصب بها الشراب لكم.

– انك رجل مستقيم، فلا يهمك كلام الناس، كما أننا لدينا مغارف مصنوعة من جوز الهند.

وما ان انتهوا من كلامهم، حتى ذهب اثنان منهم ليحضرا مغرفتين مصنوعتين من جوز الهند، وذهب ثالث ليحضر حفنة كبيرة من التمر، بعد هذا تجمع التجار السبعة أمام قنينة الخمر، وفتحوا غطاءها وأخذوا يتناولون الشراب بالتناوب بينما هم يأكلون التمر، بعد أن فرغوا من تناول ما بالقنينة، قالوا للبائع:

– لم نسألك عن ثمن قنينة الخمر بعد.

– القنينة بخمس ربطات نقدية، والقنينتان بعشر.

– لن نفاصل معك فى السعر، فقط أعطنا مغرفة زيادة من عندك.

– لا يمكن، إن السعر ثابت.

وبينما كان أحد التجار يقدم اليـــه النقود، قام تاجر آخر بفتح قنينة أخرى وغرف منها بالمغرفة وبدأ يشرب ما بها، فمنعـه بائـع الخمر، أراد استردادها منـه فجرى التاجر بها داخـل الغابـة ليتناول ما تبقى بها، فطارده بائع الخمر ليلحـق بـه. عندئذ خرج تاجر آخر من الغابة وبيده مغرفة، واقترب من القنينـة، وأخذ منها غرفة. فرآه بائع الخمر، وخطف منه المغرفة، ورد ما بها من خمر الى القنينة، وأحكم غطاءها، ورمى المغرفة على الأرض، وقال:

– إنك تاجر عديم الرجولـة، فالتجار الشرفاء لا يفاصلون هكذا.

وعندما رأى الحراس ما حدث، أخذوا يفكرون فـي تناول الشراب، فذهب أحدهم الى السيد شي دو وقال له:

– سيدى، لقد اشترى تجار التمر قنينة من الشراب، فنرجو منك أن تطلب من يانغ تشي ليسمح لنا بشراء قنينة خمر نروى بها ظمأنا، فالجو حار فعلا. ونحن ظمآنون، ولا سبيـل أمامنا، وهذه الربوة لا يوجد بها مكان فيه الشراب، فنرجو منك أن تسدى لنا هذه الخدمة.

كان شي دو يود أيضا تناول شيء من الشراب، فلما سمع كلام الحراس، ذهب الى يانغ تشي وقال له:

– لقد اشترى تجار التمر قنينة من الخمر، ولم يعد هناك إلا قنينة واحدة، فدعهم يشتروها، حتى تخفف عنهم حرارة الجو، فهذه الربوة ليس بها مكان يتناولون فيه الشراب والطعام.

فكر يانغ تشي في الأمر مليا، وأخذ يشاور نفسه قائلا:

– لقد اشترى الجميع الخمر وتناولوها أمام عيني، فلا بد أنها جيدة، وقد كنت شديدا على الحراس فترة طويلة، فلماذا لا أدعهم يشترون بعضا منها؟

عندئذ رد على شي دو قائلا:

– طالما أنك طلبت هذا، فلا مانع عندي أن يشتروا الخمر، وبعدها نرحل.

بمجرد سماع الحراس هذا الكلام، أخذوا يجمعون النقود لشراء الخمر، لكن بائع الخمر قال لهم:

– لن أبيع الخمر لكم، فهذا الخمر به مخدر.

ضحك الحراس وقالوا:

– هل الأمر يستحق أن تقول هذا؟

أجاب:

– لا تزعجوني، لن أبيع لكم.

عندئذ ذهب اليه تجار التمر ليقنعوه، وقالوا له:

– يا لك من رجل أحمق، لقد أخطأ يانغ تشي في حقك، فأتعبتنا حتى اشترينا منك، لكن ما ذنب الحراس في ذلك، هيا بع لهم الخمر.

احتج البائع بقوله:

– لا، لم أثير شكوك الناس بدون داع؟

حينئذ قام الحراس بدفع بائع الخمر بعيدا، وتناولوا قنينة، لكن لم يكن لديهم مغرفة يغرفون بها الخمر، فطلبوا من تجار التمر

أن يعيروهم مغرفة. قال تجار التمر:

- خذوا أيضا بعض التمر لتتناولوها مع الشراب.

شكرهم الحراس قائلين:

- إن هذا كثير جدا.

- لا داعي للشكر، ولتأخذوا ما شئتم من التمر.

شكرهم الحراس، وأخذوا مغرفتين من الشراب، وطلبوا من السيد شي دو أن يتناول واحدة، وطلبوا من يانغ تشي أن يتناول الأخرى. لكن يانغ تشي رفض أن يتناول شيئا، فشرب شي دو واحدة، وأعطى الأخرى للموظفين، بعدها هجم الحراس على قنينة الخمر، وأخذوا يتناولون ما فيها. فلما رآهم يانغ تشي يحتسون الخمر، ولم يبق إلا هو، اعتراه الشعور بالعطش، فتناول بعض الخمر وبعض التمرات. عندئذ قال بائع الخمر:

- هذه القنينة قد احتسى منها تجار التمر مغرفة واحدة والخمر الباقي فيها سأبيعها لكم بسعر رخيص بعض الشيء.

جمع الحراس النقود، واشتروها منه، بعدها حمل بائع الخمر القنينات الفارغة وهبط من على الربوة وهو يشدو بالغناء.

وقف تجار التمر السبعة بجانب أشجار الصنوبر، وأشاروا الى يانغ تشي ورجاله قائلين:

- اسقطوا، اسقطوا.

عندئذ شاهدوا الخمسة عشر رجلا يترنحون بينما كل منهم يحملق في الآخر حتى سقطوا على الأرض، فأسرع التجار السبعة بدفع العربات من داخل الغابة، وألقوا ما بها من تمر، وأخذوا

الجواهر واللآلئ الموجودة بداخل الجرات، ووضعوها مكان التمر في العربات، وغطوها جيدا، وصاحوا:

- وا أسفاه.

وعلى الفور هربوا تاركين ربوة خوانغ نى. وكان يانغ تشى يود النهوض للحاق بهم لكن دون جدوى، فشعر بحزن يعصف به، ولم يستطع أحد من الخمسة عشر رجلا أن ينهض ليلحق بالرجال السبعة الذين استولوا على الجواهر والهدايا.

يا ترى ما حقيقة هؤلاء التجار السبعة؟ إنهم أبطال جبل ليانغ شان وهم: تشاو قاى، وو يونغ، وقونغ سونغ شينغ، وليو تانغ، وإخوان روان الثلاثة، أما بائع الخمر فهو البطل باى شينغ الملقب بفأر النهار.

لكن يا ترى كيف وضعوا المخدر فى الخمر؟

فى بادئ الأمر أثناء صعودهم الربوة، كانت الخمر فى القنينتين سليمة، وتناول الرجال السبعة إحداهما، ثم دفع ليو تانغ غطاء القنينة الأخرى وأخذ منها نصف مغرفة. وتعمد أن يراه الآخرون حتى يصدقوا بصحة الخمر. بعد ذلك أحضر وو يونغ المخدر من داخل الغابة، ووضعه فى المغرفة، وجرى ليغرف بها الخمر، وعندما وضع المغرفة داخل القنينة كان المخدر قد تسرب الى الخمر، وتظاهر أنه يشرب من المغرفة، ولكن البائع خطف المغرفة وأعاد الخمر الذى يحتوى على المخدر الى القنينة، وهذه هى حيلتهم التى خططوا لها للاستيلاء على الجواهر وهى خطة من إعداد وو يونغ وتسمى: الاستيلاء على هدايا عيد الميلاد.

تعريف الكاتب:

شه ناى آن من أشهر كتاب الرواية فى عهد أسرة مينغ... قد نشأ فى مقاطعة جيانغ سو... ولم يعرف أحد سنة ميلاده بالتحديد. يقال انه شارك فى انتفاضة الفلاحين فى أواخر عهد أسرة يوان. من أهم أعماله روايـة "الأبطال على جانب البحيرة" التى شاركه فى كتابتها الكاتب لو قوان تشونـغ، وتعد هذه الرواية أشهر رواية كلاسيكية صينية تصف ثورات الفلاحين. إن رواية " الأبطال على جانب البحيرة" استمد مضمونها من الحكايات الشعبية والروايات الشفهية والمسرحيات الشعرية التـى انتشرت فـى عهد أسرتـي سونـغ ويوان. وجاءت رواية "الأبطال على جانب البحيرة" لتصف لنا انتفاضة مجموعة مـن الفلاحين فى عهد أسرة سونغ منذ بدء شرارتها وتطورها حتى تـم إخمادها. وتتضمن الرواية حكاية مائة وثمانية أبطال اتخذوا من جبل ليانغ بمقاطعة شان دونغ قاعدة لهم للنضال ضد النظام الحاكم آنذاك، ووصفت إنتفاضة الفلاحين المناهضة لجرائم الطبقة الاقطاعية الحاكمة، وألقت الضوء على الأسباب التى أدت لفشل تلك الانتقاضة. وقد نجحت الرواية فى تجسيد شخصيات الأبطال الأسطوريين بعناية فائقة، لدرجة أن معظم شخصيات هذه الرواية تعلق فى ذهن كل صينى. وقد تضمنت الرواية قصصا جذابة للأبطال الأسطوريين، ووصفت لنا عالما مثاليا كل الناس فيه اخوة ومن عائلة واحدة، متساوون ومشتركون فى السراء والضراء.

سون ووكونغ يصخب فى قصر السماء

مأخوذ من: «حج الى الغرب»
بقلم: وو تشين ان
ترجمة: ناصر عبد العال

الفصل الرابع

خرج الإله تاى باى جين شين من الكهف مصطحبا معه أمير القردة سون وو كونغ، ثم امتطيا السحب متجهين الى قصر السماء. لكن أمير القردة الماهر فى امتطاء السحب والشقلبة فى الهواء وصل بسرعة الى البوابة الجنوبية لقصر السماء، مخلفا الإله تاى باى جين شين وراء ظهره. وهنالك لملم أمير القردة السحب متوجها الى داخل القصر، فمنعه الإله زانجانغ وضباط الحرس المدججون بالسلاح والدروع، ولم يسمحوا له بالدخول. عندئذ قال أمير القردة غاضبا:

– ما بال هذا المخادع جين شين يدعونى الى هنا، ثم يأمر هؤلاء الحرس أن يمنعونى من الدخول! ويشهروا السلاح فى وجهى ويسدوا الطريق أمامى؟!

وبينما هو يصخب غاضبا، وصل الإله جين شين، وتوجه نحوه سون وو كونغ وقال:

- ما لك كيف تخدعني؟ تقول إنك أتيت لدعوتي بأمر امبراطور السماء، ثم تخبر هؤلاء الحرس بمنعي من الدخول؟

فضحك جين شين وقال:

- اهدأ يا سيدى ولا تغضب، فأنت لم تأت الى هنا من قبل، والحرس لا يعرفونك. فكيف يتركونك تدخل فى سهولة؟! تمهل قليلا حتى تقابل جلالة الامبراطور، وتتقلد وظيفتك وتسجل إسمك، عندئذ لا يستطيع أحد أن يمنعك من الدخول والخروج.

فقال القرد سون وو كونغ:

- شيء عظيم للغاية، إذن ما دام الأمر كذلك فلن أدخل هذا القصر.

فأمسكه جين شين من ذراعه قائلا:

من فضلك، ادخل معى!

عند بوابة قصر السماء، صاح الإله جين شين:

- يا قادة الحرس، يا ضباط الأمن، إفسحوا الطريق. هذا ضيفنا الاه من الأرض. جئت به بأمر الامبراطور السماوى.

فأمر الإله زانجانغ ضباط الحرس بإفساح الطريق، وتراجع الجميع مصطفين على الجانبين حتى يدخل الإله جين شين وضيفه أمير القردة سون وو كونغ. ومنذ ذلك الوقت بدأ سون وو كونغ يصدق الإله جين شين. ثم أخذا ينقلان الخطى فى تمهل آخذين طريقهما الى مجلس الامبراطور السماوى. لما وصلا الى مجلس الامبراطور، لم ينتظرا حتى يؤذن لهما بالدخول، توجها مباشرة الى حيث يجلس. وهناك قدم الإله جين شين التحية فى إنحناء، وأمير

القردة أخذ يسترق السمع الى تقرير الإله جين شين الذى يلقيه على الامبراطور، حيث قال:

– مولاى! هذا هو أمير القردة، قد جئت به وفقا لأوامركم.

فأسدل الستار وسأل الامبراطور:

– من هو أمير القردة؟

عندئذ انحنى سون وو كونغ وأجاب:

– أنا سون وو كونغ.

فاندهش أفراد الحاشية حول الملك لتصرف سون وو كونغ:

– كيف يجيب مولانا الامبراطور هكذا! ولماذا لا يقدم تحية الولاء والطاعة لجلالته، الموت له!

فقال الامبراطور السماوى:

– إن سون وو كونغ واحد من آلهة الأرض، ليس له سابق عهد بأحوالنا، ولا يعرف كيف يقدم التحية. فلنتغاض عن خطئه هذه المرة.

فأوحى اليه الحضور أن يتوجه الى الامبراطور بالتشكرات، عندئذ رفع أمير القردة يديه متشابكتين شاكرا للملك. فأمر الامبراطور إله الوثائق وإله العسكر بالبحث عن وظيفة شاغرة، وتقليدها للأمير سون وو كونغ. فخرج إله العسكر من أحد جانبى المجلس وتوجه الى الامبراطور وعرض عليه هذا التقرير:

– إن الوظائف فى كل أجنحة القصر مشغولة، وليس هناك وظيفة شاغرة إلا وظيفة رئيس اسطبل الخيل.

فأمر الامبراطور بتعيين أمير القردة فى هذه الوظيفة. فأوحى الحضور الى أمير القردة أن يتقدم بالشكر الى جلالته. فرفع أمير القردة يديه مهللا بالتشكرات. عندئذ أمر الامبراطور السماوى الإله مو ده تسين بمرافقة أمير القردة سون وو كونغ وتسليمه مهام وظيفته.

غمرت الفرحة قلبه ومضى مع مو ده تسين ليقلده وظيفته، ثم عاد مو ده تسين وتركه حيث يمارس عمله، فجمع سون وو كونغ من فى الاسطبل من نائب ومحاسب وحرس وكل العمال صغيرهم وكبيرهم، وأخذ يتفقد أحوال الاسطبل، حيث يوجد به ألف فرس سماوى.

إنهمك أمير القردة فى وظيفته، وكلف كل واحد بتأدية عمله مثل تجهيز العلف وغسل الخيول وتنظيفها، وجمع العشب الخ، الأمر الذى شغل كل وقته بالليل والنهار لمراقبة العمال والاطمئنان على سلامة الخيول. فلا يتركها تنام حتى تشبع، ويجمع الهارب منها للأكل، حتى أن الخيول كانت تفرح برؤيته رافعة آذانها الى أعلى تهليلا به، وأخذت الخيول تكبر وتسمن. إنقضى على ذلك نصف الشهر، وذات يوم اجتمع العمال فى الاسطبل وأقاموا مأدبة نخب تقلد أمير القردة وظيفته الجديدة. بينما هم يشربون ترحيبا به، توقف أمير القردة عن الشرب فجأة وقال متسائلا:

- ما طبيعة هذه الوظيفة؟

فقالوا:

- إنها هكذا "سايس خيل"

ثم أردف يسأل:

- ماذا عن رتبتها بين الوظائف؟

فأجابوه:

- لا رتبة لها بين الوظائف.

فقال الأمير:

- ما معنى ليست لها مكانة بين الوظائف؟

قالوا:

- أى لا درجة لها، فالموظف فيها صغير، حقير، يعمل بجد واجتهاد فى تربية الأفراس وتسمينها، ثم لا يلقى تقديرا من القصر إلا كلمة "عظيم" "عظيم". أما إذا أهمل فى عمله وكانت الأفراس نحيفة وهزيلة، فيلقى اللوم والعتاب، وإذا زادت الخسارة وكانت الخيول مريضة شديدة النحافة، فيواجه المسائلة والعقاب.

سمع أمير القردة هذا الكلام فغضب غضبا شديدا وقال:

- أ قد وصل أمير القردة الى هذه الدرجة من الحقارة؟ أنا الأمير وأنا الكبير فى كهف الأرض أعمل فى مهنة "سايس خيل" هذا العمل الحقير الذى يقوم به طفل صغير يوكل الى أنا؟! ما لهم، كيف يعاملوننى بهذه الطريقة التافهة؟ لا، لن أعمل فى هذه الوظيفة، لن أعمل هنا، سأغادر هذا المكان.

ثم زفر زفرة غضب وطرح المكتب الذى امامه على الأرض وانتصب واقفا، ثم سحب عصاه السحرية من فوق أذنه ونفخ فيها حتى صارت نبوتا حديديا غليظا وطويلا. ثم أخذ يلوح به يمينا ويسارا ضاربا به كل ما هو فى الاسطبل. وانطلق حتى وصل الى

البوابة الجنوبية، فلم يستطع قائد الحرس منعه من الخروج بعد أن عرف أنه أصبح واحدا من آلهة القصر وأنه يعمل سايس خيل فى الاسطبل. فأفسح له الطريق. فخرج من البوابة وامتطى السحب هابطا الى الأرض.

بعد برهة، هبط الأمير سون وو كونغ من فوق السحب على جبل الفواكه والورود. فوجد قادة الجبل الأربعة ومعهم مجموعة القردة الأبالسة يؤدون التمرينات، فصاح فيهم:

- أيها الأبناء! لقد وصل أميركم سون!

فالتفت نحوه الجميع، وأنحنوا تحية له، ثم اصطحبوه مهللين بعودته الى داخل الكهف.

- تفضل سيدى الأمير الى مجلسكم!

وأخذوا يعدون الخمور ترحيبا بعودته. وقالوا:

- مبروك يا سيدى الأمير، قد قضيتم أكثر من عشر سنوات فى السماء. أ قضيتم وقتا سعيدا وعدتم عودا حميدا سيدى الأمير؟

قال أمير القردة:

- لم أقض فى السماء سوى نصف شهر. فكيف تقولون أكثر من عشر سنوات؟!

قالوا:

- انكم لا تعرفون حساب الوقت فى السماء سيدى الأمير، فاليوم فى السماء يساوى عاما على الأرض. ولكن نريد أن نسأل، ما طبيعة عملكم فى السماء يا سيدى؟

فرفع الأمير سون يده مقاطعا:

- لا داعى للسؤال، لا داعى للسؤال، إنه شىء مخز، هذا الامبراطور لا يجيد استخدام ذوى الكفاءات. لما رآنى كلفنى بالقيام بوظيفة رئيس اسطبل الخيل، يعنى سايس خيل، وظيفة لا رتبة لها بين الوظائف. لم أعلم ذلك فى بداية الأمر، فكنت أقضى الوقت لعبا ولهوا. حتى عرفت اليوم أنها وظيفة حقيرة لا قدر لها، تملكنى الغضب، وطرحت المكتب الذى أمامى أرضا، رافضا لهذه الوظيفة، ونزلت اليكم.

فقالت جماعة القردة:

- عودا حميدا، عودا حميدا! فأنتم أمير هذا الكهف. لكم فيه كل الاحترام والسعادة، كيف تعمل سايس خيل هناك!

فناداهم:

- هيا أيها الأبناء أحضروا الأقداح وصبوا الخمر، وروحوا عنى هذا الهم.

وبينما هم جلوس يحتسون الخمر، دخل عليهم شخص يحمل خبرا، يقول:

- يوجد عفريتان فى الخارج، يريدان مقابلتكم.

قال الأمير:

- اسمح لهما بالدخول.

هندم العفريت ثيابه ودخل مع زميله، ثم إنحنى أمامه مقدما التحية، فسأله الأمير:

- ماذا تريد؟

قال:

– سمعنا عن مقدرتكم الكبيرة، ولم نتشرف بعد بلقائكم، ولما علمنا اليوم بشرف حصولكم على درجة إله سماوى، جئنا لنقدم لكم الرداء الأصفر تهنئة منا. وإن لم تحتقروا شخصى البسيط، إقبلونى عندكم كلبا أو فرسا.

فرح الأمير فرحا شديدا، وقام ثم إرتدى الرداء الأصفر واصطف الجميع على الجانبين مهنئين له، ثم أمر بتعيين هذا العفريت فى وظيفة كبيرة فى طليعة الجيش.

قدم العفريت الشكر للأمير على فعلته، ثم اردف يقول:

– سيدى الأمير، لقد قضيتم وقتا طويلا فى السماء، فماذا كانت وظيفتكم؟

قال الأمير:

– إن ملك السماء يحقر قدر الأذكياء، فقد عيننى فى وظيفة سايس خيل!

سمع العفريت ذلك وقال:

– سيدى الأمير بكفائته العالية يعمل "سايس خيل"! إن وظيفتكم يجب أن تكون أمير السماء، وهل هناك ما يمنع ذلك؟

سمع أمير القردة هذا الإطراء، ففاضت الغبطة من أساريره وأخذ يقول:

– عظيم! عظيم! عظيم!

ثم أمر أحد القادة بإحضار راية كبيرة وكتب عليها "أمير السماء"، ثم أمر برفعها فوق السارى أمام الكهف. وأمر أن يطلق

عليه "أمير السماء" من هذا الوقت. ثم أمر بإبلاغ موظفى الكهف ومسئولى السراديب بذلك.

وفى اجتماع الامبراطور السماوى صبيحة اليوم التالى. دخل الإله جانغ ومعه نائب الاسطبل، ثم ركعا أمام مجلس الامبراطور، وقال الإله جانغ:

- عاش سيدى الامبراطور، إن سون وو كونغ الذى عينتموه رئيسا للاسطبل، قد نزل الى الأرض أمس، تاركا وظيفته بحجة أنها وظيفة حقيرة.

وفى أثناء ذلك دخل اللإله زانجانغ ومعه ضباط الحرس. وقال:

- يا صاحب الجلالة، إن رئيس الاسطبل قد خرج من البوابة السماوية أمس، لا أدرى لأى سبب.

سمع الامبراطور بذلك فأصدر أوامره قائلا:

- على كل إله أن يعود الى مهام وظيفته، وسأرسل قوات للقبض على سون وو كونغ وإحضاره.

فخرج من وسط الحضور الإله القائد لى أمير البرج وإبنه نه تشا، ثم قال القائد لى:

- عاش سيدى الامبراطور، اسمحوا للعبد المتواضع أن يذهب للقبض عليه.

فرح الامبراطور بذلك، وعين القائد لى جنرالا لقمع الشياطين كما عين إبنه أمير البحر ثم أمرهما بأن يعدا الجيش ويتوجها الى الأرض للقبض على سون وو كونغ.

قدم القائدان التحية وانصرفا الى موقع عملهما. ثم جمعا ثلاثة جيوش فى طليعتهم القائد جيو لين وفى مؤخرتهم القائد يودو لمراقبة الجند. خرج الجيش من البوابة السماوية فى الحال متخذا طريقه الى جبل الفواكه والورود حيث كهف مستر بالشلال موطن الأمير سون وو كونغ.

لما وصل الجيش، إختار القائد مكانا فسيحا آمنا ونصب فيه المعسكر، وأمر جيو لين للخروج لمبارزة أمير القردة سون وو كونغ. نفذ القائد جيو لين الأوامر وإرتدى ثياب المعركة وحمل السلاح وتوجه الى كهف مستر بالشلال حيث موطن سون وو كونغ، فوجد أمام الكهف مجموعة الأبالسة على هيئة ذئب ونمر وأرنب ودودة وغيرها من الحيوانات يتحركون فى غوغائية أمام الكهف، يتدربون على فنون القتال. فلما رأته الحيوانات علت صيحاتها، فصاح جيو لين:

– أيتها الحيوانات، أسرعوا الى رئيسكم سايس الخيل، وأخبروه أننى قائد من السماء، مبعوث من قبل الامبراطور، عليكم بالسمع والطاعة وعلى رئيسكم أن يسلم نفسه فى الحال، حتى تجنبوا أنفسكم الإهانة.

هرعت الحيوانات الى داخل الكهف وقالت:

– مصيبة! مصيبة!

فسأل الأمير سون:

– أى مصيبة؟!

قالوا:

– هناك قائد من السماء خارج الكهف، يتحدث عن وظيفتكم فى السماء، ويقول إنه جاء بأمر الامبراطور وعليكم أن تستسلموا فى الحال حتى تتجنبوا مخاطر ما يحدث لكم.

سمع الأمير كلامهم وقال:

– أحضروا ثياب المعركة.

ثم ارتدى ملابس الحرب والتاج الذهبى والدرع والحذاء الخاص بإمتطاء السحب. وحمل فى يده عصاه السحرية. وقاد الجميع الى الخارج.

وفى ميدان المعركة، نظر القائد جيو لين اليه محدجا وقال فى نفسه:

– ما أعظم أمير القردة!

صاح جيو لين فى صوت شديد:

– أ تعرفنى أيها القرد؟!

فرد عليه أمير القردة مسرعا:

– من أنت أيها التافه، لم يقابلك عمك الأمير من قبل، أخبر عن نفسك.

قال جيو لين:

– ألا تعرفنى أيها القرد الضعيف، إننى جيو لين قائد الجيش القادم من السماء، تحت رئاسة الإله لى أمير البرج، جئت بأمر الامبراطور للقبض عليك، فاخلع رداء المعركة وسلم نفسك فى صمت، ولا تنبس بكلمة لا ، وإلا ملئت هذا الجبل بجثث القتلى، وسحقتك سحقا.

اشتعل صدر أمير القردة غيظا وقال:

- كف عن هذا الهراء أيها الصعلوك، وقص لسانك، ما أسهل على أن أقتلك الآن، لكنى أخشى ألا يوجد من يبلغ رسالتى الى الامبراطور، سأبقى على حياتك حتى ترجع الى السماء وتبلغ الامبراطور أنه لا يجيد الاستفادة من الرجال الأكفاء. إن عمك الأمير سون كفائته عالية، فلماذا يوكل الى هذه الوظيفة الحقيرة "سايس خيل"، أنظر الى الراية التى فوقك واقرأ ما المكتوب عليها، وأبلغه ان يقلدنى هذه الوظيفة، فلن أشهر فى وجهكم السلاح ويعيش الكل في سلام، وإن لم يفعل. فليأذن بحرب فى الحال، تهز كيانه وتخلعه من مجلسه.

سمع جيو لين ذلك، ثم نظر الى الراية المرفوعة فوق السارى، فوجدها مكتوب عليها "أمير السماء". فضحك ثلاث قهقهات ساخرة. وقال:

- أيها القزم، أنت لا تساوى شيئا، كيف تجرؤ على ذلك. وتطلب أن تكون أمير السماء! فلتأخذ منى ضربة تأتى بحياتك!

وصوب السيف نحو رأسه. لكن الأمير سون لم يعبأ به، ووقف صامدا وقابله بنبوته الحديدى. وبعدها احتدم القتال بينهما.

لم يقدر جيو لين على قتال الأمير سون الذى صوب اليه ضربة بنبوته، قابلها بسيفه مدافعا عن رأسه، فقطع السيف قطعتين. وقال الأمير سون:

- يا جبان، يا جبان! قد قلت لك عد وأبلغ ما قلته لك.

عاد جيو لين الى المعسكر مسرعا. ثم ركع أمام الإله لى وقال في حسرة:

– إن سايس الخيل مبارز عظيم، ومقاتل قدير قوى الشكيمة.

فقال الإله لى فى غضب:

– ما أحقرك، أ رجعت مهزوما؟ أ لم تقدر على دحره؟ عليك اللعنة، انتظر العقاب الأليم.

رأى الابن نه تشا ما بأبيه من غضب، فقال:

– سامحه يا أبتاه واصفح عنه. واسمح لى بالخروج لقتال أمير القردة، وسوف ترى كيف أحسم هذه المعركة.

ثم عاد الجميع الى داخل المعسكر ليتدبروا الأمر بينهم.

ارتدى نه تشا ثياب المعركة، ثم قفز خارجا من المعسكر، واندفع نحو الكهف حيث كان الأمير سون يجمع جيشه وينوى العودة الى داخل الكهف. تقدم الأمير سون الى الأمام قليلا وقال:

– من أى بيت جئت يا شاطر، أراك تقترب من بوابتنا، هل لك من شيء؟

قال نه تشا:

– يا لك من قرد بذيء! ألا تعرفنى؟ أنا نه تشا ابن الإله لى أمير البرج، جئت هنا بأمر الامبراطور السماوى للقبض عليك!

ضحك سون وو كونغ وقال:

– إن أسنانك اللبنية لم تسقط بعد، وشعر الجنين لم تنظف منه بعد، كيف تتجرأ وتتفوه بهذه الكلمات؟ على كل حال سأبقى

على حياتك ولن أقتلك. أريدك أن تنظر الى الراية التى فوق رأسك وتقرأ ما عليها، ثم ترجع الى الامبراطور وتبلغه بأن هذه هي وظيفتي التي أرتضيها. إذا قبل ذلك فلا حرب ولا قتال، وإذا رفض فالويل كل الويل لكم.

رفع نه تشا رأسه وقرأ كلمة "أمير السماء" فقال:

- أيها القرد القزم، أ لك كل هذه المقدرة، كي تتجرأ وتطلب أن تكون أمير السماء؟! تقدم الى وخذ منى ضربة تأتي بحياتك.

صوب نه تشا السيف نحو رأس سون وو كونغ الذى قال:

- سأقف بلا حراك، ولك أن تضرب كيفما شئت.

اشتد غيظ نه تشا وصاح بأعلى صوت:

- غير.

فتحولت هيئته الى شخص بثلاثة رؤوس وست أيدى، واشتدت ضراوته، وأمسك في أيديه الست ستة أسلحة هي : السيف المطوى، والساطور البتار، والجنزير المسلسل والمطرقة الساحقة والكرة المطرزة و الطوق المشتعل. واندفع الى الأمام ملوحا بأسلحته، معلنا الحرب.

نظر سون وو كونغ اليه في دهشة وقال:

- هذا الغلام يعرف بعض الحيل! ربما انه لا يعرفني جيدا، فسأريه بعض مقدرتى!

وصاح الأمير سون:

- غير.

فتغيرت هيئته أيضا الى شخص بثلاثة رؤوس وست أيدى، ونفخ فى عصاه السحرية فتحولت الى ثلاثة نبابيت كبيرة، أمسك بها فى أياديه الست. ونشبت المعركة التى اهتزت لها الأرض والجبال، وتصارعا ثلاثين جولة متوالية. الحرب سجال بينهما لا تعرف الغالب من المغلوب. لكن سون وو كونغ تميز برشاقة اليد وثقابة النظر، نزع شعرة وسط ضجيج المعركة وصاح:

- غير.

فتحولت الشعرة الى صورته الأصلية حيث يحمل نبوتا، استطاع بذلك أن يخدع نه تشا. ثم قفز بجسمه الحقيقى الى خلف نه تشا، وضرب ذراعه اليسرى بنبوته فأصابها. أما نه تشا المصاب فقد سمع النبوت وهو يلفح الهواء وينثر الرياح ولم يقدر على تحريك يده ففر هاربا.

قد شاهد الإله لى هذه المعركة عن قرب، وأسرع بإعداد الجند لمساعدة الابن نه تشا، لكن نه تشا قد تقدم أمام أبيه، وقال فى حسرة:

- إن سايس الخيل لذو مقدرة هائلة على القتال، فابنك بكل ما لديه من مهارة على فنون القتال، لم يستطع دحره، بل أصاب منى الذراع.

فقال الوالد فى دهشة وقد اكفهر لونه:

- إن كان هذا القرد يتمتع بكل هذه القوة، فكيف ننتصر عليه؟!

قال الابن:

- إنه رافع السارى على باب الكهف، مرفوعة عليه رايـة، مكتوب عليها "أمير السماء" ويقول بملء فيه: إذهب الى الامبراطور واطلب منه أن يقلدنى هذه الوظيفة، إذا وافق على ذلك، فلا حرب بيننا، ونعيش فى سلام، وإذا رفـض، فلنجعلها حربا شعواء علـى قصر السماء!

قال الوالد:

- ما دام الأمر كذلك، فلا داعى لقتالـه، ولنذهـب الـى السماء ونبلـغ طلبـه الـى الامبراطور، ونزيد القوات، ثـم نرجـع لمحاصرته والقبض عليه.

فطاع الابن المحـل بآلام الهزيمـة لكلام والده بعد أن فقد القدرة على الحرب، وعادا الى السماء.

أخذ القائد إبنـه والجيـش وعاد الـى السماء مباشرة حيـث مجلس الامبراطور وقال:

- يا صاحب الجلالـة! لقد حملـت أمركـم ونزلـت الـى الأرض للقبض على سون وو كونغ، لكننا ما كنا نتوقع أنه علـى قدرة قتالية فائقة، فلم نستطع هزيمتـه. فليسمـح صاحـب الجلالـة بزيادة قوات الجيش.

قال الامبراطور مندهشا:

قرد إبليس يتمتع بكل هذه القوة، وما زلتم فى حاجة الى إمدادات عسكرية لغلبته؟!

فإقترب نه تشا وقال:

- يا صاحب الجلالة! أرجو أن تعاقبنى بالقتل لفشلى فى

دحر هذا القرد! فهذا القرد يستخدم نبوتا حديديا سحريا، قد هزم به القائد جيو لين ثم هزمنى وأصاب منى الذراع، وكتب على راية مرفوعة أمام الكهف "أمير السماء" يطلب منكم أن تقلدوه هذه الوظيفة. إذا فعلتم، فلا حرب بينه وبيننا، ويسلم نفسه اليكم، وإذا لم تفعلوا، فليجعلها حربا تصل ضراوتها الى قصر السماء!

فقال الامبراطور مندهشا:

– أ يجرؤ هذا القزم أن يتفوه بهذا الهراء؟! فلتعدوا له ما استطعتم من قوة لتأديبه.

وبينما هو يتكلم، تقدم الإله جين شين من بين الحضور وقال:

– يا صاحب الجلالة! إن القرد الشيطانى هذا يعرف فقط أن يتكلم، لكنه لا يعى وزن ما يقول. فإذا زدنا القوات لمحاربته، ربما لا يتحقق المراد. فما رأيكم أن تعفوا وتصفحوا عنه وتدعوه ليأتى هنا وتقلدوه وظيفة أمير السماء إسما فقط لا عمل له. فيكون موظفا بلا وظيفة!

قال الامبراطور:

– ما معنى موظف بلا وظيفة؟

قال جين شين:

– أى اسمه فقط "أمير السماء" لكن لا يوكل اليه أى سلطة، ولا يحصل على أى راتب. ندعه فقط يرتع فى السماء. وبهذا نأمن من شره ونستريح من عبثه وجنونه، ويسلم الجميع ونعيش فى أمان.

سمع الامبراطور هذه الكلمات فأصدر أمرا بهبوط الإله جين شين الى الأرض لدعوة أمير القردة سون وو كونغ.

خرج الإله جين شين مرة ثانية من البوابة الجنوبية، وهبط الى جبل الفواكه والورود حيث كهف مستر بالشلال موطن الأمير سون وو كونغ. لكن زيارة هذه المرة، تختلف عنها فى المرة السابقة. حيث يملأ المكان جو من الرهبة، ويخيم عليه جو المعركة والقتال. ويجتمع كل الأبالسة أمام الكهف مدججين بالسلاح بين سيف وساطور ونبوت ورمح، يقفزون يمنة ويسرة. ما إن رأوا الإله جين شين، حتى تقدموا نحوه شاهرين أسلحتهم. فنادى جين شين قائدهم:

– يا قائد الأبالسة، إذهب الى سيدك الأمير وأخبره بأننى مبعوث من قبل السماء، جئت لدعوته بأمر الامبراطور.

فقفز العفريت الى داخل الكهف، وقدم تقريرا للأمير:

– هناك سيد بالخارج، يقول إنه رسول إمبراطور السماء جاء بالأمر لدعوتكم.

قال سون وو كونغ:

– مرحبا به، مرحبا به، إنه الإله جين شين الذى جاء لدعوتى المرة السابقة. ورغم أن الوظيفة لم تكن كما ينبغى، لكننا صعدنا الى السماء، وعرفنا الدخول والخروج. فمجيئه هذه المرة حتما لأمر فيه خير.

قام الجميع برفع الأعلام ودق الطبول، واصطفوا مرحبين بمجىء الإله جين شين، وتقدم الأمير جماعة القردة مسرعا الى

باب الكهف، ثم إنحنى مقدما التحية وقال:

- تفضلوا سيد جين شين، معذرة لى اذ لم أستقبلكم بالخارج.

تقدم الإله جين شين الى الداخل. ثم توقف وقال:

- جئت لأخبركم أيها الأمير، أنكم قد نزلتم من قصر السماء معترضين على صغر الوظيفة، فلما غادرتم مقر عملكم، ذهب كل عمال الاسطبل الى الامبراطور وأخبروه بما وقع منكم، فأمر الامبراطور كل موظفى القصر إحترام عملهم. وألا يحتقر أحد وظيفته مهما كان قدرها. حينئذ تقدم الإله لى وإبنه الأمير نه تشا لقتالكم والقبض عليكم وتسليمكم للامبراطور. لكنهما لم يعرفا قدركم. فانهزما هزيمة منكرة، وعادا الى السماء، وأخبرا الامبراطور أنكم كتبتم على باب الكهف تطلبون وظيفة " أمير السماء" فإستعد القادة والجند لقتالكم ثانية. لكنى طلبت أن أغامر وأنزل لدعوتكم حتى ولو لقيت منكم الإهانة، وكذلك طلبت اعداد مصوغات تعيينكم فى الوظيفة الجديدة، ليعتمدها سيدى الامبراطور. وهذا هو ما جئت من أجله.

إبتسم أمير القردة وقال:

- إختلفنا المرة السابقة وجمعنا الحب مرة ثانية. شكرا لكم! شكرا لكم! لكنى لا أعرف عما إذا كان هناك وظيفة شاغرة لـ"أمير السماء" عندكم فى القصر أم لا ؟

قال جين شين:

- لقد حصلت على إعتماد لهذه الوظّيفة قبل مجيئى، وإلا

ما جرؤت على النزول لدعوتكـم، فإن لـم أفعـل ذلـك أكـن قد ارتكبت خطأ فى حقكم.

فرح الأمير سون بذلك، وأعد مأدبة كبيرة للإله جين شين، ثم امتطيا السحاب وتوجها معا الى بوابة السماء، حيث استقبلهما قادة وجنود الحرس. ثم دخلا الى القصر حيث مجلس الامبراطور. وهناك قال الإله جين شين:

– يا صاحب الجلالـة! قد وصـل سون وو كونـغ رئيـس إسطبل الخيل وفقا لأوامركم.

قال الامبراطور:

– تقدم يا سون، قد عينتك فى وظيفة " أمير السماء" إنها وظيفة كبيرة، لذلك عليكم الالتزام وعدم العبث.

فهلـل أمير القردة بالتشكرات للامبراطور. ثـم أمر الامبراطور رئيس الديوان بإعداد مقر أمير السماء الجديد علـى يميـن بستان الخوخ، وتعيين إثنين من الموظفين لخدمته وسلامته والعمـل علـى راحته، كما أمر بتعيين مجموعة من المساعدين له. ثم أمر خمسة من ضباط الحرس بتوصيل أمير القردة الى مقر عمله، يحملون معهم طاقمين مـن الخمور وعشر رزمات مـن الورود، حتـى يستقر أمير القردة فى عمله، ولا يعبث مرة ثانية.

تلقى أمير القردة هذه التعليمات وإنطلق فى الحال مع الحرس الى مقر عمله. وهناك فتح قارورات الخمر، وأخذ يحتسى هو ومن حوله. وبعد ذلـك عاد ضباط الحرس الـى القصر، وتركوه هادئ البال، يعيش الحياة فى رغد وحب، والسعادة ترفرف عليه، بلا قلق

ولا مشاكل. لكن الأمور هل ستبقى هكذا، أم سيتغير الحال؟ اذا أردت أن تعرف الباقي اقرأ معنا الفصل التالى.

الفصل الخامس

أمير السماء أولا وأخيرا هو قرد إبليس، لا يعرف درجات الوظائف، ولا يفهم حجم الرواتب، لا يثيره سوى الأسماء اللامعة، وهذان الموظفان فى مقر الإمارة يقومان على خدمته ليل نهار، فهو لا يعرف سوى الأكل ثلاث مرات يوميا، والنوم الهادئ بالليل والحرية واللهو طوال النهار، غير مشغول البال، يقضى وقته فى صحبة الأصدقاء، والفسحة بين جنبات القصر يتعرف على الناس، اليوم فى الشرق وغدا فى الغرب، يمتطى السحب حينما يذهب، غير مستقر فى مكان.

ذات يوم، كان الامبراطور فى إجتماع بالآلهة موظفى القصر، فخرج من بين الحضور الإله شو تشينغ يانغ، وانحنى للامبراطور، ثم قال:

- جلالتى! إن الموظف أمير السماء ليس لديه عمل يشغله، فيقضى وقته فى التعرف على الآلهة والموظفين، يصادق الكبير منهم والصغير، نخشى أن يحدث مكروها نتيجة لهذا الفراغ، فما رأيكم أن نبحث له عن عمل يشغله، حتى نتجنب وقوع شيء لا تحمد عواقبه.

سمع الامبراطور ذلك وأصدر أمرا بإستدعاء القرد سون وو

كونغ، فتقدم سون وو كونغ يغمره الفرح وقال:

- يا صاحب الجلالة! لأى خبر سعيد دعانى حضرتكم؟

قال الامبراطور:

- نرى أن وقت فراغك كثير، لا يوجد ما يشغلك. فلنوكل اليك بعض العمل، تقوم بإدارة بستان الخوخ، ترعاه بإهتمام صباح مساء.

فرح القرد بذلك، ورفع يديه مقدما الشكر للامبراطور، ثم إنصرف.

لم يعبأ القرد سون بترتيب شئون عمله أولا، وإنطلق مباشرة الى البستان للتعرف على الأحوال، فمنعه الحارس من الدخول متسائلا:

- أين أنت ذاهب أيها الأمير؟

قال القرد:

- إنى مسئول عن إدارة البستان بأمر جلالة الأمبراطور، وجئت الآن لتفقد الأحوال.

رحب به الحارس فى أدب، وأسرع بجمع موظفى الحرس والرى والنظافة وتنسيق الحدائق، فتقدموا جميعا وانحنوا للأمير. ثم استقبلوه الى داخل البستان، حيث:

تبدو أزهار الخوخ فى حمرة ملتهبة
تعلو الأشجار بفروعها المتراصة
تتفتح الأزهار فى ثوبها الوردى، وتميل الثمار بالأغصان

تتدلى حبات الخوخ فى حمرة مخنوقة
تشبه وجنات الصبايا لما يلفحها النسيم
تزهر وتثمر كل حين
لا تعرف من الفصول صيفا أو خريف
إن إستوت كانت كشارب الخمر الثقيل
والفج منها أخضر، يلفه لون الضباب وقت الصباح
وتحت ضوء الشمس يعلوه إحمرار
وتحت أغصان الشجر تتعانق الورود بالأزهار
على طول السنة ترتدى ثوب الجمال، لا يعقها طقس أو زمان
والجواسق الصغيرة تبدو جميلة للعيان
فثماره ليست عادية فى الدنيا إنما من زرع الإلاهة وانغ

متع القرد سون بهذه اللوحة الرائعة من الجمال، ثم سأل الحارس:

- كم عدد الأشجار فى البستان؟

فأجابه:

- يوجد ثلاثة آلاف وستمائة شجرة مقسمة الى ثلاثة أنواع، الأول منها عدده ألف ومائتا شجرة، زهرها قليل وطرحها صغير، ثمارها تنضج مرة كل ثلاثة آلاف عام، يأكل منها الإنسان فيصبح إلاها ويظل فى ريعان الشباب على طول الزمان.

الثانى منها عدده ألف ومائتا شجرة، زهرها كثيف وطرحها

حلو المذاق تنضج ثمارها كل ستة آلاف عام، يأكل منها الإنسان، فيصبح بوذا نورانيا، لا يصيبه الشيب دوما مع الأيام.

والثالث منها عدده ألف ومائتا شجرة أيضا، تنضج ثمارها كل تسعة آلاف عام، يأكل منها الإنسان فيساوى عمره عمر الأرض والسماء ويحيى ما دامت الشمس والقمر.

سمع القرد سون هذه الأخبار، فتطاير من الفرح، وإكتفى فى هذه المرة بمعرفة أعداد الشجر والجواسق بالبستان ثم عاد الى مقر عمله. وبعدها داوم على زيارة البستان مرة كل ثلاثة أيام، ولم يعد ينشغل بصحبة رفيق أو معرفة صديق.

ذات يوم، كان الأمير سون فى زيارة للبستان، فوقع نظره على حبات الخوخ ووجد أن معظمها ناضج، فحاول أن يتذوقها. لكنه وجد الحرس والعمال يلازمونه حيثما كان، ففكر فجأة فى أن يأمرهم بالانتظار خارج البستان، فقال:

- انتظرونى هناك، حتى أستريح قليلا داخل الجوسق فى البستان.

فتراجع الجميع الى خارج الباب، لكنهم رمقوه بنظرهم، فوجدوه قد خلع خوذته وثيابه، وتسلق الشجرة الكبيرة، وأخذ يلتقط حبات الخوخ الكبيرة الناضجة، حتى جمع منها الكثير، ثم جلس فوق أحد الفروع، وشرع يأكلها حتى شبع. ثم قفز من فوق الشجرة، وارتدى خوذته ورتب ثيابه ثم استدعى الحرس والموظفين أن يصطحبوه الى مقره، وبعد ثلاثة أيام ذهب ثانية الى البستان، وبنفس الطريقة، أخذ يسرق الخوخ ويأكله خلسة.

ذات يوم فكرت الإلاهة وانغ فى عمل وليمـة خوخ كبيرة، ففتحت القصر حيث تقام " وليمة الخوخ" كل عام فى ياو تشى. وأمرت وصيفاتها السبع: ذات الرداء الأحمر وذات الرداء الأخضر وذات الرداء الأبيـــض وذات الرداء الأسود وذات الرداء الأزرق وذات الرداء الأرجوانى وذات الرداء الأصفر. كل منهن تحمل سلة تجمع فيها ثمار الخوخ من البستان. نفذت الوصيفات السبع أمر الإلاهة وانغ وتوجهن في الحال الى البستان. فوجدن الحارس عند البوابة ومعه العمال وخادمي الأمير سون، فتقدمن و قلن:

- إن الإلاهة وانغ أمرتنا بجمع الثمار من البستان.

قال الحارس:

- إننظرن هنا، فهذا العام ليس كسابـق الأعوام، البستان الآن أصبح بأمر الامبراطور تحت إدارة أمير السماء سون وو كونغ. فلا بد أن نستأذن الأمير أولا ثم نسمح لكن بالدخول.

سألن:

- أين الأمير؟

قال:

- الأمير داخل البستان، أراد أن ينام قليلا لأنه تعبان.

قلن:

- إن كان الأمر كذلك، فاطلب منه أن يخرج لنا حتى لا يؤخرنا عن عملنا.

دخل الحارس ليبحث عن القرد سون فى جوسق الأزهار فلم يجده، رأى فقط خوذته وثيابه. بحث عنه فى كـل الجنبات فلـم

يجده، لا يدرى أين ذهب. فى الأصل ان القرد قد لعب برهة، ثم تسلق الشجر وأكل الخوخ حتى شبع. وبعد ذلك تلا تعويذة وحول هيئته الى هيئة شخص صغير فى طول بوصتين فقط، ثم تسلق غصنا صغيرا ونام فوقه بين أوراق الخوخ. لكن الوصيفات السبع اللاتى طال إنتظارهن قلن متأففات:

– إننا جئنا بأمر الإلاهة وانغ، وإن كنت لم تجد الأمير بالداخل، فكيف لنا أن نرجع اليها خاليات الوفاض؟

فقال الموظف الخادم:

– أنتن جئتن بأمر الإلاهة وانغ، ولا يمكن أن ترجعن خاليات بدون خوخ، وسيدنا الأمير عجيب فى تضييع الوقت. ربما انه فى مكان آخر فى البستان لصحبة الرفاق وزيارة الأصدقاء، فادخلن أولا لجمع الثمار، وسنبلغ الأمير بذلك حين عودته.

سمعت الوصيفات السبع هذا الكلام فدخلن البستان لجمع الثمار. وجمعن من الصنف الأول سلتين ومن الصنف الثانى ثلاث سلال، ولما وصلن الى الصنف الثالث، لم يجدن إلا بعض حبات الثمار الخضراء النيئة. فى الأصل ان الثمار الناضجة كلها أكلها أمير القردة سون وو كونغ. نظرت الوصيفات السبع حولهن شرقا وغربا، فلم يجدن سوى خوخة واحدة على الغصن نصف ناضجة بين حمرة وبياض، جذبت ذات الرداء الأزرق هذا الغصن الى أسفل، وأخذت ذات الرداء الأحمر تلتقط ما عليه من الخوخة ثم تركت ذات الرداء الأزرق هذا الغصن من يدها، فعاد الغصن مرتفعا بشدة الى حيث كان، فإستيقظ على أثر ذلك الأمير سون

الذى كان نائما فوق هذا الغصن. ولما استيقظ من نومه تحول الى هيئته الطبيعية، ورفع عصاه السحرية من فوق أذنه ونفخ فيها، فأصبحت نبوتا غليظا طويلا ثم صاح مزمجرا:

– من أنتن أيتها الأبالسة، هل تجرؤن على سرقة الخوخ من بستانى ؟!

فأسرعن بالركوع أمامه على الأرض، والخوف يكاد يقطع أوصالهن، وقلن:

– لا تغضب أيها الأمير، إننا لسنا بأبالسة، لقد جئنا هنا بأمر الإلاهة وانغ، جئنا وقابلنا الحارس أمام البوابة. وإنتظرناكم وقتا طويلا. ودخل الحارس يبحث عنكم فلم يجدكم، فدخلنا البستان حتى لا نتأخر على أمر الإلاهة وانغ، على أن نخبركم بالأمر بعد مجيئكم، فأعف عنا واغفر لنا زللنا يا سيدنا الأمير!

سمع سون وو كونغ ذلك، فعادت اليه البهجة وقال:

– إنهضن، وأجبن سؤالى: على شرف من تقيم الإلاهة وانغ هذا السرادق وهذه الوليمة؟

فقلن:

– على شرف نفس مجموعة الآلهة الذين حضروا فى العام الماضى، مثل إله السماء الغربية، وإله الجنوب وإله الشرق، وآلهة القارات العشر والجزر الثلاث وإله الشمال وإله الأرض الوسطى، وآلهة الجنوب الخمسة.

فضحك القرد سون وقال:

– أ لم تقدم الدعوة الى؟

قلن:

- لم نسمع بذلك يا سيدى.

فقال أمير القردة:

- إننى أمير السماء سون وو كونغ، يجب أن أكون فى مقدمة الضيوف على كل حال، سأنظر ماذا تفعل الإلاهة وانغ!

قلن:

- هذا هو النظام القديم. أما الآن فلا نعرف ماذا سيكون أمر الضيوف.

فقال القرد سون:

- حسنا، قمن وقفن فى أماكنكن، وإنتظرن حتى أذهب وأستفسر عن هذا الأمر، وأنظر ماذا ستفعل الإلاهة وانغ بشأن دعوتى!

ثم نظر الى الوصيفات السبع وأخذ يتلو تعويذته لسحرهن، وقال:

- اثبتن! اثبتن! اثبتن!

فى الأصل، هذه التعويذة يستخدمها القرد سون للسحر، سحرهن فوقفن فى أماكنهن بلا حراك، وعيونهن لا ترمش. وتركهن على هذا الحال تحت أشجار الخوخ ثم إمتطى السحب وخرج مسرعا من البستان الى طريق ياو تشى حيث مقر الوليمة.

بينما هو فى الطريق الى ياو تشى، وقع بصره على الإله الحافى القدمين، فطأطأ رأسه وطفق يفكر كيف يخدع هذا الإله، فهو يريد أن يتخفى فى صورته ويدخل الى مقر الوليمة، فسأله:

- الى أين يا سيدى؟
فأجابه الإله الحافى القدمين:
- إنى تلقيت دعوة من قبل الإلاهة وانغ لحضور حفلة الخوخ.
فقال القرد مخادعا:
- ربما أن سيدى لا يعرف ما حدث، إنه نظرا لسرعتى الفائقة فى إمتطاء السحب. قد إختارنى الامبراطور للقيام بدعوة الآلهة من كل مكان لحضور الوليمة، والآن يمكنكم التوجه أولا الى قصر تونغ مين لحضور المراسم، ثم بعد ذلك يتوجه الجميع الى سرادق الوليمة.
ولأن الإله الحافى القدمين سليم النية سهل الخداع، صدق كذب القرد سون وو كونغ، ثم غير إتجاهه وأخذ طريقه الى قصر تونغ مين.
إمتطى القرد سون السحب، وتلا تعويذاته، وبهزة واحدة من جسمه تحولت هيئته الى هيئة الإله الحافى القدمين، وتوجه الى مكان الوليمة فى ياو تشي. ولم يمض طويلا حتى وصل الى السرادق الكبير، هناك أوقف السحب وأخذ يتحرك فى هدوء وخفة حتى وصل الى الداخل، حيث الأثاثات والمفروشات مرتبة فى نسق جميل، لكن لم يصل أحد من الضيوف بعد. وفجأة، إقتحمت أنفه رائحة الخمر المعتقة، استدار نحو مصدر الرائحة فوقع بصره على الممر فى الجانب الأيمن من السرادق، حيث يوجد الطهاة وصناع الخمر ومعهم من يحمل الماء ومن يوقد الأفران، وقد أعدوا خمرا

لذيذا، فسال لعاب القرد سون الذى يفكر فى الاحتساء منها كما يشاء، لكن وجود هؤلاء العمال يمنعه من الاقدام على ذلك. ففكر كيف يتخلص منهم، حتى يخلو له المكان. فلجأ الى حيلته ونزع بعض خصلات الشعر، ثم تلا تعويذته ونفخ فى هذه الشعرات، فتحولت فى الحال الى مجموعة من فراشات النعاس التى تجلب النوم لكل من يقف على وجهها. انتشرت هذه الفراشات على وجوه العمال، فتجد العامل منهم يفقد القدرة على العمل ويغمض عينيه ويغلبه النعاس فينام نوما عميقا. عندئذ دخل القرد سون الى مكان الخمر، ففتح القارورات وأخذ يحتسى بنهم حتى إمتلأ عن آخره وثقل رأسه وسكر. حينئذ طفق يهذى بكلمات مترنحا يمنة ويسرة:

- هذا لا يليق، هذا لا يليق! إذا انتظرت المأدبة وحضر الضيوف، لن يحدث خير، وسوف يقبض على، وهذا لا يصح، من الأفضل أن أرجع الى مسكنى وأنام.

سار القرد سون وو كونغ يتمايل ذات اليمين وذات الشمال، وقد أفقدته الخمر صوابه، وأخذ يتخبط فى الطريق، حتى فقد الطريق الصحيح المؤدى الى مكان إقامته، وسلك الطريق الخطأ المؤدى الى دو شواى. نظر أمامه فجأة فعاد الى رشده مفكرا:

- إن قصر دو شواى كائن فى السماء الثالثة والثلاثين، حيث سماء لى خان مقر إقامة الإله تاى شانغ. آه! كيف وصلت الى هنا؟!! خيرا، خيرا على كل حال، فمنذ زمن طويل وأنا أتمنى زيارة الإله تاى شانغ، فلأنتهز هذه الفرصة لزيارته!

ثم رتب ثيابه ودخل القصر فلم يجد الإله بالداخل، كما لم

يجد اثرا لأى شخص. فى الأصل أن الإله تاى شانغ قد صعد الى الطابق الثالث عند منصة جولين الحمراء للقيام بالمحاضرة الإلهية مع البوذا رانغ دانغ، وقد التف حولهما كل الآلهة والحشم والخدم بالقصر. فدخل القرد سون الى مبنى تكرير الدواء الإلهى فلم يجد أثرا لشخص. لكنه رأى الى جانبه يوجد فرن، النار مشتعلة بداخله، وعلى جانبيه يوجد خمس قرعات كبيرة مملوءة بحبات الدواء الإلهى المكررة، فلما وقع بصره عليها، قال مبتسما:

– هذا هو الكنز الكبير للآلهة، واليوم قد جاءتنى الفرصة سانحة، فلم لا أغتنم فرصة عدم وجود الإله تاى شانغ، وأتذوق هذه الحبات الذهبية؟

ثم فتح القرعات الخمس وأخذ يتسلى فى أكلها واحدة بعد أخرى حتى أكلها كلها كأنه يقرقش الفول المقلى.

بعد أن فرغ من الأكل. فاق من سكره، فأخذ يلوم نفسه على فعلته هذه، ويقول:

– عبثا! عبثا! هذه كارثة أكبر من السماء، ماذا لو عرف الامبراطور بذلك، ستضيع حياتى، الأحسن أن أهرب، أهرب بحياتى، لا يوجد أحسن من النزول الى كهف مستتر بالشلال مرة ثانية.

خرج القرد سون من القصر مسرعا، لم يسلك الطريق القديم، خرج هذه المرة متخفيا من البوابة الغربية، ثم إمتطى السحب عائدا الى جبل الفواكه والورود. وهناك، وجد الأسلحة تبرق حيث يستعرض القادة الأربعة والأبالسة الاثنان والسبعون فنون

السلاح والحرب. فصاح الأمير سون وو كونغ:

- أيها الصغار، قد وصل أميركم!

فرمى كل واحد منهم بسلاحه وركع على ركبتيه وقالوا:

- سيدى الأمير ما أقسى قلبك، كيف نهون عليك وتتركنا كل هذه الفترة دون أن تسأل عنا!

قال الأمير:

- ليست الفترة طويلة!

أجابهم وهو يسير في إتجاه الكهف حتى دخل. فأسرع القادة الأربعة بتجهيز المكان وتنظيمه ثم انحنوا للأمير، وقالوا:

- سيدى الأمير، قضيتم في السماء مئات سنة، فماذا كانت وظيفتكم هناك؟

ضحك الأمير وقال:

- أظن أننى قضيت في السماء ستة شهور فقط، فأنى جاءت مئات سنة؟!

قالوا:

- إن اليوم فى السماء يساوى سنة على الأرض.

قال الأمير:

- لقد حظيت بحب ورعاية الامبراطور هذه المرة، فقد قلدنى وظيفة أمير السماء، وخصص لى مقرا لوظيفتى، ثم بعد ذلك وجدنى غير مشغول بأى عمل، فكلفنى بإدارة بستان الخوخ. حينئذ أقامت الإلاهة وانغ وليمة الخوخ على شرف الآلهة ولم تعزمنى، فلم أنتظر عزومتها ورحت الى سرادق ياو تشى والتهمت كل

المأكولات، وشربت كل الخمور المعتقة التى أعدوها للمدعوين، وخرجت من ياو تشى سكران مسلوب العقل، فأخطأت الطريق ووصلت الى قصر الإله تاى شانغ وسرقت خمس قرعات مملوءة بحبات الدواء الذهبية وأكلتها كلها. وخشيت أن يكتشف الامبراطور جرائمى، فخرجت من بوابة السماء هاربا الى هنا.

إستمع الجميع الى كلام الأمير فى دهشة وغبطة، ثم راحوا يعدون الخمر ترحابا بعودته، أخذوا يصبون خمر الجوز الهندى فى الأقداح الحجرية. وقدموا للأمير فرشف منها رشفة، ثم فتح فاه متأففا وقال:

– ليست طيبة! ليست طيبة!

فقال القائدان بينغ و با:

– إن سيدى الأمير يحتسى خمر الآلهة ويطعم طعام الآلهة فى السماء، فكيف يحلو مذاق خمرة الجوز الهندى هذه! لكن على رأى المثل: مهما يكن طعم الماء حلوا أو مرا، فحسبنا أنه ماء الموطن.

فقال الأمير:

– وكذلك أنتم غرباء كنتم أو أقرباء، حسبى أنكم أهل بلدى. على فكرة، عندما كنت أحتسى الخمر فى السرادق اليوم، وجدت الممر مملوء بالقارورات من الخمر العتيقة، إنها خمر لم تتذوقوها فى حياتكم، انتظروا حتى أذهب الى هناك وأسرق لكم بعض القارورات، ليحتسى كل واحد منكم نصف قدح، فيطول عمره ولا يشيبه الشيب أبدا.

ففرحوا بذلك فرحا شديدا. ثم خرج الأمير الى باب الكهف، وتشقلب فى الفضاء حتى وصل متخفيا الى سرادق ياو تشى فى السماء حيث توجد الخمر. لما دخل السرادق وجد الطهاة والعمال ما زالوا يغطون فى نوم عميق. فراح يتأبط قارورات الخمر الكبيرة، كما حمل فى كل يد قارورتين ثم إمتطى السحب عائدا الى الكهف. فاستقبله القردة مهللين واقاموا حفلة خمر الآلهة، وطفقوا يصبون الخمر فى الأقداح ويحتسون فى سعادة غامرة. أما الوصيفات السبع اللاتى سحرهن القرد سون وثبتهن بتعويذته تحت أشجار الخوخ فى البستان، فمكثن أسبوعا كاملا فى أماكنهن حتى إنفك السحر. ثم حملت كل واحدة منهن سلة خوخ. وذهبن الى الإلاهة وانغ وقلن:

– إن أمير السماء ربطنا عن الحركة بسحره، لذلك تأخرنا عليك.

فسألت الإلاهة وانغ:

– وماذا جمعتن من الخوخ؟

قلن:

– لم نجمع سوى سلتين من الخوخ الصغير، وثلاث سلال من الخوخ المتوسط، أما النوع الأخير فلم نجد منه ولا نصف واحدة. قد سرقه أمير السماء وأكله. وبينما نحن نبحث عن الخوخ، ظهر الأمير فجأة فى ضراوة وشراسة ثم سألنا لمن تقام هذه الوليمة. فشرحنا له كل ما حدث فى وليمة العام الماضى، ثم تلا تعويذة وثبتنا فى أماكننا، وراح عن أعيننا لا ندرى أين ذهب.

حتى اليوم، إنفك عنا السحر واستطعنا الحركة.

سمعت الإلاهة وانغ كلامهن، فأسرعت لمقابلة الامبراطور، ثم قصت عليه الأمر. وبينما هي تتحدث، وجدت مجموعة الطهاة وصناع الخمر قادمين، ثم توجهوا الى الامبراطور وقالوا:

– لا نعرف من الذى جاء الى ياو تشى وأفسد ما أعددنا للوليمة وسرق المأكولات والخمور.

ما إن فرغوا من كلامهم، حتى جاء بعدهم ضباط الحرس السماوى وأخبروا الامبراطور أن الإله تاى شانغ قد جاء لمقابلته. فخرج الامبراطور والإلاهة وانغ لمقابلته، فقدم الإله تاى شانغ التحية وقال:

– قد أعددنا حبات الدواء الذهبية، إستعدادا لوليمة حضرتكم، لكن لم نتوقع أن ينقض عليها لص ويسرقها، لذلك جئت لإخباركم بذلك.

فنظر الامبراطور اليهم وقد تملكه الخوف، ثم جاء الضباط الحرس لقصر أمير السماء سون وقدموا التحية ثم قالوا:

– إن أمير السماء سون وو كونغ لم يعبأ بعمله وخرج بالأمس للفسحة، لكنه لم يرجع حتى الآن ولا ندرى أين ذهب.

عندئذ إزدادت الشكوك والمخاوف فى نفس الامبراطور. ثم هبط الإله الحافى القدمين وركع أمام الامبراطور وقال:

– جلالتى! لقد تلقيت دعوة الإلاهة وانغ، وجئت بالأمس لحضور الوليمة، فقابلنى الأمير القرد فى طريقى وأخبرنى بأن حضرتكم قد كلفتموه بدعوة الضيوف وإخبارهم بأن مراسم الوليمة

ستقام أولا فى قصر تونغ مين، ثم نوجه بعدها الى سرادق الوليمة. فصدقته وغيرت اتجاهى الى قصر تونغ مين حتى وصلت الى بوابة القصر فلم أر تخت الامبراطور والسيدة قرينتـه، فجئـت الـى هنا لاستبيان الأمر.

فازدادت دهشة الامبراطور وقال:

– هذا الصعلوك كيف يلفق الأكاذيب ويخدع الآلهة، مروا ضباط الحامية ليبحثوا عنه ويقتفوا أثره!

إستمر ضباط الأمن فى البحث والتقصى فى كل مكان، حتى عرفوا تفاصيـل كـل الجرائـم التـى ارتبكها أمير السماء سون وو كونغ. ثم سردوا على الامبراطور الجرائم التى ارتكبها أمير القردة للمرة الثانية. فثارت ثورة الامبراطور وكلـف ملوك الحرب الأربعة بالتنسيق مـع القائد لـى وإبنـه الأمير نـه تشا للقبـض علـى القرد الصعلوك! نفذ الآلهـة أوامر الامبراطور فـى الحال وغادروا السماء الى الأرض لتأديب القرد سون وو كونغ.

حينئذ أصدر الأمير لـى أوامره، فنصبـت القوات السماويـة معسكراتها وحاصرت جبل الورود والفواكه حصارا محكما، وسدت عليه كل المنافذ، إنتشرت القوات من أعلـى الـى أسفـل مشكلـة ثمانى عشرة شبكة تصل الأرض بالسماء، وأمر آلهة النجوم التسعة للتقدم أولا لساحـة القتال، فقادوا القوات وحملوا السلاح حتـى وصلوا الـى باب الكهـف، فوجدوا جماعـة القردة وهـم يقفزون ويمرحون، فزعقوا فيهم بصوت غليظ:

– أيها الأبالسة، أين أميركـم؟ نحـن آلهـة مبعوثون بأمر

امبراطور السماء لدحر أميركم المجرم والقبض عليه، فنادوه ليسلم نفسه فى الحال، ولا ينبس بكلمة لا وإلا فالموت لكم جميعا.

فأسرع القردة الى الداخل وأبلغوا الأمير سون وو كونغ:

– سيدى مصيبة! مصيبة! يوجد بالخارج تسعة آلهة جبابرة، يقولون انهم جاءوا بأمر السماء لدحركم!

فى هذه الأثناء، كان يجلس الأمير سون مع الأبالسة الإثنين والسبعين والقادة الأربعة ليتمتعوا بالخمر السماوى، فلما سمع الأمير الخبر لم يكترث وقال:

– إن اليوم يوم الخمر، يوم السكر، لا تعبأوا بما فى الخارج.

ولم يفرغ من كلامه حتى دخلت مجموعة أخرى من القردة تقول:

– إن الآلهة الجبابرة التسعة قد هدموا بوابة الكهف واقتحموا المكان ليقتلونا!

فقال الأمير غاضبا:

– يا لهم من آلهة سفلة غير مؤدبين، إننا لم نبال بهم ولم نقم لهم وزنا، فكيف يعتدون علينا فى عقر دارنا؟!

ثم نهض وأمر الإبليس وحيد القرن بقيادة الأبالسة الإثنين والسبعين للخروج الى ميدان المعركة، ثم يتبعهم القرد سون والقادة الأربعة. فجمع وحيد القرن القوات الإبليسية وخرج الجميع لملاقاة العدو القادم من السماء. فواجهوا حربا مفاجأة من الجبابرة التسعة حيث سدوا عليهم الجسر الحديدى ومنعوهم من التقدم.

ووسط ضجيج المعركة، تقدم الأمير سون، وصاح فيهم:

- افسحوا الطريق!

ثم سحب نبوته الحديدى وهزه فى يده، فكبر النبوت حتى طال الى ما يزيد على أربعة أمتار، ثم أخذ وضع الاستعداد تأهبا للقتال، وبدأ يضرب بنوته وقاتل هؤلاء الجبابرة التسعة حتى هد حيلهم وحطم قواهم. فجر كل واحد منهم سلاحه وراءه حاملا عار الهزيمة. ثم انسحبوا من ميدان المعركة واحدا تلو الآخر. ولما ذهبوا الى قائدهم قالوا:

- يا له من وغد شجاع! لم نتمكن من دحره.

فأمر القائد لى الملوك الأربعة والملائكة الحرس الثمانية والعشرين بالخروج لقتاله. لكن القرد سون لم يخش كل هذه القوة الجبارة وأخرج لهم الابليس وحيد القرن يقود القوات الشبحية أى الأبالسة الاثنين والسبعين، ومعهم القادة الأربعة.

استمر القتال من الصباح الباكر حتى توارت الشمس خلف الجبل. وقع خلالها وحيد القرن والأبالسة الاثنان والسبعون فى أسر قوات السماء، ورجع فقط القادة الأربعة وأتباعهم من عصبة القردة. إختبئوا تحت كهف مستتر بالشلال، لكن الأمير سون صمد بنبوته وحارب الملوك الأربعة والأمير لى وإبنه الأمير نه تشا فظلوا وسط الفضاء. ودار بينهم قتال طويل. ولما رأى الأمير سون ضوء النهار يتوارى والليل يسدل أستاره، نزع شعرات من جسمه وتلا تعويذته و نفخ فيها، وصاح "غير"، فتحولت الشعرات الى عشرات من هيئة الأمير القرد سون. وكل منهم يحمل النبوت الذهبى العقد فى يده

ويطيح به فى قتال عنيف، حتى دحر الأمير نه تشا وانهزم الملوك الأربعة.

حقـــق الأمير سون الانتصار. وأعاد الشعرات مرة ثانيـــة، واستدار بسرعة عائدا الى الكهف. فوجد فى طريقه القادة الأربعة على رأس عصبة الأبالسة واقفين فوق الجسر الحديدى فى إستقباله. لما إقترب منهـم وجدهـم ينتحبون بكاء، ثـــم ما لبثوا أن طفقوا يقهقهون ضحكا، فاستعجب الأمير من أمرهم وقال:

– ما خطبكم! ما إن رأيتمونى حتى بكيتم مرة وضحكتـم مرة!

فقال القادة الأربعة:

– لما كنا نتحارب مع قوات السماء فـى الصباح، أسروا منا وحيد القرن والأبالسة الاثنين والسبعين، وفررنا نحن من الموت، فبكينا لذلك. والآن رأينا سيدنا الأمير قد عاد منتصرا، ولم يصبه مكروه فضحكنا لذلك.

فقال الأمير معلقا:

– علـى رأى أهـل زمان ان القائد العسكرى غالـــب مرة ومغلوب مرة. وفـى هذه المعركـة، تقتـل عشرة آلاف مـن قوات العدو، وتخسر فى مقابلهم ثلاثة آلاف فقط من جانبنا، ومع ذلك، ان الذين أسروا ليسوا من قواتنا، إنما هم مجموعة حيوانات مثـل النمر والفهد والذئب والحشرة والغرير والابل والثعلب وغزال النهر. أما قواتنا فلم يصاب منهم أحد. فما هو الداعى الى القلق؟ وعلى رغم الهزيمة التى لحقـت بهـم نتيجـة لاستخدامـى وسيلـة التحول

والانقسام قبل قليل، إلا أنهم نصبوا معسكرهم بالقرب من كهفنا أسفل الجبل. ولا خوف من ذلك فنحن محصونون تماما. هيا نتناول بعض الطعام وننام نوما هادئا ونأخذ قسطا من الراحة. ولما يطلع الصبح، أستخدم حيلي الجهنمية وآخذ القوات وأخرج للانتقام منهم.

فقام القادة الأربعة والقردة بصب خمر وتناولوا عدة أقداح وناموا نوما هادئا. وعلى الجانب الآخر أمر ملوك السماء الأربعة بسحب القوات وتوقف المعركة، وقام كل جندى بإعلان ما حققه من إنجاز فى المعركة، فمنهم من أسر الأسد والفيل، ومنهم من أسر الذئب والحشرة، ومنهم من أسر الثعلب وغزال النهر، لكنهم لم يتمكنوا من أسر قرد واحد من أتباع سون وو كونغ. وعندئذ أقاموا معسكرهم، وتم توزيع المكافأة على القادة الذين قاموا بالأسر ثم أصدرت الأوامر للقوات بالانتشار وتشكيل شبكة كبيرة، كل واحد منهم يرفع الجرس ويصيح، حتى يحاصروا جبل الورود والفواكه حصرا محكما، استعدادا للحرب الكبرى فى الصباح. تلقت القوات الأوامر، وإلتزم كل واحد بتنفيذ التعليمات، وماذا سيحدث لما يطلع الصبح بنوره، هذا ما سوف نعرفه فى الفصل التالى.

تعريف الكاتب والكتاب:

وو تشين ان (١٥١٠؟ - ١٥٨٢؟) اسمه الأصلي رو تشونغ. من مواليد مدينة خواى آن بمقاطعة جيانغ سو، وهو روائى شهير من أسرة مينغ الإقطاعية. عمل أجداده فى حقل التعليم، أما والده فواصل مهنة جده لأمه وهي التجارة. وفى صغره اشتهر وو تشين ان بكتابة المقالات، لكنه لم يوفق فى امتحان الدولة فى ذلك الوقت. وكان يتمتع بشخصية عنيدة لا تعرف التملق. ولما كان فى الستين ونيف من عمره عمل نائبا لبندر تشانغ شين، لكن الحياة الوظيفية بما فيها من زيارات ومجاملات لم توافق هواه، فسرعان ما تخلى عنها وعمل فى مهنة الأدب. وفى أواخر أيامه كتب الشعر ومارس الإبداع الفني. فكتب فى لغة سهلة مفهومة أروع الروايات الاسطورية الطويلة "حج الى الغرب".

و"حج الى الغرب" فى مائة فصل، تحكى رحلة الراهب الذى خرج من البلاد فى سنة ٦٢٩م متوجها الى الهند لاحضار الكتب البوذية المقدسة، استغرقت رحلته سبع عشرة سنة مر فيها بأكثر من مائة بلد، حتى عاد فى النهاية بستمائة وسبعة وخمسين كتابا. وفى ضوء هذه الرحلة الشاقة وما كتب وروى عنها فى الكتب والروايات التى تناولت سيرة الراهب، استطاع الكاتب بقدرة فنية فائقة أن ينسج أحداث هذه الرواية الأسطورية التى تصور رحلة الراهب الى الهند فى حماية الأتباع الثلاثة - القرد سون وو كونغ والخنزير باجيا والراهب الممسوخ. عرضت الرواية واحدا وثمانين خطبا وإحدى وأربعين حكاية تصور المخاطر والأهوال التى لاقوها من الشياطين والغيلان حتى وصلوا الى الهند. تناولها الكاتب بأسلوب اسطورى يفوق الخيال، فيستطيع القرد سون أن يحول نفسه الى إثنتين وسبعين هيئة، وتصل شقلبته الواحدة فى الفضاء الى ثمانية عشر ألف ميل، ويزن نبوته الحديدى الى ما يقرب من سبعة آلاف كيلو، يمكن أن يطول فيصل طوله الى ما بين السماء والأرض، ويقصر فيصبح فى حجم الابرة حتى يمكن أن يوضع فى الأذن، كما عرضت

الرواية كل أنواع الأسلحة والكنوز فى قدرة فنية تصورية رائعة. وأبرزت ملامح شخصية الأبطال الثلاثة، فصورت القرد سون بقدراته الفائقة ودهائه وشجاعته فلا يخاف الصعاب ولا يعرف التعب، وكذلك اندفاعه فلا يعرف الصبر، والراهب الضعيف المرتبك السهل الخداع. لكن روحه القوية لا تنثنى فى البحث عن الحقيقة، والخنزير باجيا الفظ غير المهذب، الذى لا يتعاطف مع الأرواح الشريرة، الولوع بالأكل والنوم والنساء وجمع المال، يبدى ذكاء فى صغائر الأمور. وتخلع الرواية على الشخصيات قدرة خيالية تفوق ناموس الطبيعة، فتجعلهم من جنس الآلهة، وصفة اجتماعية تجعلهم من جنس البشر، وكذلك صفة حيوانية، فمثلا تصور سون وو كونغ فى صورة قرد، وباجيا فى صورة خنزير، فيكونوا من جنس الحيوان. والرواية فى مجملها مليئة بالرومانسية والخيال. وشخصيات الرواية معروفة عند كل الصينيين، يضرب بهم المثل.

الغانية وصندوق المجوهرات

مأخوذ من: «حكايات لتحذير الناس»

بقلم: فنغ منغ لونغ

ترجمة: حسين ابراهيم

يحكى أنه فى العام العشرين من تقويم وان لى، تقدم أحد موظفى وزارة الخزانة باقتراح إلى الامبراطور لحل مشكلة نقص الأموال والغلال اللازمة لإعداد الجيش، وحظى هذا الاقتراح بموافقة الامبراطور. اذ انه يقضى بفرض ضريبة خاصة نظير شراء مقاعد فى معاهد الدراسة الامبراطورية. وبفضل هذا النظام تحققت فوائد عدة، منها تقديم تسهيلات فى الدراسة للطلاب واجتياز الامتحانات بسهولة وضمان وظائف حكومية مناسبة. ومن ثم عزف أبناء كبار الموظفين و الأثرياء عن الاشتراك فى امتحانات المحافظة بل اشتروا أماكن فى المعاهد الامبراطورية. ومع بداية تنفيذ هذا المشروع تجاوز عدد الطلاب فى معهدى بكين ونانكين الألف.

كان بين هؤلاء الطلاب فتى يدعى لى جيا من أهالى شاو شينغ بمقاطعة جى جيانغ، وكان والده يشغل منصب المسئول المالى بالمقاطعة، له ثلاثة أبناء أكبرهم لى جيا الذى بدأ دراسته منذ نعومة أظافره فى مدرسة بمسقط رأسه. وبعد أن فشل فى اجتياز امتحان المحافظة، استطاع فى ظل النظام الجديد أن

يشترى له مكانا فى المعهد الامبراطورى ببكين.

وكان له فى بكين زميل من نفس مقاطعته يدعى ليو يو تشون اعتاد أن يصطحبه إلى حى الغانيات، حيث التقى لى جيا بغانية ذائعة الصيت تدعى دو وى، وعرفت فى الحى باسم دو شى نيانغ أى "الفتاة العاشرة".

يقال في وصف هذه الغانية الحسناء:

جميلة هى ومهذبة
يفوح منها عبق الأنوثة
حاجباها مقوسان كقمم الجبال
وعيناها أنقى من جداول الخريف
وجهها مثل زهرة متفتحة
تضارع جمال الفتاة جو ون جون
شفتاها كحبات الكرز
لا تقل جمالا عن خادمة الشاعر باى جو يى
ولكن ألقت بها الرياح
فى هذا الوضع الحقير
فتبدو كجوهرة بيضاء
تشوبها بقعة سوداء ...

كانت دو شى نيانغ تعمل غانية منذ كانت فى الثالثة عشرة، وهى الآن تناهز التاسعة عشرة، وفى خلال تلك السنوات السبع

تقابلت مع العديد من أبناء الأثرياء و العائلات النبيلة الذين وقعوا في غرامها وأنفقوا من أجل سحر عينيها كل ما ملكت أيديهم عن طيب خاطر.

ومن فرط جمالها كانوا فى الحى يرددون أربع عبارات هى:

يلتفت الجميع حيث توجد دو شى نيانغ
حتى من لا يفرط فى الشراب عادة
لا يملك حين يراها إلا أن يتجرع عشرات الكئوس
وتبدو الأخريات أمام جمالها باهتات كالأشباح

وعلى الرغم من أن لى جيا كان شابا وسيما إلا أنه لم تقع عيناه على فتاة جميلة من قبل، فما إن رأى دو شى نيانغ حتى فتنته ووقع فى هواها. ولم يكن الفتى وسيما لطيفا ورقيق الطبع فحسب، بل كان سخيا كريما، لذلك سرعان ما حدث تقارب بينه وبين دو شى نيانغ التى كانت تستاء من سيدتها الجشعة ذات القلب المتحجر، وكانت تنوى منذ فترة طويلة ترك عملها الحقير. فما إن قابلت لى جيا وتوسمت فيه الطيبة والإخلاص، حتى اتجهت نحوه بكل كيانها. غير أن لى جيا تردد فى الارتباط بها خوفا من أبيه. ومع ذلك ازداد تعلق كل منهما بالآخر، وكانا يقضيان الأيام والليالى معا يغترفان من المتعة. وتعاهدا ألا يفترقا أبدا حتى ولو نضبت مياه البحار وسقطت قمم الجبال.

فحبهما أعمق من مياه البحار
وأسمى من قمم الجبال

أحست صاحبة بيت الغانيات أن فتاتها دو شى نيانغ قد وقعت فى غرام الفتى لى جيا، وقد حاول الكثير من الأثرياء الذين وصلت إليهم شهرتها أن يصلوا إلى قلبها، ولكن دون جدوى. فى البداية كان لى جيا ينفق أمواله على فتاته بسخاء وبذخ، فراحت صاحبة بيت الغانيات تتملقه بمعسول الكلام، ولكن لما نضبت أمواله بعد عام من البذخ والإسراف، بدأت معاملتها له تتغير ولم تعد تستقبله بحرارة كما كانت تفعل من قبل.

وصل إلى سمع والد لى جيا أن ابنه يتردد على حى الغانيات، فكتب له العديد من الرسائل يأمره بالعودة إلى البيت، لكن الفتى كان مولعا بدو شى نيانغ ولا يحتمل فراقها، فأخذ يؤجل موضوع عودته، حتى استشاط والده غضبا عليه، وأصبح لا يجرؤ على العودة.

يقول المثل الشعبى: "بفلوسك أنا خدامك، من غير فلوسك وفر كلامك". ولكن رغم ذلك كانت دو شى نيانغ تحب الفتى لى جيا حبا صادقا، إذ كلما ازداد فقرا ازداد تعلقها به. وقد نصحتها صاحبة بيت الغانيات أن تجعل لى جيا يرحل عن هذا المكان إلا أن قلبها لم يطاوعها، مما دفع "الريسة" أن تغلظ له القول حتى يغضب ويرحل. ولكن الفتى لى جيا كان حليما واسع الصدر، فلم يثره كلام هذه "الريسة" التى لم تجد بدا إلا أن تسب دو شى

نيانغ قائلة:

– إن "كارنا" هو الدعارة، ونعتمد فـــي تدبير طعامنا وكسائنا على هذا المكان، فنودع الزبون القديم من الباب الأمامى ونستقبل الزبون الجديد من الباب الخلفى، وكلما ازداد الصخب عندنا ازدادت أموالنا. ولكن هذا اللعين لى جيا يتردد علينا أكثر من سنة، فلم يأت إلينا زبائن جدد، حتى الزبائن القدامى لم نعد نراهـم. وصرنا كما لو كان عندنا الإلـه "تشونـغ كوى طارد الشياطين"، فلم يعد يجرؤ أحد على الاقتراب من بابنا، مما جعل تجارتنا تبور، فكيف يكون الحال إذا استمر الوضع هكذا؟

لم تتحمل دو شى نيانغ هذا السب واللعن فردت قائلة:

– لم يدخل علينا لى جيا خالى الوفاض، وقد أنفق علينا كل أمواله.

– كان هذا فيما مضى، والآن تغير الحال، فاطلبى منه أن يعطينى بعض النقود حتى أشترى بها وقودا وأرزا لأطعمكما. إن الفتيات فـى البيوت الأخرى مثـل الأشجار التـى تثمر مالا ما إن تهزها حتى تسقط ذهبا. ولكن النحس أصابنى، فأجدنى أرعى فتاة عاجزة عن الكسب، وعلـى أن أوفر لها ضروريات الحياة السبع. كما أننى أتكفل بإعالة هذا الفقير نيابة عنها، كيـف ندبر طعامنا وكساءنا إذن؟ أخبرى هذا المتسول أن يعطينى بعـض الفضـة إن كان يستطيع، وبعدها يمكنك أن تغربى أنـت وهو عـن وجهـى، وسأشترى فتاة أخرى غيرك، أ ليس هذا أفضل لكلتينا؟

سألتها دو شى نيانغ:

- أ صادقة أنت فيما تقولين؟

وكانت "الريسة" تعلم أن لى جيا لا يملك قرشا واحدا، فقد رهن ملابسه، ومن الصعب عليه أن يدبر أى مال. فأجابت قائلة:

- هل سبق لى أن كذبت عليك؟

- حسن! كم من الفضة تريدينها منه إذن؟

- لو كان شخصا آخر لطلبت منه ألف أوقية من الفضة، ولكننى أعلم أن هذا المتسول يعجز عن دفع مثل هذا المبلغ، لذا سأكتفى منه بثلاثمائة أوقية فقط، أشترى بها فتاة أخرى تحل محلك، بشرط أن يدفع المبلغ فى غضون ثلاثة أيام. وسوف أخلى سبيلك حالما يسلمنى المبلغ. وإن لم يدفعه لى فى موعده، فسوف أوسعه ضربا، ولن يعنينى شأنه ومقامه، ولن يلومنى أحد على ذلك.

قالت دو شى نيانغ:

- على الرغم من أن لى جيا بعيد عن أهله، إلا أنه لن يعجز عن تدبير ثلاثمائة أوقية من الفضة، ولكن ثلاثة أيام قليلة جدا، فلو أعطيته عشرة أيام، لأمكنه أن يدبر لك ما تطلبين.

ولما كانت "الريسة" تعلم جيدا أن لى جيا لا يملك شيئا، وأنها لو أمهلته مائة يوم فلن يستطيع أن يدبر هذا المبلغ، وعندها لن يجرؤ على المجيء إلى بيت الغانيات مرة أخرى مهما كان عديم الشعور، وحينئذ يعود الوضع إلى ما كان عليه من قبل، ولن تجد دو شى نيانغ ما تقوله، فقالت "الريسة":

- من أجلك أنت سوف أزيد المهلة إلى عشرة أيام، ولكن إذا لم يدبر المبلغ خلالها سوف أفعل ما أريد ولن يلومنى

أحد.

– إذا لم يدبر الأمر فى غضون عشرة أيام، فلن يجرؤ أن يخطو عتبة بابنا، ولكن ما أخشاه أن ترجعى فى كلامك بعد أن يدبره.

قالت "الريسة":

– لقد تجاوزت الحادية والخمسين من عمرى، وإننى امرأة متدينة أعبد بوذا وأصوم عشرة أيام من كل شهر، فكيف لى أن أكذب؟ لأزيدك ثقة فى صدق ما أقول، ضعى يدك فى يدى لنتعاهد على ذلك، ولأمسخ كلبا أو خنزيرا إن رجعت فى كلامى.

مياه البحر لا تكيل بالمكيال.
والريسة سيئة النية واسعة الخيال.
تطلب فى العاهرة ثمنا غال.
والفتى مفلس عديم المال.

وفى مساء هذا اليوم، أخذت دو شى نيانغ تتناقش مع لى جيا فى أمر زواجهما. فقال الفتى لى جيا:

– إننى أرغب فى الزواج منك، وهذا يحتاج إلى أكثر من ألف أوقية من الفضة لشراء حريتك، ولكننى خالى الوفاض وعديم الحيلة.

قالت دو شى نيانغ:

– لقد اتفقت مع "الريسة" على أن تدفع لها ثلاثمائة

أوقية من الفضة فقط، ولكن بشرط أن تدبر هذا المبلغ خلال عشرة أيام. صحيح أنك أنفقت كل ما كان معك من مال، لكنه من المؤكد أن لديك أصدقاء في هذه البلدة، يمكنك أن تقترض منهم، ولو دبرت النقود المطلوبة، ستتجنب غضب "الريسة" وسأصبح ملكا لك.

قال لي جيا:

- لقد قاطعني معظم أصدقائي، لأنني أتردد دائما على بيت الغانيات. ولكنني سأزعم لهم غدا أنني راحل، وانني جئت كي أودعهم، وعندئذ سوف أطلب منهم أن يقرضوني نفقات السفر، فربما أستطيع جمع المبلغ المطلوب.

وفي الصباح نهض لي جيا من فراشه وجهز نفسه واستأذن دو شي نيانغ في الذهاب. فقالت دو شي نيانغ:

- عليك أن تعجل في أمرك، وأنا في انتظار أن تحمل لي أخبارا سارة.

فرد عليها:

- سمعا وطاعة.

خرج لي جيا من بيت الغانيات متوجها إلى أصدقائه وأقاربه متظاهرا بعزمه على الرحيل وأنه جاء ليودعهم، ففرح الجميع بسماع هذا الخبر. ولكنه ما إن أخبرهم بعجزه عن تدبير نفقات سفره ورغبته في أن يقترض منهم بعض المال حتى لزم الجميع الصمت، فكما يقال "عند طلب الفلوس تفسد النفوس"، ولم يوافق أحد على اقراضه شيئا.

ولهم عذرهم فى ذلك، فهم يرون أن لى شاب خليع مدله فى حب غانية، ووالده ثائر عليه أشد الثورة لأنه لم يعد لبيته منذ أكثر من عام، فكيف يقرر العودة فجأة؟ إن أصدقاءه لا يعلمون إن كان صادقا أم لا. فربما يأخذ المال لينفقه على الغانيات من جديد، ولو علم والده بذلك فسوف ينقلب الأمر عليهم، وفى النهاية لن يرضى الأمر أحدا. أ ليس من الأفضل أن يرفضوا طلبه إذن؟ فقال له أصدقاؤه:

– إننا فى غاية الأسف، لا يمكننا مساعدتك، فالعين بصيرة واليد قصيرة.

ولما كان لكل منهم أعباؤه ومسؤلياته، فإن أحدا لم يتفوه بعبارة إقراضه حتى ولو عشر أوقيات من الفضة.

ثلاثة أيام متواصلة والفتى لى يذهب لأصدقائه، دون أن يحصل منهم على قرش واحد، وكان يجد صعوبة فى العودة إلى دو شي نيانغ، ويكتفى حين يراها بأن يجيبها بإجابات غامضة. وفى اليوم الرابع، لم يكن لديه أى أمل، فخجل أن يعود إليها. ولما كان بيتها هو ملاذه الأخير، راح يتسكع فى الشوارع، ثم اضطر فى النهاية أن يبيت عند زميله وابن قريته ليو الذى ما إن رأى صديقه عبوسا مهموما حتى بادره بالسؤال عما أصابه. فقص عليه رغبته فى الزواج من الغانية دو شي نيانغ. فهز ليو يو تشون رأسه وقال:

– غير معقول، غير معقول، فدو شي نيانغ تعتبر أشهر وأجمل فتاة فى حى الغانيات، وعندما تود ترك عملها وتتزوج، فلا

بد أن يكون مهرها عشرة أصواع من اللآلئ أو أكثر من ألف أوقية من الذهب. إذن لا يعقل أن تتخلى "ريسة" بيت الغانيات عن فتاتها مقابل ثلاثمائة أوقية من الفضة فقط. أعتقد أن "الريسة" لما رأت أنك لم تعد تملك شيئا وفى نفس الوقت تحتجز فتاتها هباء والفتاة مرتبطة بك منذ فترة طويلة، ولا تجرؤ على طردك من البيت، فكرت فى حيلة تزيحك بها عن طريقهما. فهما تعرفان أنك أصبحت خالى الوفاض، لذا تعمدتا أن تطلبا منك هذا المهر، حتى تظهرا أمامك بالمظهر اللائق، ومن ثم أعطتاك مهلة عشرة أيام. وإذا لم تدبر المبلغ خلالها، فلن تستطيع أن تذهب هناك ثانية. وإذا فعلت ذلك، فسوف تسخران منك وتلقنانك درسا لن تنساه، وهكذا لا تجرؤ أن تبقى هناك. وهذه هى حيلة العاهرات فى طرد الزبائن بطريقة ذكية، فأرجو ألا يخدعك ذلك ونصيحتى لك أن تسرع بقطع علاقتك بهما.

ولما سمع لى جيا ذلك لم ينبس ببنت شفة، فليس عنده ما يقوله، وأضاف ليو يو تشون قائلا:

– أرجو ألا تتخذ قرارا خاطئا، فإن كنت عازما حقا على العودة إلى أهلك، فلن تحتاج إلى نفقات سفر كثيرة، ومن الممكن أن يساعدك أصدقاؤك فى تدبيرها. أما إذا طلبت ثلاثمائة أوقية من الفضة، فسيصعب عليهم التدبير لك.

وبعد أيام، استدعته دو شى نيانغ، فرجع اليها وقال:

– إننى لم أنجح فى تدبير المبلغ الذى طلبته "الريسة"، ولهذا لم أستطع أن آتى اليك فى خلال هذه الأيام. وما إن علمت

اليوم أنك تريدين مقابلتى، حتى جئت يخالطنى الشعور بالخجل وليس لى ذنب فى ذلك ولكنه حال الدنيا الآن.

فقالت له دو شى نيانغ:

– لا تدع "الريسة" تعلم ذلك، ولتقض الليلة هنا يا مهجة قلبى، وسوف أدبر أنا الأمر.

وأعدت دو شى نيانغ الطعام بنفسها، وجلست مع لى جيا ينعمان بالطعام والشراب، وناما حتى منتصف الليل وبعدها سألته دو شى نيانغ:

– يا مهجة قلبى هل حقا لا تستطيع أن تدبر مهرى؟ وماذا عن أمر زواجنا؟

وكان لى جيا متعبا لدرجة أنه لم يستطع الرد عليها. وحين حل الفجر قالت دو شى نيانغ:

– اننى أخبئ فى فراشى حوالى مائة وخمسين أوقية من الفضة، ادخرتها منذ مدة. فيمكنك يا حبيبى أن تأخذها. وهكذا أكون قد دبرت لك نصف المبلغ المطلوب، وأعتقد أنه ليس من الصعب عليك تدبير النصف الباقى. ولم يبق على انتهاء المهلة سوى أربعة أيام فقط، فأرجو ألا تتأخر فى ذلك.

ونهضت دو شى نيانغ من الفراش وأعطت صرة بها أوقيات الفضة الى لى جيا الذى سر بها سرورا بالغا، وأمرت الخادمة أن تحمل هذه الصرة الى الخارج. وبعدها توجه لى جيا الى منزل صديقه ليو يو تشون، وأخبره بما حدث فى الليلة الماضية. وفكا الصرة فوجدا بداخلها الفضة التى تقدر بعد وزنها بحوالى مائة

وخمسين أوقية. فقال ليو يو تشون وهو متأثر:

- إن هذه الفتاة صادقة فى حبها ومشاعرها تجاهك، فلا تخيب أملها فيك، وسأبذل أنا كل ما فى وسعى حتى أساعدك.

فرد لى جيا قائلا:

- لو ساعدتنى حقا، فلن أنسى لك هذا الجميل أبدا.

خرج ليو يو تشون تاركا لى جيا فى البيت وحده، وذهب الى معارفه ليدبر المبلغ المطلوب. وبعد يومين عاد ومعه مائة وخمسون أوقية من الفضة أعطاها للى وقال له:

- لم أقترض هذا المبلغ من أجل عينيك، بل إشفاقا على دو شى نيانغ.

وعندما أخذ لى جيا هذا المبلغ، أحس بأن البركة قد حلت عليه من السماء، فانفرجت أساريره، وذهب لمقابلة دو شى نيانغ وهو فى غاية السرور. وكان ذلك فى اليوم التاسع من الموعد الذى حددته "الريسة". فسألته دو شى نيانغ:

- حتى أول أمس لم تستطع أن تدبر مليما واحدا، فكيف حصلت اليوم على هذا المبلغ؟

فحكى لها ما قام به صديقه ليو يو تشون. فوضعت دو شى نيانغ يدها على جبينها وقالت:

- لقد بذل صديقك ليو جهودا مضنية، حتى يساعدنا على تحقيق أمنيتنا ولم شملنا.

وقضى الحبيبان ليلتهما ينهلان من المتعة.

وفى اليوم التالى نهضت دو شى نيانغ من الفراش وقالت له:

– عندما تدفع المال، سوف أستطيع أن أرحل معك، وعليك إعداد وسيلة السفر المناسبة. لقد اقترضت بالأمس حوالى عشرين أوقية فضة من زميلاتى، خذها لتدبر نفقات السفر.

وكان لى جيا مهموما، يفكر فى تدبير نفقات السفر، ولكنه لم يجرؤ أن يتحدث فى ذلك. وما إن سمع بحصولها على هذا المبلغ حتى سر سرورا عظيما وبينما كانا يتجاذبان أطراف الحديث طرقت "الريسة" الباب ونادت عليها:

– دو شى نيانغ! اليوم هو اليوم العاشر من الموعد الذى حددناه.

ففتح لى جيا لها الباب وقال:

– نشكرك يا "ريسة" على حسن صنيعك معنا، وقد كنت أنوى الآن الذهاب لمقابلتك.

أخرج لى جيا أوقيات الفضة، ففوجئت "الريسة" لأن لى جيا قد استطاع تدبير المبلغ، فتغير لونها وبدا عليها الشعور بالندم. وعندئذ قالت لها دو شى نيانغ:

– لقد عشت معك أيتها "الريسة" أكثر من ثمانى سنوات، كسبت من ورائى من الأموال والحرائر ما يقدر بأكثر من عدة آلاف من الذهب والفضة. واليوم هو يوم فرحتى عندما أبدأ حياة جديدة، وهو موعد تنفيذ اتفاقنا. لقد أحضرنا لك المبلغ الذى طلبته كاملا، ولم نتخلف عن موعدنا معك. ولكن إذا رجعت فى كلامك، فسأجعل لى جيا يأخذ المال ويرحل، وسوف أنتحر على الفور، وهكذا سوف تفقديننى وتخسرين المال أيضا، ووقتها

لن ينفعك الندم.

ولـم تعرف "الريســة" ماذا تقول وأخذت تفكر مليا، ثــم اضطرت فى النهاية أن تحضر الميزان لتزن الفضة وقالت:

- ما دام الأمر كذلك، فلا أستطيع أن أبقى عليك هنا، ويمكنك أن ترحلى الآن، وليكن فى معلومك أنك لن تأخذى أى شيء من الملابس أو الحلى معك.

وما ان انتهت من كلامها، حتى دفعتهما الى الخارج وأقفلت دونهما، وكان ذلك فـى شهر سبتمبر حيـث الجو خريفـى بارد، وكانت دو شي نيانغ قد نهضت لتوها من فراشها مرتدية ملابسها القديمة فانحنت لسيدتها، وكذلك انحنى لها لـى جيا ثـم غادرا بيت الغانيات فى طريقهما للزواج.

هزت السمكة رأسها وذيلها فرحة
فلقد تحررت من الصنارة الذهبية
ولن تعود اليها أبدا

طلب لى جيا من دو شى نيانغ أن تنتظره فى بيت صديقـه بعض الوقت قائلا:

- سأذهب لأحضر لك محفة، فأرجو أن تبقى هنا مؤقتا فى بيت صديقى ليو ريثما أتدبر الأمر.

فقالت دو شى نيانغ:

- يجب أن أذهب لأودع صديقاتـى، إذ تربطنـى بهـن

علاقة حميمة، فبالأمس القريب أقرضننـي نفقات السفر، فعلينا أن نذهب لنشكرهن على ذلك.

اصطحبت لى جيا معها لتوديع زميلاتها. ومـن بينهـن فتاتان تربطهما علاقة حميمة بدو شى نيانغ، هما شى يوى لانغ وشو سو سو. ذهبت دو شى نيانغ أولا الى بيت شى يوى لانغ التى ما إن رأتها ترتدى ملابس قديمة وشعرها غير مهذب، حتى تأثرت بشدة، فسألتها عما آل اليه حالها. فحكـت لها دو شـى نيانـغ حكايتها وقدمتها الى لى جيا قائلة له:

– هذه السيدة هى التى أقرضتنى نفقات السفر، فأرجو أن تشكرها.

فانحنى لها لى جيا شاكرا. وبعدها ساعدت شى يوى لانغ صديقتها دو شى نيانغ على غسل شعرها وتمشيطـه، وفـى نفـس الوقت بعثت تستدعى شو سو سو حتى تأتى لمقابلة دو شى نيانغ. وبعد أن فرغت دو شى نيانغ من زينتها أحضرت لها صديقتها كل ما عندها من حلي وأساور ذهبيـة ودبابيـس شعر مزركشـة وأقراط وثياب مطرزة بالورود وخف مطرز، حتى أصبحت فى أبهى زينـة، ثم أقامتا لهما حفلا.. وأعدت يوى لانغ حجرة النوم للحبيبين.

وفى اليوم التالى أقيم حفل كبير، دعى اليه كل زميلات دو شى نيانغ فى حى الغانيات، وكل من تربطه علاقة ود بها، وشرب الجميع نخب الاحتفال بالعروسين، وخلال الحفـل استعرض معظـم الحاضرين قدراتهم فى العزف والغناء والرقص، وبذل كل شخـص كل ما فى وسعـه مـن أجـل إدخال البهجـة والسعادة فـى نفوس

الحاضرين. استمر الحفل حتى منتصف الليل. وبعدها عبرت دو شى نيانغ عن شكرها لجميع زميلاتها الواحدة تلو الأخرى واللاتى قلن:

– زعيمتنا دو شى نيانغ! سوف ترحلين اليوم مع حبيبك، وقد لا نلتقى مرة أخرى بعد ذلك، لذا عندما تحددين موعد الرحيل سنأتى لتوديعك.

قالت يوى لانغ:

– سوف أخبركن بموعد الرحيل فور تحديده. فدو شى نيانغ سترحل مع زوجها الى مكان بعيد، ولكنهما لم يعدا العدة بعد، ولم تتوفر لديهما نفقات السفر، لذا علينا نحن أن ندبر لهما نفقات سفرهما، وهكذا نجنب صديقتنا هموم التفكير فى هذا الأمر.

وانصرفن جميعا بعد أن أبدين موافقتهن، وقضى لى جيا ودو شى نيانغ هذه الليلة فى بيت شى يوى لانغ.

وعند حلول الفجر، سألته دو شى نيانغ:

– الى أين سترحل؟ ترى هل لديك خطة معينة؟

أجابها لى قائلا:

– إن أبى غاضب منى جدا، ولو علم أننى تزوجت عاهرة، فسوف يعاقبنا عقابا شديدا، ويسبب لنا الكثير من المتاعب. ولقد قدحت زناد فكرى كى أصل الى حل مناسب ولكننى لم أجده بعد.

قالت دو شى نيانغ:

ان شعور الأبوة سوف يزيل غضبه ومقاطعته لك. ولكن نظرا لضيق الوقت وقلة حيلتنا، فليس أمامنا سوى التجول مؤقتا بين مدينتى سو جو وخان جو، وهذا أفضل لنا فى الوقت الحاضر من العودة الى البيت. وبعد ذلك عد أنت أولا واستعن ببعض أقاربك ليستسمحوا والدك حتى يصفح عنك، ثم تعال وخذنى الى هناك، ووقتها سوف يكون كل شيء على ما يرام.

قال لى جيا:

- أصبت يا فتاة!

وفى اليوم التالى نهض لى جيا ودو شى نيانغ من الفراش وودعا شى يوى لانغ، متجهين الى بيت ليو يو تشون، وأخذا يعدان أمتعتهما. وعندما رأت دو شى نيانغ ليو يو تشون انحنت له شاكرة على صنيعه معهما قائلة:

- سأرد لك هذا الجميل يوما ما.

قال لهما ليو يو تشون:

- ما أروعك من امرأة، إنك تحملين مشاعر طيبة لكل من حولك، ولا تتغير مشاعرك بتغير الحال، أما ما فعلت أنا فشيء بسيط جدا لا يتعدى نفخ الريح حتى توقد النار ولا يستدعى مجرد ذكره.

ثم راح الجميع يحتسون الخمر طوال الليل، وفى صبيحة اليوم التالى، كان الجو مهيئا للرحيل، فاستأجرا محفة ودواب، وأرسلت دو شى نيانغ أحد الغلمان برسالة الى زميلاتها شى يوى لانغ تودعها فيها. ولحظة الرحيل جاء موكب من المحفات،

وحضرت جميع زميلاتها في حي الغانيات بصحبة شي يوي لانغ وشو سو سو.

قالت يوي لانغ:

– يا عزيزتي ان سفرك طويل جدا وبه كثير من المشاق وليس لديك أموال كافية، لذا أحضرنا لك هدية بسيطة تعبيرا عن حبنا لك، فخذيها لعلها تعينك في سفرك.

وما ان انتهت من كلامها، حتى طلبت ممن جاءوا معها أن يأتوها بالصندوق، وكان الصندوق مزخرفا بالنقوش الذهبية ومغلقا بإحكام لدرجة أن أحدا لم يستطع أن يرى ما بداخله. ولم ترفض دو شي نيانغ الهدية، وفي الوقت نفسه لم تفتحها لترى ما فيها، ولكنها عبرت للجميع عن خالص شكرها وامتنانها. وقدم ليو يو تشون ثلاثة كئوس من الخمر للمسافرين، وودعهما مع باقي الغانيات حتى بوابة تشونغ ون، وانخرطوا جميعا في البكاء.

افترقوا والألم يعصف بهم
فقد لا يلتقون مرة أخرى

اتجه لي جيا مع دو شي نيانغ الى نهر لو ليستقلا المركب، وبالمصادفة كان هناك مركب عائد الى مدينة قوا جو، فاتفقا على سعر إيجاره وحجزا مكانين في المركب. وعندما تحرك المركب لم يكن مع لي جيا قرش واحد، فأين إذن ذهبت العشرون أوقية من الفضة التي أعطتها له دو شي نيانغ؟ لقد كان لي يرتدي ملابس

قديمة بعد أن كان قد رهـن ملابسـه منذ فترة طويلـة، فاستخدم الفضة التى أعطتها له دو شى نيانغ أولا ليسترد ملابسـه المرهونـة كما اشترى بعضا من الحاجيات، أما ما تبقى مـن المبلـغ، فقد دفعه لتأجير المحفة والخيل.

ولما رأت دو شى نيانغ حبيبها مهموما عبوسا قالت له:

- لا تقلق يا حبيبى، فقد أهدت لى زميلاتى أشياء كثيرة يمكن أن تعيننا.

وأخذت المفاتيح وفتحت الصندوق، وكان يقف لى بجانبها يشعر بالخجل، فلم يجرؤ أن ينظر الى ما فـى الصندوق، ولكنـه شاهد دو شى نيانغ تخرج لفة حريرية حمراء من داخـل الصندوق ووضعتها على المنضدة وقالت:

- يمكنك أن تفتحها لترى ما بداخلها.

أخذ لى جيا اللفة وأحس أنها ثقيلة، ففتحها ليرى ما فيها، فوجد بداخلها حوالى خمسين أوقية من الفضة. وعندئذ قامت دو شـى نيانـغ وأغلقـت الصندوق ولـم تخبر لـى جيا بباقـى الأشياء الموجودة فيه، وقالت:

- إن موقف زميلاتى المشرف معنا، لم يوفر نفقات السفر فقط، بل وفر لنا المال اللازم للإقامـة فـى المركـب وكذلـك ما يكفينا فى رحلتنا بين المقاطعات.

فقال لها لى جيا فى دهشة:

- لو لا مساعدتك يا زوجتى العزيزة، كنت قد تشردت فى الشوارع ومت بعيدا عن أهلى دون أن أجد مثوى أدفن فيـه،

إننى لن أنسى صنيعك طيلة عمرى.

ومنذ هذا اليوم، ما ان يتذكر لى جيا ما حدث له سابقا، حتى يتأثر وتنساب الدموع من عينيه. وكانت دو شى نيانغ كثيرا ما تسرى عنه.

مضت عدة أيام حتى وصل المركب الى مدينة قوا جو ورسى بالقرب من الساحل. واستأجر لى مركبا آخر، ووضع فيه الأمتعة، واتفق على أن يبحر المركب فى صباح اليوم التالى. وكان ذلك في منتصف الشهر الثانى من الشتاء، والقمر ساطع صاف كصفاء الماء، جلس لى جيا مع دو شى نيانغ فى مقدمة المركب وقال لها:

— منذ أن تركنا بكين ونحن داخل المركب، والناس تحيط بنا من كل جانب، فلم نستطع أن نتكلم على حريتنا. واليوم ركبنا مركبا خاصا بنا، ولم يعد هنالك ما يضايقنا، والآن وقد تركنا شمال الصين وأصبحنا على مشارف جنوب نهر اليانغتسى، فما رأيك فى أن نتناول بعض الشراب حتى ننسى ما عانيناه من مشاق؟

ردت دو شى نيانغ قائلة:

— لم أضحك منذ فترة طويلة، ولدى أيضا نفس الشعور الذى ينتابك الآن.

فأخذ لى جيا أدوات الشراب الى مقدمة المركب وفرش سجادة ليجلسا عليها، وأخذا يبادلان كئوس الشراب، ولما دار الخمر برأسيهما، ناولها كأسا وقال لها:

– إنك صاحبة أحلى صوت فى حى الغانيات، وكل مرة أسمع فيها صوتك العذب بعد لقائنا، أشعر كما لو كانت روحى ترفرف فى السماء. ولكن ها هو الغم قد أصابنا فترة طويلة، فلم نستمع الى صوت الموسيقى الرنانة منذ زمن. واليوم مع أنوار القمر الساطعة ومياه نهر اليانغتسى الهادئة والجو خال لنا فى هذه الليلة الحالمة أ فلا تغنين لى شيئا ؟

كانت معنويات دو شى نيانغ مرتفعة، فبدأت تشدو بأغنياتها وهى تهف بمروحتها، وتغنى جزءا من المسرحية الشعرية للكاتب شى جون مى من أسرة يوان بعنوان "عبادة القمر"، كانت الأغنية عن "أمير يقدم الشراب للفتاة الحسناء"، وكان اللحن بعنوان "زهرة الخوخ الحمراء الصغيرة"...

إذا شدت بصوتها
توقفت السحب تستمع اليها
والأسماك تخرج من مخابئها
تنصت بشغف لصوت غنائها

وبالقرب من مركب لى جيا، كان هناك مركب آخر عليها شاب يدعى سون فو من أهل مدينة شين آن فى خوى جو، وهو شاب من عائلة ثرية التحق بالمعهد الامبرطورى فى نانكين. وكان سون فو شابا خليعا ماجنا يتردد على بيوت الغانيات بحثا عن الملذات وجريا وراء الشهوات، فهو على رأس الباحثين عن المتعة

مع فتيات الهوى. وبالمصادفة رسى مركبه أيضا علـى ساحـل قوا جو، وكان يشعر بالملل وهو يحتسى الخمر وحده، ثم سمع فجأة صوتا كتغريد الطيور الأسطوريـة يعجز المرء عـن وصـف سحره، فوقف فـى مقدمـة المركـب ينصـت لهذا الغناء، وأدرك أن هذا الصوت قادم من المركب المجاور له. ومن ثم فكر أن يقترب من ذلك المركب، ولكن توقف صوت الغناء فجأة، فأرسل خادمه الى المركب المجاور ليسأل المراكبى، وعلم أن هذا المركب استأجره شخص يدعى السيد لى جيا، ولكن لم يستطع أن يعرف من كانت تغنى. فقال سون فو لنفسه:

- يبدو أن التى كانت تغنـى ليسـت فتاة شريفـة، ولكـن كيف يمكن أن ألتقى بها؟

قضى سون فو الليلة فى أرق يفكر فى الأمر. وفـى الهزيـع الأخير من الليل، هبت رياح عاتيـة، وظهرت الغيوم السوداء فـى السماء، ثم هبت عاصفة ثلجية.

فكما قال الشاعر فى وصف هذا المنظر:

تلبدت السماء بالغيوم
وتوارت الغابات خلف التلال
أسدل الليل ستاره على وجه الأفق
وتساقطت الثلوج تكسو وجه النهر
خلا المكان من أى إنسان
إلا عجوزا قابعا فى قاربه

يلقى بصنارته فى النهر المتجمد

ومع تساقط الثلوج وهبوب العاصفة الشديدة، أمر سون فو عمال المركب أن يحركوه حتى يقف بجاب مركب لى جيا. وكان سون فو يرتدى قبعة من الجلد .ومعطفا من فراء الثعلب، ففتح النافذة متظاهرا أنه يشاهد الثلوج. وكانت دو شى نيانغ قد فرغت لتوها من غسل وجهها، فرفعت ستار النافذة بيدها البيضاء الناعمة، وألقت بمياه الاستحمام فى النهر، وكان سون فو ينظر اليها خلسة، وما ان رأى وجهها الجميل الذى يبدو كزهرة متفتحة، حتى أخذ قلبه يخفق، وظل واقفا ينظر الى نافذتها على أمل أن ينال منها نظرة أخرى، ولكن دون جدوى. ففكر فى الأمر مليا، وأخذ يتلو بيتا من شعر لقاو شويه عن "زهرة البرقوق":

جميلة كالبدر فى إشراقه
كناسك يتعبد فى محرابه

وعندما سمع لى جيا صوت إلقاء الشعر قادما من المركب المجاور، خرج من قمرة المركب، ليرى صاحب الصوت، فوجد السيد سون فو الذى فعل ذلك ليجذب انتباه لى جيا حتى يتسنى له الحديث معه. وبالفعل انتهز سون فو هذه الفرصة، فأخذ يلوح له بيده ويحييه، ثم سأله عن اسمه فأخبره لى جيا باسمه واسم بلدته، واضطر أن يجامل سون فو بالسؤال عن اسمه. فأجابه سون فو على

أسئلته، وحكى له بعض الحكايات الطريفة التى تحدث فى أثناء الدراسة بالمعهد الامبراطورى. ومن هنا بدأت الصداقة بينهما، فقال سون فو:

– إن الرياح تهب بصورة كبيرة والثلوج تتساقط بشدة، وإنه لمن ترتيب السماء أن يتوقف المركبان عن الإبحار ونتقابل هنا، إن هذا لمن حسن حظى. ولكن بقاء المركب على هذا الحال يشعرنا بالملل، فما رأيك لو ذهبنا معا الى الحانة لنتناول بعض الشراب؟ ويسعدنى أن أتجاذب معك أطراف الحديث، وأتمنى أن تقبل دعوتى.

فرد لى:

– لقد تقابلنا صدفة، فكيف أزعجك بشىء كهذا؟

وقال سون فو:

– كيف تقول ذلك! كل الناس فى أرجاء المعمورة إخوة.

أمر سون فو بحارته أن يضعوا لوحا خشبيا بين المركبين، وحمل أحد الغلمان الصغار الشمسية للسيد لى. وعلى ظهر المركب تبادل السيدان التحية، وسار سون فو خلف لى جيا احتراما له، حتى وصلا الى الشاطئ.

وكانت الحانة على بعد خطوات قليلة منهما، صعدا سويا الى الطابق الثانى، وجلسا على منضدة بالقرب من الشرفة، جاء لهما الخادم بالطعام والشراب، وراحا يتمتعان بمنظر الثلوج فى أثناء تناولهما الشراب، تحدثا فى البداية عن المشاكل الخاصة بالمثقفين، ثم تطرق الحديث بينهما الى موضوع الغانيات، فهما

شابان لهما صولات وجولات في هذا المجال. ومن هنا بدأت أواصر الصداقة تزداد بينهما.

طلب سون فو من الخدم القادمين معه أن ينصرفوا، وسأل بصوت منخفض:

- من كانت تغني في مركبك ليلة أمس؟

رد لي قائلا:

- إنها دو شي نيانغ أشهر غانية في بكين.

فسأله سون فو:

- كيف ارتبطت بفتاة من حي الغانيات؟

أخذ لي يحكي له كيف التقى بدو شي نيانغ وكيف جمع الحب بينهما وكيف اقترض مهرها وتزوجا. فقال له سون فو:

- شيء جميل أن ترتبط بفتاة حسناء كهذه، ولكن هل أهلك سيقبلون زواجك بعاهرة؟

- ليست هناك مشكلة من ناحية زواجي ولكن المشكلة الوحيدة هي طبع والدي الصارم، لذلك سوف أحاول أن أتدبر الأمر.

اقتنص سون فو هذه الفرصة وسأل لي جيا:

- طالما أن والدك لا يقبل هذا الوضع، فأين ستقيم مع فتاتك؟ وهل هناك خطة معينة بينك وبينها؟

فظهر الهم على وجه لي وقال:

- لقد تشاورت مع زوجتي في هذا الموضوع من قبل.

فسأله سون فو:

- هل لديك حل لهذه المشكلة؟

رد لى جيا قائلا:

- إن زوجتى تريد أن تذهب مؤقتا الى مدينتى سو جو وخان جو لتستمتع هناك بعض الوقت بالمناظر الخلابة على أن أعود بمفردى الى أهلى، وأجمع أصدقاءنا وأقاربنا ليستسمحوا والدى حتى يصفح عني. وسوف أصطحبها الى هناك عندما يرضى أبى عنى ويزول غضبه، فما رأيك فى هذه الفكرة؟

فكر سون فو قليلا وتظاهر أنه يقدح زناد فكره وقال:

- لقد تعارفنا منذ وقت قليل وربما يكون من الغريب أن أتدخل فى أمر خاص كهذا.

- أرجو أن لا تقلل من أهمية رأيك، فأنا محتاج الى توجيهاتك.

- إن والدك ذو منصب كبير بالمقاطعة، ولا بد أنه يحافظ على تقاليدكم وعادتكم. لقد كان فى الأحوال العادية يستاء من ارتيادك أماكن البغاء، فكيف يمكن اليوم أن يقبل زواجك من عاهرة؟ أما أصدقاؤك وأقاربك فسوف ينقادون لرأى أبيك، ويرفضون فكرتك فى الاستعانة بهم وهكذا ستذهب جهودك هباء، حتى لو كان من بينهم من لا يعلم موقف والدك لهذا الزواج، وهكذا ستجلب لأسرتك المتاعب. ولو عدت الى زوجتك فلن تجد مبررا يرضيها. أما البقاء معها فى تلك المناطق الخلابة بعيدا عن منزلك، فليس هذا حلا نهائيا، إذ أنك ستقع فى مأزق كبير بعد أن تنفد نقودكما.

ولما كان لى جيا قد أنفق أكثر من نصف الخمسين أوقية من الفضة الموجودة معه، هز رأسه مؤيدا وجهة نظر سون فو عندما ذكر ما سوف يواجهه من ضائقة مالية.

وهنا قال سون فو:

– لدى نصيحة لك، هل تود أن تسمعها؟

– إننى أقدر محبتك وصداقتك، فأرجو أن تبوح لى بكل ما فى صدرك.

فقال سون فو:

– ليس من حقى كإنسان غريب أن أتدخل فيما بينكما، لذا أفضل ألا أتكلم؟

فرد لى قائلا:

– ليس هناك مانع أن تقول ما عندك.

قال سون فو:

– القول الصينى المأثور يقول: "المرأة ذات طبيعة متقلبة كالزمن"، فما بالك بالغانيات، إن أكثرهن منافقات فى حبهن، وقليل منهن مخلصات. إن محبوبتك واحدة من أشهر الغانيات، فمن المؤكد أن لها أصدقاء فى خان جو وسو جو، وربما يكون من بينهم عشيق قديم لها تريد الالتقاء به بعد أن تأخذها الى هناك بمحض إرادتك.

رد لى جيا قائلا:

– هذا ما أستبعده تماما.

قال سون فو:

– إن شباب الجنوب طائشون يميلون الى ملاحقة العاهرات الجميلات، وإذا تركت زوجتك وحدها فربما يتسلل اليها أحدهم وتسلم نفسها له. ومن ناحية أخرى إذا عدت بها الى أهلك ازداد غضب أبيك. والحق، ليس من سبيل أمامك. فالعلاقة بينك وبين أبيك علاقة سماوية لا يمكن قطعها، ولو قاطعت والدك بسبب غانية، تصبح فى نظر الناس شابا متهورا خليعا ولا يصلح أن يكون زوجا أو أخا أو صديقا، وستجد نفسك فى النهاية وحيدا فى معزل عن الناس. فلا بد أن تفكر فى الأمر مليا.

شعر لى جيا بحيرة بعد سماع هذا الكلام، واقترب من سون فو سائلا:

– أرجو أن تنصحنى ماذا أفعل؟

قال سون فو:

– لدى فكرة فى صالحك، ولكننى أخشى أن تكون أسير هوى الغانية وتضيع وقتى هباء.

– إذا كانت لديك فكرة جيدة تعيدنى الى أهلى، فأرجو أن لا تتردد فى طرحها، وسأكون لك من الشاكرين.

– لقد همت على وجهك بعيدا عن أهلك أكثر من عام وأغضبت والدك، وربما ستتركك أيضا زوجتك. ولو كنت أنا مكانك ما وجدت من طعامى لذة ولا من منامى راحة. لقد استاء منك والدك، لأنك اتبعت شهواتك وأنفقت أموالك على الغانيات. وهذا يجعله يعتقد أنك لن تكون أهلا لوراثة ممتلكاته، وسوف تبدد ثروة العائلة. لذلك إذا عدت الى والدك خالى الوفاض، سوف

يزداد غضبه، أما إذا كنت قادرا على تحمل آلام فراق حبيبتك والعودة الى أهلك، فأنا مستعد أن أهديك ألف أوقية من الفضة مقابل تنازلك عن الغانية، تأخذها وتعطيها لوالدك، وتخبره أنك كنت تعمل مدرسا خصوصيا فى بكين ولم تبدد أموالك، وعندئذ سوف يصدقك. وتعود الى أسرتك السعادة والوفاق وتتبدد الشائعات التى تتردد عنك. وفى لمح البصر سوف تتحول حياتك من الضيق الى الفرج ومن الكرب الى الطرب. وأرجو أن تفكر فى الأمر مليا، ولتعلم جيدا أننى أسدى لك خدمة، ولست طامعا فى جمال الغانية.

كان لى جيا ضعيف الشخصية، كما كان خائفا اشد الخوف من لقاء أبيه، فجاء كلام سون فو ليزيل المخاوف التى تجثم على صدره، فقام يحيى سون فو قائلا:

— إن نصيحتك جعلتنى أتفهم الأمر جيدا، ولكن زوجتى قد رافقتنى عبر مئات الأميال، فكيف يمكن أن أقطع علاقتى بها فجأة؟ لا بد أن أستشيرها فى الأمر، وسوف أخبرك حينما أحظى بموافقتها.

فقال سون فو:

— أرجو أن تتحدث مع زوجتك فى هذا الموضوع بلطف، واذا كانت مخلصة فى حبك، فلن يرضيها أن تفرق بينك وبين أبيك، ومن المؤكد أنها تضحى من أجل عودتك الى أهلك.

وظل لى جيا وسون فو يتناولان الشراب حتى حل المساء وتوقف سقوط الثلج. فأمر سون فو خادمه أن يدفع حساب

المشروبات واصطحب لى جيا وعادا الى المركب.
ويقول الشاعر فى هذا المقام:

قل للغريب ثلث ما عندك
ولا تبح بكل ما فى نفسك

وكانت دو شي نيانغ قد أعدت الطعام والشراب على ظهر المركب فى انتظار عودة لى جيا، ولكنه لم يعد طيلة اليوم فأشعلت المصابيح، وعندما عاد لى الى المركب، نهضت تستقبله، وانتابها القلق فور رؤيته مهموما، فقدمت له قدحا من الشراب، رفض لى أن يتناول شيئا وذهب الى الفراش، دون أن ينطق بكلمة.

انزعجت دو شي نيانغ لما أصاب لى جيا، ثم نظفت المنضدة وأزاحت ما عليها من كئوس الشراب وأطباق الطعام، وأخذت تساعده فى خلع ملابسه وسألته:

- ماذا أصابك اليوم؟

تنهد لى جيا ولزم الصمت. وسألته دو شي نيانغ أكثر من مرة فلم يجبها وراح فى النوم. لم تطمئن دو شي نيانغ لحاله، واستلقت على حافة السرير دون أن يغمض لها جفن. وعند منتصف الليل نهض لى جيا وتنهد قليلا، فقالت له دو شي نيانغ:

- ماذا حدث لك اليوم، وجعلك تتنهد بهذا الشكل؟

جلس لى جيا ووضع اللحاف حول وسطه ولم يجرؤ ان يتحدث معها، وكانت دموعه تنهمر من عينيه. فضمته دو شي نيانغ

الى صدرها، وأخذت تهدئه بكل لطف وحنان قائلة:

– لقد جمع الحب بيننا منذ أكثر من عامين، ولم نحظ بسعادة اليوم إلا بعد أن واجهنا الكثير من المشاق والصعاب، ومع ذلك لم تكن حزينا مهموما مثل اليوم. فكيف تبدو حزينا ونحن على مشارف عبور نهر اليانغتسي وهناك سوف ننعم بحياتنا المستقرة. لا بد أن هناك سببا لذلك، فأرجو ألا تخفى عنى شيئا، إننا زوجان شريكان فى السراء والضراء.

وأمام إلحاح دو شى نيانغ، اضطر لى جيا أن يخبرها، فقال لها والدمع ينهمر من عينيه:

– عندما كنت بعيدا عن أهلى، تعلقت بى وقبلت الزواج منى وهذا فضل منك علي. ولكننى الآن أفكر فى والدى الذى يتمتع بمكانة مرموقة فى مقاطعتنا، كما أنه صارم شديد التمسك بالتقاليد، وأخشى إن عصيته أن يقاطعنى ويطردنى من البيت، وعندئذ سوف نهيم على وجهينا ولن نجد مثوى لنا، وعلى هذا النحو ستكون هناك قطيعة أبدية بينى وبين والدى، مما سيؤثر على علاقتنا الزوجية. وفى صباح اليوم دعانى صديقى سون فو الى تناول الشراب، وتناقشنا فى هذا الموضوع، فأحسست أن قلبى يتمزق حزنا كما لو كنت قد طعنت بخنجر فى صدرى.

ودهشت دو شى نيانغ قائلة:

– وماذا ستفعل؟

فرد لى جيا:

– عندما يفكر الإنسان فى أمر يخصه يشعر بالحيرة، ولكن

صديقي سون فو وجد لي فكرة رائعة، أخشى أن لا تروقك.

قالت دو شي نيانغ:

- من يكون صديقك سون فو هذا؟ ولم لا أوافق على فكرته إذا كانت جيدة؟

رد لي جيا:

- صديقي سون فو تاجر ملح في شين آن، وهو شاب مثقف. وقد سمعك تغنين ليلة أمس، فسألني عن أمرنا، فحكيت له حكاياتنا وأخبرته بالصعوبات التي تعترض عودتي الى بيت والدي. فعرض علي أن يدفع لي ألف أوقية من الفضة مقابل تنازلي له عنك. ولو كان معي ألف أوقية من الفضة، لهان أمر عودتي الى والدي، وفي الوقت نفسه سوف تحظين أنت بزوج. ولكنني لا أتحمل فراقك ومن ثم يعتريني الحزن.

وما إن انتهى من حديثه حتى انسابت الدموع من عينيه بغزارة، فأبعدته دو شي نيانغ عنها وقالت وهي تضحك في برودة:

- يا له من بطل أشار عليك بهذه الفكرة! فسوف تسترد نقودك من جديد وتستريح من عبئي إذ إنني سأصبح زوجة لشخص آخر. وإنها أيضا لفكرة حكيمة ترضينا نحن الاثنين، فأين الفضة إذن؟

توقف لي جيا عن البكاء وقال:

- ستبقى لديه حتى توافقين.

قالت دو شي نيانغ:

- اذهب وأخبره في الصباح الباكر بالموافقة ولا تدع

الفرصة تفوتك، وعليك أن تعود بالفضة كاملة لا تنقص شيئا، وسوف أصعد الى مركبه حينما تتسلمها ولا تدع تاجر الملح يخدعك.

نهضت دو شي نيانغ قبل شروق الشمس وأشعلت المصابيح، ثم قالت وهي تتزين:

- أتزين اليوم من أجل استقبال زوج جديد وتوديع زوج قديم، لذا علي أن أبدو مختلفة عن ذي قبل.

بدت دو شي نيانغ في أبهى زينتها، فقد جملت شعرها بدبابيس شعر ملونة وارتدت ثيابا مزركشة، وكانت أينما تسير يفوح منها شذى العطر الأخاذ، وكان جمالها يسلب ألباب الرجال.

كانت الشمس قد أشرقت عندما فرغت دو شي نيانغ من ارتداء الثياب، فأرسل سون فو خادمه الى مركب لي جيا ليأتي له بالخبر.

كانت دو شي نيانغ ترقب لي جيا خلسة، ولاحظت أن علامات السرور قد بدت عليه فحثته على الذهاب الى صديقه ليخبره بالموافقة ويعود بالمال سريعا. وبالفعل ذهب لي جيا الى مركب صديقه سون فو وأخبره بالموافقة. فقال سون فو:

- المال أمر سهل، ولكن ينبغي أن أحصل على صندوق دو شي نيانغ الخاص بمتاعها حتى أضمن موافقتها.

عاد لي جيا الى دو شي نيانغ وأخبرها بالأمر. فأشارت دو شي نيانغ الى صندوقها المحلى بالذهب قائلة:

- ها هو ذا فاحمله اليه.

سر سون فو سرورا عظيما وأرسل الفضة الى مركب لى جيا.

أخذت دو شى نيانغ تفحصها وتعدها، فوجدتها كاملة لا تنقص شيئا. فاستندت بيدها على حافة المركب، ثم أشارت بيدها الأخرى نحو سون فو الذى ما إن رآها حتى كادت روحه تفارقه من شدة الفرح. وما إن فتحت دو شى نيانغ ثغرها حتى كشفت عن در نضيض قائلة له:

- أرجو أن تعيد صندوقى مؤقتا حتى أستخرج منه أوراق السفر الخاصة بلى جيا.

ظن سون فو أن دو شى نيانغ أصبحت ملك يمينه، لا تستطيع فرارا. فأمر خادمه أن يعيد اليها صندوقها. ففتحت دو شى نيانغ الدرج العلوى الموجود داخل الصندوق وطلبت من لى جيا أن يلقى نظرة عليه، فرآه ممتلئا بالجواهر واللآلئ والأحجار الكريمة التى تقدر بمئات الأوقيات من الذهب. وفجأة ألقت دو شى نيانغ بها فى النهر. فذهل لى جيا وكل من معهم فى المركبين. وطلبت دو شى نيانغ من لى جيا أن يفتح درجا آخر، فوجد بداخله نايات ومزازير ذهبية. وفتح درجا ثالثا، فإذا به تحفة ذهبية مرصعة بالجواهر تقدر بآلاف الأوقيات من الذهب، فألقت دو شى نيانغ بها جميعا فى النهر. حينذاك غصت ضفة النهر بالناس الذين راحوا يصيحون:

- يا للخسارة! يا للخسارة!

ولم يعلم أحد منهم سبب ما حدث.

فتحت دو شي نيانغ آخر درج، فكان به علبة صغيرة مليئة بكمية من اللآلئ البراقة والأحجار الكريمة التى لا تقدر بثمن والزمرد وعين الهر، فأخذ الجميع يهللون ويصيحون حتى أصبحت أصواتهم كالصاعقة. همت دو شي نيانغ أن تلقى بها أيضا فى النهر. أخذ الندم ينتاب لى جيا، فعانق دو شي نيانغ باكيا حزينا.

جاء سون فو ليقنع دو شي نيانغ بأن تكف عما تفعله، ولكنها دفعت لى جيا بعيدا عنها وسبت سون فو قائلة:

— لقد مررت أنا ولى جيا بكثير من الصعاب ووصلنا الى هنا بعد مشاق وتعب. ولكنك خدعته حتى تأخذنى منه إرضاء لغريزتك الشهوانية. وقد حاولت أن توقع بيننا بكلامك المعسول، وتخرب علاقتنا الزوجية وتقطع أوصال المودة والمحبة بيننا. فكيف سولت لك نفسك أن تنال أى متعة منى، وأنت عدوى الذى سأشكوه بعد مماتى الى الإله الذى يتحكم فى مصير البشر.

ثم التفتت دو شي نيانغ الى لى جيا قائلة:

— لقد عشت فى بيت الغانيات سنوات طويلة ادخرت خلالها الكثير من الأموال، وقصدت من ذلك تأمين مستقبلى. ومنذ أن قابلتك تعاهدنا على الحب طوال الحياة. وعندما تركت بيت الغانيات تظاهرت بأن هذه الأشياء هدايا من زميلاتى، بينما هى ملكى الخاص، وفى هذا الصندوق جواهر تقدر بعشرات الآلاف من أوقيات الذهب، وكنت أنوى أن أجعلك تظهر بمظهر لائق أمام والديك، حتى يشعرا أننى امرأة مخلصة ويقبلانى زوجة لك، وعندئذ سوف أكون ملك يمينك. ولكننى لم أتوقع منك ألا تثق

بى، وأن تنصت للشائعات المغرضة وتتخلى عنى فى منتصف الطريق وتخيب أملى فيك. واليوم أمام الناس جميعا فتحت هذا الصندوق حتى تعلم أن الألف أوقية من الذهب لا تساوى شيئا بالنسبة لى. فكان فى الصندوق جواهر وأحجار كريمة، ولكنك لم تتبصر الأمر جيدا، وهذا هو قدرى المحتوم، فقد ساعدتنى أن أتخلص من المتاعب والآلام التى كانت تحيط بى فى حى العاهرات ولكنك الآن تتخلى عنى. واليوم على مرأى ومسمع من الناس أشهدهم أننى كنت وفية لك ولكنك تخليت عنى.

اغرورقت عيون الحاضرين بالدموع، وأخذوا يسبون لى جيا لخيانته، حتى شعر بالأسى والخزى نادما باكيا على فعلته والتفت الى دو شى نيانغ يطلب منها الصفح والسماح. ولكنها ضمت صندوق المجوهرات الى صدرها وألقت بنفسها فى النهر. فأخذ الجميع يصرخون من أجل إنقاذها، ولكن الأمواج كانت عالية، والسماء ملبدة بالغيوم، فلم ير أحد أثرا لها بين هذه الأمواج. فيا حسرتاه على الغانية الحسناء التى لقيت حتفها بين أمواج نهر اليانغتسى.

وا أسفاه على الغانية الحسناء
إذ فاضت روحها فى الماء
بعيدا.. نحو عالم آخر
سرمدى لا يعرف الغناء

وكان الناظرون لهذا المشهد يعضون على أنيابهم غضبا، وكادوا أن ينهالوا بالضرب على لي جيا وسون فو اللذين ارتعدت فرائصهما، فرحلا بمركبيهما بعيدا عن هذا المكان وسارا في اتجاهين متضادين.

وعلى سطح المركب كان لي جيا كلما تذكر الألف اوقية من الفضة شعر بالندم والأسى، وحاصرته هذه الأفكار حتى فقد عقله وعاش مخبولا بقية عمره.

أما سون فو فقد مرض ولازم الفراش، وكان شبح دو شي نيانغ يطارده كل يوم وينزل به اللعنات، حتى مات متعذبا بآلامه. وقال الناس إن هذا عقاب له على ما اقترفه في حق دو شي نيانغ.

وكان ليو يو تشون قد أنهى دراسته في المعهد الامبراطوري ببكين، وفي طريق عودته الى مسقط رأسه رسى المركب في قوا جو. وأثناء غسل وجهه في مياه اليانغتسي، سقط منه الطست سهوا في النهر، فطلب من أحد الصيادين أن ينتشله بشبكته، ولكن خرجت الشبكة وبها صندوق صغير، ففتحه ليو يو تشون ووجد بداخله جواهر ولآلئ لا تقدر بثمن، فكافأ الصياد ووضع الصندوق بجانب سريره ليتمتع برؤيتها كل يوم، وفي تلك الليلة رأى حلما في منامه، فإذا بفتاة تسير فوق مياه نهر اليانغتسي، وبدت أنها دو شي نيانغ، ثم اقتربت منه وحيته وأخبرته بما فعله لي جيا معها وقالت له:

– لقد كنت كريما معي، وأعطيتني مائة وخمسين أوقية من الفضة، كنت أنوي أن أرد جميلك هذا عندما تتحسن أوضاعنا،

ولكننى لم أتوقع هذه النهاية المؤسفة، مع ذلك لن أنسى أبدا مشاعرك الطيبة تجاهى، وفى الصباح وضعت الصندوق فى شبكة الصياد، لأعبر عن عميق امتنانى لك. الوداع الى الأبد..

بعد أن انتهت دو شى نيانغ من كلامها، نهض ليو يو تشون من نومه فجأة، وقتها أدرك أن دو شى نيانغ ماتت فعلا، فحزن عليها حزنا عظيما.

اعدام برىء ــ قتل تسوى نينغ خطأ

مأخوذ من: «حكايات لتنبيه الناس»
بقلم: فنغ منغ لونغ
ترجمة: مرفت على محمد السيد

كان هناك طالب فى عهد أسرة سونغ، اسمه وى بانغ تو، يبلغ من العمر ثمانية عشر عاما، تزوج من سيدة تحاكى فى جمالها الوردة. فلم يكن قد مر على زواجهما شهر واحد فقط حتى افترق الزوجان الحبيبان. وذلك لأنه قد بدأت اختبارات القبول المؤهلة لشغل الوظائف الحكومية، فما كان من الزوج إلا إعداد أمتعته وحقائبه والتوجه الى العاصمة لكى يؤدى ذلك الاختبار.

وعند لحظات الفراق، أخذت الزوجة فى توديع حبيبها قائلة:

- مهما كانت النتيجة، سواء شغلت المنصب الوظيفى أو لم تشغله، لا بد أن تعود ... لا بد ...، فلا تتخل عن حياتنا السعيدة.

فأجابها قائلا:

- إن النجاح والحصول على الوظيفة لهو مستقبلى، وأنا واثق منه فلا تقلقى يا زوجتى الحبيبة.

وعندما وصل الزوج الى العاصمة، استطاع أن يجتاز

الامتحان بالفعل، ترتيبه تاسع على المجموعة الأولى. وحصل على الوظيفة في العاصمة مما جعله فـي غايـة السعادة والبهجـة. وكان كتابة الرسائل بيـن الزوجيـن أمر لا غنـى عنـه. وأيضا كان مـن الضروري أن يكلـف شخصا ما بالسفر ليصطحـب زوجتـه الـى العاصمة. وكتب الزوج رسالة رقيقة لزوجته ليسأل فيها عن أحوالها، وأخذ يزف لها نبأ حصوله على المنصب الوظيفي، ثم اختتم رسالته قائلا:

- حيث انني كنت بمفردي في العاصمة وأشعر بالغربة ولا أجد من يرعاني، لذا فقد اضطررت للبحث عن زوجة ثانية. وأما أنا الآن فأنتظر حضورك يا زوجتي الحبيبة بفارغ الصبر لنعيش نحن الثلاثة سويا حياة سعيدة هانئة.

أعد الخادم الهدايا وأخذ الرسالـة متوجها بها الـى بيـت سيدته، هناك قابلها وهنأها ثم أعطاها الرسالـة والهدايا. ففتحـت الزوجة الرسالة وقرأتها، وعرفت الأمر هكذا، والى هذا الحد كان. فقالت الزوجة للخادم:

- كيـف نسـى زوجـي حبنا هكذا بمجرد حصولـه علـى الوظيفة بل وتزوج من أخرى؟!

أجابها الخادم قائلا:

- انني بالعاصمة لـم ألاحـظ هذا الأمر أبدا، وتقريبا هو مزاح من زوجك، فلا تقلقي يا سيدتي. عندما تذهبين الى العاصمة ستعرفين الحقيقة.

فقالت الزوجة:

– إذا كان ردك هكذا فهذا يكفى.

ونظرا لأن السفينة غير جاهزة، أخذت الزوجة تعد نفسها من ناحية، وتبحث عن شخص لترسل معه رسالة عن أحوالها لزوجها فى العاصمة من ناحية اخرى. وعندما وصل حامل الرسالة الى العاصمة. سأل عن مسكن السيد وى وسلمه الرسالة. وعاد الشخص بعد دعوة السيد وى له بالطعام والشراب.

فتح السيد وى الرسالة ليقرأها فلم يجد بها أى كلمات مجاملة بل قالت:

– لقد اتخذت لك زوجة أخرى فى العاصمة، وأنا أيضا اتخذت لى زوجا آخر هنا. وقريبا سأحضره معى الى العاصمة.

عندما قرأ السيد وى هذه الرسالة، عرف ان زوجته تمزح معه، لذلك لم يهتم بالأمر. وترك الرسالة ولم يغلقها جيدا.

أبلغ السيد وى بأن هناك زميلا له بالخارج، ومن المعروف أن مساكن الموظفين فى العاصمة ليست واسعة، ونظرا للصداقة الحميمة بينهما ولمعرفته بأن زوجة صديقه ليست بالمنزل، دخل هذا الزميل مباشرة الى المسكن للجلوس، وسأل عن أحوال صديقه. ثم استأذن منه السيد وى، وذهب لقضاء حاجته. حينئذ أخذ الزميل يقلب فى الأشياء الموضوعة على المنضدة، فوجد رسالة الزوجة وكم هى مشوقة، فقرأها بصوت عال متعمدا. وسرعان ما جاء السيد وى، فاحمر وجهه وقال:

– انه كان مجرد مزاح بينى وبين زوجتى.

فضحك الزميل مستنكرا:

- هذا الأمر لا يحتمل المزاح.

ثم ودعه وخرج.

زميله هذا شاب لهو، يميل بطبيعة الحال الى الثرثرة والعبث، فسرعان ما أشاع أمر الرسالة بين الجميع فى العاصمة. وكان هناك بعض الحاقدين على السيد وى لحصوله على منصبه الوظيفى. فوصلت تلك الإشاعة اللعينة للامبراطور نفسه، وقيل ان السيد وى إنسان مستهتر، غير لائق للعمل كموظف حكومى. وترتب على ذلك نقله الى وظيفة أدنى بمكان آخر. وقد أثر ذلك فى نفسه تأثيرا شديدا،حتى أنه قد ندم على ذلك أشد الندم. وكانت نهايته مأساوية بفقدانه للوظيفة الحكومية ومستقبله المشرق كرد فعل لعدم قدرته على العمل والإنجاز. وهكذا نرى أن الوظيفة المرموقة قد ضاعت منه من أجل المزاح.

وهناك قصة أخرى عن رجل وسيم طويل القامة توفى وأجلب الحظ السيء للآخرين حتى ضحوا بحياتهم من جراء سكره وعبثه.

فى عهد الامبراطور الأول قاو تشونغ من أسرة سونغ الجنوبية، أنشئت العاصمة بمدينة خان جو بمقاطعة تشى جيانغ والتى كانت تضارع فى ازدهارها وتطورها العاصمة القديمة. وكان هناك على يسار كوبرى جيان بتلك المدينة رجل يدعى ليو جوى، وكان أسلاف هذا الرجل من الأشخاص الذين كانت لهم مكانة مرموقة. ولكن حينما وصل الأمر اليه أصبح حظه سيئا، ففى الماضى كان يدرس ولكنه نظرا لإدراكه عدم القدرة على مواصلة تعليمه، فاتجه الى التجارة، وهكذا غير مجاله بعد منتصف الطريق، وبالإضافة الى

ذلك أيضا، انه ليست لديه مهارة في التجارة. فخسر كل أمواله، وتدريجيا بدأ في تغيير منزله الكبير بآخر صغير، واستأجر شقة متكونة من غرفتين أو ثلاثة. أما عن علاقته بزوجته الشابة وانغ، فتفيض بالحب والاحترام. ولكنه لم ينجب منها، لذلك اضطر للزواج من الفتاة ابنة بائع الكعك، والتي يدعونها الأخت الثانية بالمنزل، وقد حدث هذا الأمر حينما كان ميسور الحال. أما عن علاقة السيد ليو بزوجتيه فهي جيدة، فلا يوجد أى هم بالمنزل. والسيد ليو يعامل الناس بمودة، لذلك قد نال مودة واحترام كل أقاربه وجيرانه، ويقولون له:

– السيد ليو، إن حظك السيء هذا لهو شيء زائل، فلا تكن غير راض عن نفسك. وبعد فترة من الزمن ستعيش أياما مزدهرة.

قالوا له هكذا ولكن ما الفائدة؟ فليس لديه إلا الجلوس بالمنزل حزينا لا حول له ولا قوة.

قضى ليو بعض الوقت بالمنزل فارغ الهوية، ثم قابل خادم حماه والذى يناهز السبعين عاما، وجاء ليقول للسيد ليو:

– إن اليوم عيد ميلاد الشيخ وقد حضرت خصيصا بأمر منه لإحضار السيد وزوجته وذلك لحضور هذه المناسبة.

فقال السيد ليو:

– حيث إننى أقضى وقتى كل يوم كمدا وحزنا فإننى قد نسيت عيد ميلاد حماى.

أعد السيد ليو نفسه وملابسه هو وزوجته وانغ، وأعد جعبته

وسلمها للخادم ليحملها على ظهره. ثم أمر الأخت الثانية بأن تراقب المنزل قائلا:

- الوقت الآن متأخر فلن نستطيع العودة، سنعود مساء غد.

أمرها بذلك ثم ذهب.

على بعد أكثر من عشرة آلاف متر من المدينة، وصل السيد ليو وزوجته الى منزل حماه الثرى، فألقى التحية وسأل عن الأحوال. وفى يوم عيد الميلاد كان هناك الكثير من المدعوين وقد كان من الصعب على زوج الابنة أن يتحدث مع حماه ويذكر له عن أوجه الفقر الذى يعانيها. فانتظر حتى ينصرف المدعوون، ثم دخل حجرة الضيوف ليستريح. وفى اليوم التالى، ذهب الحما الى زوج ابنته للتحدث معه قائلا:

- يا زوج ابنتى يجب ألا تخطط هكذا. كما يقال ان الشخص لا يستطيع أن يسد حاجاته بدون عمل، والأيام كالسهام سرعان ما تجرى، فيجب أن يكون تفكيرك بعيد المدى. إن ابنتى تزوجتك، وهى تأمل فى أن تجد كل ما يكفيها من مأكل وملبس طيلة حياتها، فهل ستترك الأمر هكذا؟

تنهد السيد ليو قائلا:

- نعم، يا حماى المبجل! أ ليس كما يقولون "إن الصعود الى الجبل والقبض على النمر لهو أسهل من أن تفتح فمك وتطلب من الآخرين المساعدة"، ففى هذه الأيام ترى من سيكون مثل حماى فى إشفاقه وحنانه على؟ لا مفر من قضاء أيام الفقر، إذا ذهبت لأطلب المساعدة من الناس فالنتيجة ستكون دون جدوى.

قال حماه:

– لا عجب فيما قلت! إننى قد علمت بأزمتكم، واليوم سأساعدكم ببعض المال، لفتح متجر الأرز تربحون منه لقضاء حاجات أيامكم أ ليس هذا حسنا ؟

فقال السيد ليو:

– شكرا جزيلا يا حماى العزيز، فمعروفك حسن بالتأكيد.

وبعد تناول الغداء أخذ الحما مبلغا قدره خمس عشرة ربطة من النقود، وأعطاه للسيد ليو قائلا:

– يا زوج ابنتي، خذ هذا المبلغ لكي ترتب وتنظم به الدكان، وفي يوم الافتتاح سأعطيك مبلغا آخر قدره عشر ربطات من النقود. اترك زوجتك هنا لتقضى معنا عدة أيام، وانتظر يوم الافتتاح فسأحضر بنفسي لتهنئتك وتوصيلها الى منزلك، فما رأيك فى هذا ؟

لقد بدأ الظلام يخيم على المكان، فشكر السيد ليو حماه شكرا جزيلا لمساعدته الجمة، وحمل النقود على ظهره ثم توجه مباشرة الى الباب. وفى الطريق، كان السيد ليو يمر أمام منزل صديق له، وكان هذا الصديق يرغب فى التجارة أيضا. وحينما كان يطرق باب هذا الصديق كان هناك شخص بالداخل أتى اليه فتبادلا التحية بيدين مضمومتين وسأله:

– أخى العزيز، ترى ماذا فى استطاعتى ان أقدمه اليك؟

حينئذ أخبره السيد ليو بالأمور. فقال هذا الصديق:

– إننى أجلس فى المنزل خال من العمل، إذا احتجت الى

فسيكون ذلك مساعدة لى.

قال السيد ليو:

- هذا حسن للغاية.

وبعد أن تحدث الصديقان عن أمور التجارة، ترك الصديق السيد ليو بالمنزل، وذهب ليحضر بعض الخمر. وشرب الصديقان حتى شعر السيد ليو بأنه مشوش الذهن، فترك ما بيده لينصرف قائلا:

- اليوم أشكرك على حسن ضيافتك، وغدا أرجوك أن تحضر الى بيتى المتواضع لنتشاور فى أمور التجارة.

ودع الصديق السيد ليو وأوصله الى ملتقى الطرق ثم ذهب متوجها الى منزله.

مشى السيد ليو خطوة خطوة وبصعوبة حاملا النقود على ظهره متوجها بها الى منزله. وما إن وصل اليه حتى طرق الباب. وقد كانت الأخت الثانية (الزوجة الثانية) تجلس فى المنزل بمفردها فارغة الهوية، وحينما خيم الظلام أغلقت الباب وغلبها النعاس على ضوء المصباح. طرق السيد ليو الباب كثيرا ولكن من أين لها أن تسمع؟ بعد قليل أفاقت من نومها، وأجابت: "نعم!" ثم فتحت له الباب.

دخل السيد ليو الى غرفته، فأخذت الأخت الثانية منه النقود، ووضعتها فوق المنضدة وسألته:

- سيدى، من أين أتيت بهذه النقود؟ وماذا أنت فاعل بها؟

كان السيد ليو فى حالة مزاجية سيئة، وهذا يرجع الى أنه أولا فى حالة من السكر وثانيا لأن زوجته الثانية تأخرت فى فتح الباب له، لذلك أراد أن يفزع ويرهب زوجته قائلا:

– إذا قلت لك فأخاف أن تلوميني. وإذا لم أقل فلن أجد بدا لأن أخبرك وأعلمك، فأنا لاحول لى ولا قوة، وليس لدى وسيلة أخرى إلا أن أرهنك لدى صديق. ولأننى لا أستطيع فراقك والبعد عنك رهنتك مقابل خمس عشرة ربطة من النقود النحاسية! وأتعهد أننى إذا وجدت حلا فسأسعى الى إعادتك. أما إذا تعرقلت الأمور أمامى، فليس لدى شيء آخر وسيكون الأمر هكذا!

وحينما سمعت الأخت الثانية منه هذا الكلام لم تصدق ما قاله، ولكنها نظرت الى النقود التى أمامها، فصدقت كلامه، وقالت بينها وبين نفسها: إننى لم أتشاجر معه أبدا دون سبب كما أن علاقتى جيدة مع الزوجة الأولى، فكيف يكون زوجى قاسيا هكذا؟ فترددت ثم سألته قائلة:

– إذا كان الأمر هكذا فيجب أن أخبر والدى.

أجابها السيد ليو قائلا:

– إذا أخبرت والديك بهذا الأمر فلن ينجح مطلقا، اذهبى الى منزل صديقى غدا. أما أنا فسأرسل شخصا يخبر والدك بذلك، فلا يستطيع أن يلومنى، وليس على له حق.

ثم عادت فسألت الأخت الثانية قائلة:

– سيدى أين شربت الخمر اليوم؟

أجابها السيد ليو قائلا:

– شربت مع الشخص الذى رهنتك عنده، كتبت معه وثيقة الرهينة ثم شربت معه الخمر فأتيت الى هنا.

فسألت:

– ولماذا لم تعد الأخت الكبرى (تعنى الزوجة الأولى) حتى الآن؟

رد عليها السيد ليو قائلا:

– لأنها لا تتحمل لحظات فراقك، وستأتى بعدما تذهبين غدا. وأنا ليس لدى وسيلة أخرى، وما قلته سينفذ.

قال لها هذا ولم يستطع أن يكظم ضحكة مختلسة، ثم نام على السرير دون أن يغير ملابسه، فغلبه النعاس.

أخذت الأخت الثانية (الزوجة الثانية) تفكر:

– لا أعرف سيبيعنى الى أى نوع من الناس؟ فلا بد أن أذهب الى منزل والدى لأخبرهما بمكانى خشية أن يبحث عنى أحد ولا يجدنى فى منزلى.

فكرت لحظة ثم أخذت المبلغ ١٥ ربطة من النقود النحاسية ووضعته تحت قدمى السيد ليو. وانتهزت فرصة أنه سكران، جهزت ملابسها بخفة، وفتحت الباب ببطء وخرجت ثم سحبت الباب وراءها.

وذهبت يسارا الى منزل جار عزيز، علاقتهم به حسنة يدعى الشيخ جوسن لتقضى هذه الليلة مع السيدة جوسن. وقالت له:

لقد باعنى زوجى اليوم بدون سبب، ولا بد أن أذهب لأخبر والدى بالأمر. أرجو أن تتفضل بإخبار زوجى غدا. ما دام

قد باعني لشخص ما، فلا بد أن يذهب لبيت والدى ليخبرهم ويوضح لهم الأمر ويعرفهم مكانى.

فقال الجار:

- إن ما قلته يتسم بالمنطقية، فاذهبى أنت واطمئنى ولا تقلقى وأنا سأوضح الأمر للسيد ليو.

قضت الاخت الثانية ليلتها، ثم ودعتهم وذهبت.

قد فاق السيد ليو فى منتصف الليل، ورأى أن المصباح لم ينطفئ. ولكنه لم يجد زوجته بجواره، فظن أنها ما زالت بالمطبخ تجهز الأدوات، فنادى عليها، وطلب منها أن تعد له فنجانا من الشاى، ثم نادى عليها مرة أخرى فلم تجبه. فحاول القيام من الفراش، ولكنه لم يستطع، لأنه لم يفق من سكره تماما، وغلبه النوم مرة أخرى، فلم يخطر بباله أن هناك شخصا دنيئا، أخذ يتقامر طول الليل حتى خسر كل ما لديه، ولم يجد وسيلة لإنقاذ نفسه سوى سرقة الأشياء فى منتصف الليل. ولسوء الحظ وصل الى منزل السيد ليو. ونظرا لأن زوجته الثانية خرجت وسحبت الباب وراءها ولم تغلقه جيدا، دفع ذلك اللص الباب ودخل. وظل يمشى بهدوء وخفة حتى وصل الى حجرة السيد ليو، ولم يشعر أحد بذلك، الى أن وصل أمام السرير. وكان المصباح لا يزال مضيئا، نظر حوله، ولم يجد شيئا ليأخذها. فأخذ يبحث مرة أخرى، الى أن رأى شخصا نائما على السرير، وتحت قدميه مبلغ من العملات النحاسية فاتجه ناحية النقود ليأخذها، ولم يفكر فى أن السيد ليو سيفيق من نومه وينادى بصوت عال:

- ان ما تفعله غير معقول حقا، إن هذا المبلغ من المال قد اقترضته من حماى لأعيش منه وأنقذ حياة أسرتى. إذا سرقت هذا المال، فما ستكون النتيجة؟

لم يجبه اللص، بل لكمه فى وجهه، فتجنبه السيد ليو ليتشاجر معه عن قرب. وحينما رأى اللص السد ليو يتشاجر بيديه وقدميه، فر خارج الحجرة. فلم يتركه السيد ليو، وتبعه الى أن دخل المطبخ. ونادى على جاره للقبض على اللص. حينئذ ارتبك اللص، ولم يجد أمامه وسيلة، وفجأة ظهر أمامه فأس مضىء، فأخذه ضاربا به السيد ليو حتى وقع على الأرض، ثم أمسك الفأس وضربه مرة أخرى، وقد طرأت له تلك الفكرة نظرا لاضطرابه.

وحينما ألقى النظر الى السيد ليو وهو وقع قتيلا على الأرض، قال اللص:

- لم أرد قتلك عمدا. بل أنت الذى تعقبتنى.

ثم أدار جسمه، ودخل الى الحجرة، وأخذ مبلغ ١٥ ربطة من النقود النحاسية، ولفها جيدا داخل الفرش ثم سحبه الى خارج الحجرة وسحب الباب وراءه وذهب.

وعندما حل الصباح، استيقظ الجار، ورأى باب منزل السيد ليو غير مغلق، ويعم السكون فى أرجاء المنزل. فنادى قائلا:

- يا سيد ليو! لقد أشرق الصباح وأنت لم تستيقظ بعد!

لم يجبه أحد. وحينئذ بدأ الجار يدخل بهدوء، ورأى السيد ليو قتيلا على الأرض. فقال بينه وبين نفسه: إن زوجته الأولى قد ذهبت الى منزل أسرتها منذ يومين، فكيف لا أرى زوجته الثانية؟

إذن لا بد أن أخبر الآخرين.

قال الجار السيد جوسن الذى قضت عنده الزوجة الثانية ليلة أمس:

- إن الأخت الثانية جاءت الى منزلى وقت الغروب ليلة أمس لتقضى عندى الليلة، وقالت ان السيد ليو قد باعها بدون سبب، ويجب أن تذهب الى منزل والديها. وطلبت منى أن أخبر السيد ليو بأنه ما دام هناك مشتر فلا بد من أن يذهب الى بيت والديها ليوضح لهم الأمر. وأرى من الأجدى أن نكلف شخصا ما ليلحق بها ويعيدها من جهة، ومن جهة أخرى نرسل شخصا آخر ليخبر زوجته الأولى ويحضرها. وقد يكون ذلك حلا لهذا المأزق.

فقال الجميع:

- معك الحق.

وصل الشخص الى منزل الحما السيد وانغ. وأبلغه بالخبر المفجع، بكا السيد وانغ وابنته بكاء شديدا وقال للشخص:

- لقد ذهب أمس وهو بصحة جيدة، وقد أعطيته مبلغ ١٥ ربطة من النقود النحاسية ليتاجر بها، فكيف قتل هكذا؟

أجابه ذلك الشخص قائلا:

- يجب أن تعلم يا سيدى الشيخ أن السيد ليو حينما عاد أمس، كان الظلام قد خيم، وهو على حالة السكر. وكلنا لا نعرف إذا كانت معه نقود أم لا، هل عاد متأخرا أم عاد مبكرا. ولكن أهم شيء اننا قد وجدنا اليوم صباحا باب منزل السيد ليو مواربا، فدفعنا الباب، ودخلنا، فوجدنا السيد ليو قتيلا على

الأرض. ولم نر أى أثر لمبلغ ١٥ ربطة من النقود النحاسية، وليس هناك أى أثر للأخت الثانية. وحينما أعلن الخبر، قال السيد جوسن ذلك الجار الذى يسكن على اليسار بأن الأخت الثانية ذهبت اليه وقت الغروب ليلة أمس وقضت الليلة عنده. وقالت له بأن السيد ليو قد رهنها عند شخص آخر بدون سبب، ويجب عليها أن تذهب الى بيت والديها لتخبرهما بالأمر، فأقامت ليلة أمس ثم ذهبت اليوم. ولقد تشاور الجميع اليوم وقرروا بأن يرسلوا من يخبركم من جهة ومن جهة أخرى يرسلوا من يلحق بالأخت الثانية. وإذا لم يستطع أن يلحق بها فعليه أن يتبعها الى منزل والديها، فيجب أن يعيدها مهما كانت الظروف.

وبعدما اتضح الأمر للشيخ وابنته الزوجة الأولى يجب أن يذهبا الى منزل السيد ليو ليحضرا التحقيق فى مقتله. وأعد السيد وانغ نفسه هو وابنته الزوجة الأولى وهرعا الى المدينة.

أما الأخت الثانية، فكانت قد خرجت من منزل الجار مبكرا. ولم تقطع مسافة تتجاوز الكيلومترات، حتى تعرضت لآلام فى قدمها، فلم تستطع السير، وجلست تستريح فى الطريق. وهناك رأت شابا يرتدى عمامة، وقميصا مفتوحا من الأمام، ويحمل على ظهره حافظة النقود النحاسية، ويرتدى حذاء فى قدميه من الحرير، وجوربا نظيفا، متجها فى سيره للأمام. الى أن وصل الى أمام الأخت الثانية، فرأته وسيما جدا، أسنانه ناصعة البياض، حاجباه عريضان ووجهه جميل، وعيناه جذابتان، يا له من جذاب حقا!

نزع الشاب حافظة نقوده من على ظهره، وتقدم للأمام يحيى

بيديه قائلا:

- أيتها السيدة إنك تمشين بمفردك دون أنيس، فترى الى أين تذهبين؟

فحيته الأخت الثانية واضعة يدها على خصرها قائلة:

- إننى ذاهبة الى منزل والدى، ونظرا لأننى لا أستطيع السير فجلست هنا مؤقتا.

وسألته:

- ترى من أين أتيت يا أخى؟ والآن الى أين تذهب؟

فأشار الشاب الى نفسه قائلا:

- أنا رجل ريفى قمت ببيع الحرير، وحصلت على ثمنها وأنا متوجه الى المدينة قاصدا منطقة تشو جيا تانغ.

فردت عليه الأخت الثانية قائلة:

- أخى العزيز، إن منزل والدى يقع أيضا على شمال تشو جيا تانغ، فإذا تكرم أخى وأخذنى معه فى طريقه لكان هذا شيئا طيبا جدا.

فقال الشاب:

- وما المانع فى ذلك؟ ما دمت تفضلت بقول ذلك، فأنا موافق على إصحابك والعناية بك يا سيدتى.

هكذا اصطحب الشاب الأخت الثانية ومشيا معا، ولم يكونا يمشيان حوالى كيلومتر أو أكثر حتى شاهدا اثنين من الأشخاص يمشيان بسرعة ليلحقا بهما، وقد تنهدا، وناديا عليهما، وهما يتصببان عرقا، وملابسهما مفتوحة قائلين:

– أيتها الأخت الثانية تمهلى فى خطواتك، فهناك كلام كثير نريد أن نحدثك عنه.

رأت الأخت الثانية والشاب ذلك، تعجبا ووقفا. وحينما وصل اليهما الشخصان اللذان يلحقان بهما أمسكا بهما وقالا مستنكرين:

– لقد قمتم بفعل حسن! فالى أين تذهبان؟

فتعجبت الأخت الثانية ورفع عينيها لترى، فعرفت أنهما من جيرانها، وأحدهما صاحب المنزل الذى قضت فيه ليلة أمس. فقالت:

– لقد أخبرتك أمس بأن زوجى يريد بيعى بدون سبب وأننى سأذهب الى منزل والدى لأخبرهما، واليوم أجدك تلحق بى، فما الأمر؟

فأجابها السيد جوسن قائلا:

– إننى لا أهتم بهذا الأمر الهين. وكل ما أعنيه أنه هناك جريمة قتل بمنزلك، ويجب أن تعودى وتوضحى هذا الأمر للقاضى.

فقالت الأخت الثانية:

– لقد باعنى زوجى أمس، وأحضر النقود معه بالمنزل، وعن أى جريمة تتحدث؟ فلن أعود.

قال السيد جوسن:

– افعلى ما شئت! إذا لم تعودى حقا، فسوف ندعو الإدارة المحلية، إن هناك لصا قاتلا، وسأجعلهم يقبضون عليك! وإلا

فستورطيننا نحن فى الحيرة، ولن يخلو بيتك من المشاكل أيضا.
وحينما رأى الشاب الأمر سيئا هكذا قال للأخت الثانية:
– ما دام الأمر هكذا فلا بد أن تعودى. أما أنا فسأذهب الى منزلى بمفردى.
وهنا صاح الجاران اللذان كانا يلحقان بهما قائلين:
– إذا كنت غير موجود فى هذا الأمر من البداية لانتهى الأمر. ولكن ما دمت ترافقها فى الطريق، فلا يمكن أبدا أن تذهب!
قال الشاب:
– يا للعجب! لقد صادفت هذه السيدة فى منتصف الطريق، وعلى غير المتوقع اصطحبتها معى فى الطريق، ولم أتورط معها فى أى مشكلة. فلماذا تريد أن تجبرنى على العودة؟
فقال السيد جوسن:
– إن هناك جريمة قتل بمنزلها، إذا تركتك تذهب، ترى من القاتل؟
وهنا صاح الناس الكثيرون قائلين:
– يا شاب، اذهب! كما قال المثل، إن لم ترتكب ذنبا صباحا، لا تخف ممن طرق بابك مساء.
وقال الجار الذى لحق بهما:
– إذا لم تعد معنا فيعنى ذلك أنك خائف! إننا لن نعتبرك غير متورط فى هذا الأمر!
وأمسك الناس بأيديهما وأعادوهما معهم.

عندما وصلوا الى باب منزل السيد ليو، وجدوه فى غاية الصخب والضوضاء! دخلت الأخت الثانية، فرأت السيد ليو ملقى قتيلا على الأرض، وليس هناك أى أثر لمبلغ ١٥ ربطة من النقود النحاسية. من هول الصدمة، فتحت فمها ولم تستطع أن تدخل لسانها. وقد ارتبك ذلك الشاب أيضا وقال:

– يا لى من منكود الحظ! لقد رافقت تلك السيدة فى الطريق دون سبب، وفجأة اصطحبت إنسانة لى علاقة بها.

وقد أحدث الجميع صخبا وضجيجا، ثم رأوا الشيخ وانغ حما السيد ليو وابنته الزوجة الأولى يمشيان بصعوبة عائدين الى المنزل. ولما رأيا جثة السيد ليو، بكوا بكاء شديدا. وقالا للزوجة الثانية:

– كيف تقتلين زوجك، وتسرقين مبلغ ١٥ ربطة من النقود النحاسية وتهربين؟ اليوم قد ظهرت العدالة الإلهية الحقيقية، فقولى ما هى حجتك؟

فقالت الزوجة الثانية:

– إن مبلغ ١٥ ربطة من النقود النحاسية لأمر موثوق منه. ولكن زوجى أخبرنى عندما عاد مساء أمس بأنه قد رهننى عند شخص ما مقابل هذا المبلغ. وذلك لضيق ذات اليد. كما قال لى بأنه يجب أن أذهب اليوم الى بيت المشترى. ونظرا لأننى لا أعرف سمات الشخص الذى رهننى عنده، لذا رأيت أنه يجب على أن أذهب الى بيت والدى لأخبرهما بالأمر. انتهزت الفرصة فى المساء ووضعت المبلغ تحت قدميه، وسحبت الباب الخلفى، ثم ذهبت

الى منزل السيد جوسن وقضيت الليلة عنده. وصباح اليوم ذهبت الى منزل والدى لاخبرهما بالأمر. وحينما ذهبت طلبت من السيد جوسن بأن يخبر زوجى بأنه ما دام هناك مشتر فلا بد من أن يذهب الى بيت والدى ليوضح له أمر بيعى. ولكن لا أعرف لماذا قتل هكذا؟

قالت الزوجة الأولى:

– يا له من كلام عجيب! إن والدى قد أعطاه أمس هذا المبلغ ليكفل به الأسرة، فما السبب الذى جعله يقول لك ان هذا المبلغ هو ثمن بيعك؟ لقد فعلت هذا لأنك كنت بمفردك فى المنزل يومين، بحثت لك عن رفيق. وقد رأيت أن الأسرة أصبحت فقيرة، فلم تصبرى على المعيشة. وحينما رأيت هذا المبلغ طرأت لك الأفكار الدنيئة، فقتلت زوجك، وسرقت النقود ثم ذهبت بعد ذلك الى منزل الجار لقضاء ليلة عنده، هذا وقد تشاورت مع عشيقك لتهربا معا. والآن وقد هربت مع عشيقك، فأى حجة لديك؟

صاح الجميع معا قائلين:

– أيتها السيدة الأولى، إن كلامك فى محله!

ثم قالوا للشاب:

– أيها الشاب! كيف قتلتما أنت والأخت الثانية السيد ليو؟ كيف خططتما وتواعدتما خلسة أن تنتظرا فى مكان هادئ، ثم هربتما بعد ذلك الى مكان آخر؟

فأجاب ذلك الشاب قائلا:

– اسمي تسوى نينغ وأنا لم أكن أعرف هذه السيدة من قبل أبدا. لقد ذهبت الى المدينة مساء أمس حيث حصلت على بعض المال ثمنا لبيع الحرير، ثم صادفت هذه السيدة فى الطريق، وعلى غير المتوقع سألتها الى أين تذهبين؟ ولماذا تذهبين بمفردك؟ فطلبت منى أن أرافقها فى الطريق. لذلك كنت رفيقا لها، فلا أدرى ما السبب فيما حدث!

استمع الجميع الى ما قاله الشاب، وحينما بحثوا فى حافظة نقوده وجدوا بها مبلغ ١٥ ربطة من النقود النحاسية لا أكثر ولا أقل. فصاح الجميع معا قائلين:

– إن القانون الإلهى قانون عادل، لا يترك المخطئ يظل مطلق السراح أبدا، فالمخطئ لا بد من عقابه. لقد قتلت السيد ليو أنت والأخت الثانية، وسرقت النقود، وأغويت زوجته وذهبتما معا الى مكان آخر. لقد وقعنا بسببكما فى ورطة المحاكمة بين الإدارة المحلية والجيران!

أمسكت الزوجة الأولى بالزوجة الثانية، والحما وانغ بالشاب تسوى نينغ، وكذلك الأربعة من الجيران ذهبوا معا كشاهدين الى مقر محقق فى لين آن.

وحينما سمع المحقق بأن هناك جريمة قتل، بدأ فى التحكيم وطلب من المتهمين أن يدلوا بأقوالهم فى البداية. وأولا تحدث الحما وانغ قائلا:

– يا سيادة الموظف الموقر، إننى مواطن من هذه القرية عمرى ستون عاما، لى ابنة واحدة تزوجت فى الماضى من السيد

ليو المقيم بالمدينة التابعة للمقاطعة، ونظرا لأنه لم ينجب منها، فقد تزوج من السيدة التى يدعونها بالأخت الثانية. وكلهم يقيمون فى منزل واحد ويحيون حياة سعيدة. ولأننى كنت أحتفل أول أمس بعيد ميلادى، فقد أرسلت لابنتى وزوجها ليحضرا الى منزلى ويقضيا الليلة عندى. ونظرا لأننى وجدت زوج ابنتى يجلس بالمنزل فارغ الهوية، ولا يستطيع أن يجد ما يعينه على المعيشة، فقد أعطيته ١٥ ربطة من النقود النحاسية ليفتح دكان الأرز يعيش منه هو والأسرة. هذا وقد كانت الأخت الثانية تراقب المنزل، وحينما حل مساء أمس عاد زوج ابنتى الى منزله، وقد وجد ملقى قتيلا على الأرض. فلا أدرى ما السبب فى ذلك! هذا وقد هربت الأخت الثانية مع الشاب الذى يدعى تسوى نينغ. ولحق بهما الناس وأرجعوهما. فأرجو من الموظف الموقر أن يرثى لحال وفاة زوج ابنتى، وخيانة الزوجة الثانية لزوجها وعلاقتها الغير شرعية بغيره، هذا وقد رأينا ما يثبت السرقة، لذا فنرجو من سيادة المحقق أن يحكم فى هذا الأمر بالعدل!

سمع الموظف هذا وذاك، فصاح قائلا:

– تعالى أيتها الأخت الثانية! كيف خنت زوجك وقتلته وسرقت النقود، ثم هربت بعد ذلك مع شخص آخر؟ أجيبى ما هو دافعك نحو ذلك؟

فأجابت الأخت الثانية قائلة:

– لقد تزوجت السيد ليو، ومع أننى كنت زوجته الثانية إلا أننى كنت أعامله معاملة حسنة وكذلك الزوجة الأولى. فكيف يكون

لى هذا الفكر السيء؟ لقد عاد زوجى مساء أمس مخمورا غير متزن حاملا مبلغ ١٥ ربطة من النقود النحاسية. سألته عن مصدر هذا المال، فأجابنى زوجى بأنه نظرا لأننا لا نجد ما يعيننا على المعيشة، فقد رهننى عهد شخص ما، مقابل هذا المبلغ. كما قال لى بأنه لا يجب أن يعرف والدى بهذا الأمر، وبأنه يجب أن أذهب غدا الى منزل هذا المشترى. فصدمت لهذا الأمر، وحينما حل الظلام، تركت المنزل وتوجهت الى منزل الجار وأقمت عنده الليلة، وصباح اليوم ذهبت متوجهة الى منزل والدى، وطلبت من الجار أن يخبر زوجى: أنه ما دام سيبيعنى وسيكون هناك مشتر، فلا بد من أن أذهب الى منزل والدى لأخبرهما الأمر. وفى منتصف الطريق وجدت ذلك الجار الذى أقمت عنده ليلة أمس يتبعنى ويقبض على ويعيدنى. فأنا لا أدرى ما السبب فى قتل زوجى.

فقال المحقق:

– كلام فارغ! إنه من الواضح جدا أن مبلغ ١٥ ربطة من النقود النحاسية هو مال السيد وانغ وابنته وليست ثمن بيعك كما ادعيت، ومن الواضح أن كلامك ليس له أساس من الصحة. وبالإضافة الى ذلك كيف هربت فى المساء؟ إنها لوسيلة للتهرب من الجريمة! إن هذا الأمر لا بد من شريك لك فيه، بالتأكيد هناك خائن يساعدك على إيذاء الناس من أجل المال. قولى بصدق!

بينما أرادت الزوجة الثانية أن تدافع عن نفسها، رأت عدة أشخاص من جيرانها، يركعون ويقولون فى صوت واحد:

– إن كلام المحقق الموقر يدل على عدله ونزاهته! إن الأخت الثانية قد قضت ليلة أمس بالفعل عند منزل الجار الثاني من اليسار، وذهبت بمفردها صباح اليوم. وحينما وجدنا السيد ليو قتيلا، فمن جهة أرسلنا شخصا ليتبعها، وعندما وصل الى منتصف الطريق وجدها تمشى مرافقة ذلك الشاب، وأبت أن تعود معنا فأجبرناها على العودة، ومن جهة أخرى أرسلنا شخصا آخر ليحضر زوجته الأولى وحماه. وحينما وصل علمنا منه أنه قد أعطى لزوج ابنته السيد ليو بالأمس مبلغ ١٥ ربطة من النقود النحاسية ليتاجر بها، واليوم قد قتل زوج ابنته، ولا نعرف أين ذهبت هذه النقود. وحينما سألنا الأخت الثانية عن هذه النقود، قالت انها قد أخذتها ووضعتها على السرير قبل أن تغادر المنزل. ولكن عندما فتشنا وبحثنا فى حافظة نقود ذلك الشاب، وجدنا بها مبلغ ١٥ ربطة من النقود النحاسية بالضبط. فإن الأخت الثانية وذلك الشاب قد اشتركا فى القتل! ودليل الأموال المختلسة واضح، فكيف لا يعترفان بجريمتهما ؟

استمع المحقق الى كلامهم المقنع، وصاح مناديا على الشاب:

– كيف قمت بهذا العمل السىء بهذه السهولة فى العاصمة! وكيف تشاورت مع زوجته؟ واختلست هذا المبلغ؟ وكيف قتلت زوجها؟ والى اين كنتما تذهبان اليوم؟ قل الحقيقة!

أجاب الشاب قائلا:

– إننى مواطن ريفى، اسمى تسوى نينغ. توجهت الى

المدينة أمس لبيع الحرير حيث حصلت على مبلغ ١٥ ربطة من النقود النحاسية، وقد تصادفت اليوم مع هذه السيدة، ولم أكن اعرف حتى اسمها، فمن أين لى أن أعرف أنه قد حدثت بمنزلها جريمة قتل؟

فغضب المحقق قائلا:

- يا له من كلام فارغ! إن العالم كله لا يصدق هذه الصدفة، سرقت من منزلها ١٥ ربطة من النقود النحاسية، وأنت حصلت على ١٥ ربطة من النقود النحاسية من بيع الحرير أيضا، ومن الواضح أنه يجب أن تبحث لك عن عذر آخر. وبالإضافة الى ذلك لا يجب أن تحب زوجة غيرك ولا تركب حصان غيرك. وقلت انه لا علاقة لك بتلك السيدة، فكيف ترافقها فى الطريق والمعيشة؟ يا لك من وغد لعين! إنه لمن المحال أن تعترف بدون أن يلحق بك الضرب المبرح!

ثم شاهد الجميع الشاب تسوى نينغ والأخت الثانية وهما يتلقيان ضربا مبرحا، فإن الشيخ وانغ وابنته والجيران وغيرهم صدقوا جميعا على أنهم القتلة. وكان المحقق يأمل فى أن ينهى هذه القضية. فقد كان يسأل، وتسوى نينغ والأخت الثانية يتلقيان الضرب فلم يكن أمامهما سوى الاعتراف بالجريمة زورا، قالت الزوجة الثانية إن رؤيتها للنقود جعلتها تفكر فى الخطيئة، قتلت زوجها وسرقت المبلغ ورافقت ذلك الشاب، وهربت معه حقيقة. وهنا صدق ووقع جميع الجيران على تلك الاعترافات. فقيد المتهمان وأرسلا الى السجن للإعدام. على أن يرد المال الى

صاحبه الذى أرسله الى رجال الحكومة ليستخدموه، ولكنهم يريدون المزيد! فصدق المحقق على ملف القضية، وأرسلها للامبراطور للتصديق عليها. فأرسل الامبراطور تصديقه عليها قائلا:

– إن تسوى نينغ كان لا يجب عليه أن يقيم علاقة غير شرعية مع زوجة غيره، وأن يؤذى الناس من أجل المال، لذا يجب إعدامه طبقا للقانون، والزوجة الثانية كان لا يجب عليها أيضا أن تتآمر مع عشيقها على قتل زوجها، ونظرا لأن ذنبها كبير لذا تقرر أن يمثل بجثتها أمام الناس.

وبعد قراءة اعتراف الجناة، أحضروهما الى قاعة الحكم ليعلن لهما الحكم، وبعد ذلك أخذوهما الى مكان الإعدام ليشاهدهما الناس. لقد انتهى أمر الشخصين، ولو كان فى كل جسدهما أفواه، فلا فائدة للتوضيح أيضا. ويوضح ذلك قوله:

إذا تناول الأخرس الشيء المر
فمن الصعب عليه أن يخبر الآخرين بما يشعر

أيها القارئ إذا كانت هذه القضية صحيحة، إذا قام تسوى نينغ والأخت الثانية بإيذاء الناس من أجل المال ثم هربا ليلا الى مكان آخر حقا، فكيف ذهبت الأخت الثانية الى منزل الجار لتقضى عنده ليلة؟ وكيف ذهبت الى منزل والديها صباح غد، فأمسكها الجيران وأعادوها؟

إن هذا الظلم يمكن أن نعرفه بعد التفكير بدقة. ولكن

المحقق المغفل كان يريد التخلص من القضية، ولا يفكر إلا فى الضرب ليصل الى ما يريده. كيف لا يمكن الحصول على ما يريده من الاعتراف؟ إن أى عمل تقوم به يعرفه الإله، إنه يسجل العمل السيء فى الآخرة ويعود عليك هذا العمل وعلى أبنائك وأحفادك، فهذان المظلومان سينتقمان منك أيضا بالتأكيد. لذلك فيجب على القاضى ألا يميل بأهوائه فى اتخاذ أحكام القضايا المقدمة اليه، يجب ألا تتحكم أهواؤه فى شعوره وعواطفه أثناء الحكم، كما يجب أن يطلب العدل والحقيقة، فالقتلى لن تعود حياتهم، يا له من أمر يجعل الناس يتنهدون متحسرين حقا!

دعونا من هذا القول. فالزوجة الأولى للسيد ليو كانت تقيم فى منزلها بعد وفاة زوجها وقد قامت بتخليد ذكراه بكتابة اسمه على لوحة من الخشب على قبره، وأثناء وقت الحداد نصحها والدها بأن تتزوج مرة أخرى، فقالت:

– لا تقل الزواج إلا بعد ثلاث سنوات، أو على الأقل بعد ثلاثة عشر شهرا.

فوافقها والدها على ذلك وذهب. مر الوقت بسرعة، ولكن الزوجة الأولى تعيش بمفردها فى المنزل فتشعر بالوحدة والكآبة، وذلك قرابة العام من وفاة زوجها. وحينما وجدها والدها لا تستطيع أن تعيش وحدها حتى ينقضى وقت الحداد، طلب من الخادم أن يذهب اليها ويحضرها، قائلا:

– أبلغ ابنتى بأن تستعد للعودة، لكى تتزوج مرة أخرى، وذلك بعد أن تقيم الذكرى السنوية للسيد ليو.

لم تر الزوجة الأولى أمامها وسيلة أخرى، فقد فكرت في كلام والدها ووجدته صائبا في ذلك، فربطت أمتعتها وجهزت أشياءها وأعطتها للخادم ليحملها على ظهره، كما ودعت جيرانها وداعا مؤقتا لأنها ستعود فيما بعد. وأثناء رحلتها الى المدينة، كان الخريف قد حل برياحه السوداء وأمطاره الغزيرة، فتركت طريقها واتجهت الى الغابة لتختبئ. ولم تفكر في أنها قد أخطأت الطريق وكقوله:

تمشي الخراف الى بيت الجزار
وكل واحدة منها تبحث عن طريق الموت

وعندما دخلت الغابة، سمعت من خلفها صوتا يقول:

– إنني قاطع الطريق لجبل جينغ! قفوا أيها المارة لآخذ منكم ضريبة مختلسة عن المرور في الطريق!

اندهش الخادم والزوجة الأولى من ذلك وشاهدا رجلا يقفز ويأتي اليهم.

بدأ قاطع الطريق في التلويح بالسيف. وهنا صاح الخادم:

– أيها الوغد! إني أعرفك. فمع أنني رجل مسن لكنني سأتحداك!

فصدمه برأسه، فجرى من أمامه قاطع الطريق وضرب الخادم ضربة شديدة، فوقع على الأرض، صاح ذلك الرجل قائلا:

– إن هذا الوغد القذر لا يفهم شيئا!

ثم غرزه بالسيف عدة مرات، حتى سالت دماؤه على الأرض، لقد فارق الخادم العجوز الحياة. رأت الزوجة الأولى حدة وجبروت هذا الرجل فلم تستطع الهرب، وفكرت فى حيلة لخداعه. صفقت على يديها صائحة:

- حسنا لقد قتل!

ثبت ذلك الرجل يديه ويحملق بعينيه الكبيرتين قائلا:

- من هذا الرجل؟

فأجابته الزوجة الأولى وهى متعمدة التخفى قائلة:

- إننى منكودة الحظ، فقدت زوجى، وخدعتنى الخاطبة وزوجتنى لهذا العجوز لكى أحصل على لقمة العيش فقط. واليوم قتلته، فأزلت الأذى لى مرة أخرى.

نظر ذلك الرجل الى هذه السيدة ووجدها جميلة، فسألها:

- هل تودين أن تكونى زوجتى؟

فكرت الزوجة الاولى ولم تجد أمامها وسيلة أخرى فقالت:

- أوافق على خدمتك ورعايتك يا سيدى.

فانقلب غضب هذا الرجل الى فرح، وجهز سيفه وعصاه وألقى بجثة الخادم، وأخذ زوجة السيد ليو الأولى الى مسكنه، فمشت معه فى طريق متعرج ووجدته متوجها الى ذلك المسكن المبنى من الطوب، وهناك وجدت من يفتح لهما الباب، الى أن وصلت الى القاعة، فأمر قاطع الطريق بذبح الشاه وإحضار الخمر وتزوج من الزوجة الأولى، وعاشا منسجمين.

ولم يتوقع أحد أنه بعد زواج قاطع الطريق بالزوجة الأولى أن

يحصل على أموال كثيرة وأن تصبح الأسرة ثرية بهذا الشكل فى وقت لا يتجاوز نصف عام. فالزوجة الأولى مثقفة وواعية بأمور كثيرة. وعادة ما تستخدم الكلمات الطيبة لتنصحه قائلة:

– يقولون قديما: " إن الزير ينكسر بعد امتلائه من البئر، ومن الصعب ألا يموت الجنود فى أرض المعركة". هناك ما يكفى لسد حاجتنا فى شيخوختنا، وما دمت ترتكب تلك الأفعال السيئة فلا بد أن النهاية ستكون سيئة أيضا. يقولون: "على الرغم من جمال هذا المكان، فهو ليس منزلى، لذا يجب أن أذهب عنه"، ما رأيك فى أن تغير هذا الطريق الى الأفعال الحسنة، فلتتاجر وتعتبر ذلك مصدر رزقك الذى نعيش منه.

وكان ذلك الرجل يتلقى النصيحة من زوجته ليلا ونهارا الى أن غير فكره وأحجم عن هذا الطريق السيء الذى كان يقوم به، فذهب الى المدينة واستأجر مسكنا، كما فتح دكانا لبيع الحاجيات اليومية الصغيرة. وفى أوقات فراغه كان عادة يذهب الى المعبد لقراءة الآيات البوذية.

ذات يوم، كان يجلس بالمنزل فى وقت فراغه من العمل، قال لزوجته فجأة:

– على الرغم من أننى قاطع طريق فى الأصل، فاعلم أن الظلم حتما له نهاية، وأن الدين لا بد أن يرد لصاحبه. كنت أفزع وأخدع الناس كل يوم وأسلبهم أشياءهم وأعيش منها، ثم بعد ذلك حصلت عليك، وتغيرت وأصبحت أقوم بالأفعال الحسنة. ولكننى أتذكر الماضى حينما أكون فارغا من العمل، فقد قتلت

خطأ شخصين، وجنيت على شخصين آخرين، وعادة ما أتذكرهم وأفكر فى أن أجعل الكاهن يقرأ على أرواحهم أجزاء من الآيات البوذية، وهذا الأمر لم أتحدث عنه معك من قبل.

فقالت له الزوجة:

- كيف قتلت خطأ شخصين؟

أجابها قاطع الطريق قائلا:

- أحدهما زوجك، الذى تصادمت معه فى الغابة فى الماضى وقتلته، وهو ذلك الكهل الذى ليس بيننا علاقة سيئة، واليوم تزوجت امرأته، فلقد مات وهو حزين لا يرضى الهزيمة.

قالت الزوجة الأولى:

- إن لم يكن هذا، فكيف نكون زوجين هكذا؟ هذا الأمر أصبح ماضيا. دعنا منه.

ثم عادت تسأله:

- ومن هو ذلك الشخص الآخر؟

قال الرجل:

- عندما أتحدث عن ذلك الرجل، يجب أن أتلقى العقاب، وبالإضافة الى ذلك فقد ظلم اثنان بسببى وانتهت حياتهما دون أى ذنب ارتكباه. منذ عام خسرت فى القمار ولم اجد معى أى عملة من النقود، فاضطررت لسرقة الأشياء ليلا. ولم أكن أتوقع أن أقف عند باب هذا الرجل، لقد وجدت بابه غير مغلق بالسقاطة، وعندما دفعت الباب ودخلت، لم أجد أحدا بالداخل، فتحسست حتى باب الغرفة ووجدت شخصا سكران فوق السرير،

تحت قدميه مبلغ من المال. وحينما لمست هذه النقود، وأردت أن آخذها، أفاق ذلك الرجل وصاح قائلا: "إن هذه النقود قد أعطاها حماى لى كى أعيش منها، ولن أسمح لك بسرقتها، وإلا فستموت أسرتى من الجوع!" وعندما أراد أن يقوم ويخرج ليستغيث ويعلن عن هذا الأمر. أحسست بأنه سيجلب لى المتاعب، وبالصدفة وجدت فأسا بجوار قدمى، فالانسان حينما يرتبك تظهر له الأفكار، فأخذت الفأس بيدى صائحا: "إذا لم أمت، فستموت أنت!" فضربته ضربتين بالفأس حتى وقع قتيلا على الأرض. ثم دخلت الى الحجرة، وأخذت كل المبلغ الموجود أى ١٥ ربطة من النقود النحاسية. وبعد ذلك سمعت أنه قد ظلمت زوجته الثانية وذلك الشاب الذى يدعى تسوى نينغ، وقيل إنهما يقتلان من أجل المال، فطبق عليهما قانون الدولة. مع أننى قاطع طريق طيلة حياتى إلا أننى أرى أن هذين الشخصين مظلومان من الناحية المنطقية والإلهية، فأنا أقرأ الآيات البوذية على أرواحهم ليل نهار، وهذا واجب على.

حينما سمعت الزوجة الأولى ذلك الكلام تحاورت مع نفسها خلسة قائلة:

– لقد قتل زوجى على يد هذا الوغد! وقد ظلمت الزوجة الثانية وذلك الشاب اللذين قتلا بدون ذنب. لا يجب إيذاؤهما وقتلهما فى ذلك الوقت. ومن المحتمل أن روحيهما سوف تقومان بإيذائى!

ثم تصنعت الضحك والسرور أمام زوجها ولم تقل شيئا آخر.

ستبحث غدا عن فرصة للذهاب الى الشرطة لتخبر رجالها بما سمعت.

في هذا الوقت أتى الى الشرطة محقق جديد، لم يتعد على تعيينه سوى خمسة عشر يوما. عندما صاحت الزوجة الأولى عند مكتب التحكيم، خرج عليها الجنود من كل ناحية ليمسكوا بتلك السيدة التى تصيح. وقفت السيدة ليو الزوجة الأولى تحت المنصة، وأخذت تبكى بحرقة وأخبرت الموظف المسؤول عن أمر قاطع الطريق بالكامل:

- كذا قتل زوجى السيد ليو، وأن المحقق السابق لم يبحث الأمر بدقة، وأنهاه فى غموض، بل وتسبب فى قتل الشاب تسوى نينغ والزوجة الثانية اللذين اتهما وفقدا حياتهما فى جريمة لم يرتكباها، ثم كذا قتل الخادم بعد ذلك، وخدعنى. واليوم قد وضحت لى الآلهة الحقيقة، ولقد اعترف لى بكل شىء بنفسه، وأرجو من سيادتكم أن تحكموا بالعدل وأن تغير الحكم الماضى بحكم عادل!

قالت ذلك وهى تبكى. سمع المحقق كلامها المؤثر، فأرسل شخصا ليقبض على قاطع الطريق ويحضره اليه، واستخدم معه وسيلة الضرب والأذى ليصل الى الاعتراف، وبالفعل كان اعترافه مطابقا لكلام الزوجة الأولى بالضبط. وفى الحال أصبحت القضية جريمة قتل، وأرسل الأمر الى الامبراطور وانتظر ستين يوما حتى وصلت اليه أوامر الامبراطور والتى تنص على التالى:

"لقد بحثنا أمر قاطع طريق الجبل جينغ والذى قام بإيذاء

الناس من أجل المال، وإيذاء من لا ذنب له، فطبقا للقانون الذى ينص على أنه من قتل ثلاث أرواح بلا ذنب يقام عليه الإعدام فورا، كما قررنا إيقاف المحقق السابق والذى قام بالتحقيق فى هذه القضية عن الإهمال، ونحن نشفق على موت الشاب تسوى نينغ والأخت الثانية، وقررنا أن يذهب المحقق الحالى الى بيتهما للزيارة وأن يعتنى بأسرتيهما طبقا لأحوالهما. أما عن الزوجة الأولى والتى أجبرت على الزواج من هذا الوغد، واستطاعت أن ترفع الظلم عن المظلومين فقد قررنا أن تقسم ممتلكات هذا الوغد بين الحكومة والزوجة الأولى لتعيش منها مدى الحياة."

وحينما حان وقت تنفيذ الحكم، توجهت الزوجة الأولى الى مكان الإعدام لتشهد إعدام قاطع طريق الجبل جينغ، وبعد تنفيذ حكمه أخذت رأسه لتضعها على قبر زوجها السيد ليو وكذلك قبر الزوجة الثانية والشاب تسوى نينغ كنوع من الانتقام لهم. وقد بكت لذلك بكاء شديدا. وتبرعت بنصيبها من ممتلكات ذلك الوغد قاطع الطريق الى معبد الراهبات البوذيات، وظلت تقرأ بنفسها الآيات البوذية ليلا ونهارا على أرواح الأبرياء لتذهب الى السماء. ويقول الشعر فى ذلك:

يجب أن نفرق بين الخير والشر
وبسبب الهزل تحدث الفواجع
ويجب أن نقول الحق والحقيقة
فالكلام دائما ما يكون سبب الكوارث

تعريف الكاتب:

فنغ منغ لونغ من أشهر كتاب القصص الشعبية فى عهد أسرة مينغ في أواخر القرن السادس عشر ومطلع القرن السابع عشر (١٥٧٤- ١٦٤٦م) وهو من بلدة وو بمقاطعة جيانغ سو وقد عرف فى شبابه بالموهبة والنبوغ وتقلد وظيفة حاكم البلدية فى أواخر عهد أسرة مينغ، كما أنه كان من الوطنيين المخلصين لبلادهم، فقد اشترك فى الدعوة لمقاومة أسرة تشينغ، وتوفى وهو ناقم ساخط على الوضع آنذاك. ولقد قدم فنغ منغ لونغ إسهامات كبيرة فى مجال الأدب الشعبى الصينى. فقد أكمل رواية "حكاية مقاومة الشياطين" وعدل رواية "الحكايات الجديدة عن البلدان العديدة"، ونشر بعض الأغانى الشعبية، كما ألف العديد من الأوبرات الصينية التقليدية. ومن أهم أعماله مجموعة القصص القصيرة، وكانت مقسمة إلى ثلاثة كتب يتضمن كل منها أربعين حكاية وهى: "حكايات لتعليم الناس" و"حكايات لتحذير الناس" و"حكايات لتنبيه الناس". وكان لهذه المجموعة دور كبير فى انتشار الرواية الشفهية، وفى نفس الوقت ساعدت على ازدهار الأدب الشعبى. ومن أهم الموضوعات التى تناولتها هذه القصص حكايات الحب والغرام، منها حكاية "الغانية وصندوق المجوهرات" التى ترسم صورا للنضال ضد الطبقة الإقطاعية الحاكمة، ووصفت أيضا الفساد السياسى وآلام الأهالى فى عهد أسرة سونغ الجنوبية. وهناك أيضا حكاية "خمس عشرة ربطة من العملة النحاسية" (أى "إعدام برىء") التى تغنت بالصداقة واستنكرت الغدر. وتعتبر هذه القصص خير مثال للقصص الكلاسيكية الصينية القصيرة.

قطف من «جوسق عود الصليب»

بقلم: تانغ شيان زو
ترجمة: طارق حسين فرماوى

الحلم المدهش

الآنسة (خرجت الى خشبة المسرح تغنى):
استيقظت على همس البلابل الصغيرة
مفاتن الربيع هزت قلبى أوتاره
خرجت واقفة فى الحديقة الساحرة
الخادمة (تتبع):
تتعانق روائح المسك والبخور
وألقت آنستى خيوط التطريز متحيرة
ما بالها تعتنى بربيع هذا العام أكثر؟
الآنسة:
تدانت فى الصباح مناظر الجبل من بصرى
وبقية مكياج الأمس على وجهى ظاهرة
الخادمة:
تميل رأسها جانبا مسترسلة الشعر
وتتكئ الى الدربزين وتنظر

الآنسة:

وأنا مشوشة الأفكار والمشاعر
والكآبة تزدحم بصدرى

الخادمة:

وقد دعوت البلابل والسنونو تبشر
كى تتفتح زهور الربيع وتنبثق العطور

الآنسة:

يا أخت تشونغ شيان، هل طلبت من أحد بتنظيف المكان وطرقات الزهور؟

الخادمة:

نعم طلبت بذلك. (أحضرت الملابس والمرآة للآنسة):
بعد تصفيف شعرها ستناجى مرآتها
وبعد تبديل اثوابها سينتشى الجو من عطرها
يا آنسة ها هى ملابسك ومرآتك..

الآنسة:

يتراقص الربيع فى خيوط رقيقة البصمات
ويتطاير بنسماته الى الفناء والردهات
فينسج بجماله أبدع اللوحات

توقفت لأصفف شعرى وأنسق حليتى
إذا بالمرآة سرقت صورتى
وخجلت من جمالى فمالت رأسى

وكيف يمكن أن أخرج هكذا من حرمى؟

الخادمة:

يا آنسة، ما أروع مكياجك اليوم..

الآنسة:

يروقك ردائى الأحمر الزاهى
وحلية شعرى ببريقها تتباهى
وتشع بالأنوار
لكنك تعرفين أنى أحب الجمال الطبيعى

محاسنى كمحاسن الربيع
الأسماك تندهش لها فتتوقف عن السباحة
والطيور تتعجب لها فلا تطير
والقمر يختفى وراء السحاب خجول البال
والزهور ترتعش امام هذا الجمال

الخادمة:

لنذهب يا آنسة، لقد حان وقت الفطور (وهى تمشى)، انظرى...

الرسوم المذهبة على حائط الممر باهتة اللون
والطحالب الخضراء تعلو البحيرة جانب القصر
نمشى على الأعشاب بحذر خوفا على الجوارب المطرزة
ونلتوى حول الزهور تجنبا دوسها فتعبت الأقدام

الآنسة:

إذا لم نأت الى هذه الحديقة، فأنى لنا أن نعرف مدى جمال الربيع؟

لقد افترشت المكان أزهار بألوانها المختلفة
غير أن هذا المنظر الفتان محصور بين الأطلال العتيقة
فما فائدة هذه الروعة وما جدوى هذه الفتنة؟
وأين توجد الأفراح وأين السعادة؟
إن هذه المناظر الجميلة لم أسمع بها من قبل من أبي وأمي..

الآنسة والخادمة (تغنيان معا):

يكتسي القصر صباحا بالسحب البيضاء
ويغتسل مساء بالشفق أو الرذاذ
تتساقط حبات المطر في خيوط رقيقة
يتهادى بها النسيم في هدوء ساحر
الماء يغطي وجهه بخار أبيض
وتعلوه أمواج زرقاء وسفينة جميلة
فما أدراكن ما جمال الربيع أيها الفتيات في الحرم؟

الخادمة:

لقد تفتحت جميع أنواع الأزهار إلا زهر عود الصليب...

الآنسة:

تفتحت زهور الأزاليا فلونت الجبل بالحمر
وتراقصت خيوط الربيع كدخان ينشوى
يا بنتي رغم جمال أزهار عود الصليب

فهى لا تتفتح أولا بعد عودة الربيع

الخادمة:

ها هناك أزواج وأزواج من البلابل والسنونو..

الآنسة والخادمة (تغنيان معا):

لنحدق فيها.. لنحدق فيها

فما أعذب رنينها وما أجمل تغريدها

الآنسة:

هيا لنرجع...

الخادمة:

لن يكفينا التمتع بهذه الحديقة...

الآنسة:

وما فائدة هذا الكلام...

لنترك أمر التمتع جانبا

حتى ولو زرنا أنحاء الحديقة

فما الفائدة؟

من الأحسن أن نرجع الى الحرم الخاوى

لأقضى أيام الفراغ الكئيبة...

الخادمة:

فلأفتح الباب وأرتب السرير، وأضع الأزهار فى الزهرية وأشعل البخور فى المبخرة... يا آنسة، خذى راحتك، سأذهب لأسلم على سيدتى الكبيرة...

تعريف الكاتب:

تانغ شيان زو (١٥٥٠-١٦١٦م) من أهل مدينة لين تسوان بمقاطعة جيانغ شي. وهو كاتب المسرحيات المشهور في عهد أسرة مينغ. كان ينتسب الى عائلة ثقافية، وطارت شهرته في مجال الأدب مبكرا، ولم يتوظف في الحكومة إلا بعد أن بلغ عمره ٣٤ سنة، وكان يتقلد وظيفته الحكومية في مدينة نانكين، ثم نقل الى مدينة نائية صغيرة في سنة ١٥٩١م بسبب نقد وجهه الى موظف كبير في الحكومة. لقد عمل كثيرا من الأعمال الصالحة للشعب حينما كان على وظيفته مما أثار استياء الحكومة اليه، فقدم استقالته سنة ١٥٩٨م ورجع قافلا الى موطنه. وفي نفس السنة، ألف مسرحيته الرومانسية المشهورة "جوسق عود الصليب".

تعتبر هذه المسرحية من أشهر المسرحيات الشعرية الكلاسيكية في الصين. وتصف قصة الحب بين فتاة وشاب بأسلوب رومانسي، إذ تقول المسرحية ان الحب يمكن أن يميت شخصا كما يمكن أن يحييه.

تذكر القصة أن هناك فتاة تدعى دو لي نيانغ، وهي بنت لحاكم مدينة آن نان. كان والداها لا يسمحان أن تخرج من حرمها وناهيك عن الاختلاط بالأولاد. ذات يوم خرجت خفية الى حديقة قصرها، وتمتعت بمناظر الربيع الجميلة، فاستيقظ الشوق الكامن في قلبها الى الحب ورأت في منامها شابا يدعى ليو مون مي، فتقابلا وتحابا.

بعد أن استيقظت من النوم حزنت حزنا شديدا على الفرق بين العلم والحلم، فلزمت السرير مريضة، وأشرفت على الموت، قبل وفاتها رسمت لنفسها صورة تعكس جمالها وخبأتها في مكان ما. ثم أدركتها المنية.

بنى والدها من أجلها معبدا يدعى معبد أزهار البرقوق، يضم فيه ضريح الفتاة. وصادف أن الشاب ليو مون مي مر بهذا المعبد في طريقه الى العاصمة للاشتراك في الامتحان الحكومي، وسكن فيه ريثما يشفى من مرض أصابه في الطريق. فوجد فيه صورة الفتاة، وأحبها حبا جما، وتقابلا مرة ثانية

تقابلا روحيا.

وبالإشارة من روح الفتاة، أخرج الشاب جثتها من الضريح، فأعيدت الحياة اليها، وتزوجا...

طاوى جبل لاو

مأخوذ من: «الحكايات الغريبة بلياو تساى»

بقلم: بو سونغ لينغ

ترجمة: تهانى عبد الحميد

ذات مرة كان هناك مثقف فى المحافظة يدعى "وانغ"، وكان ترتيبه سابعا بين إخوته، من عائلة ذات حسب ونسب. وقد كان منذ الصغر مولعا بالفنون السحرية للديانة الطاوية، فما إن سمع أنه فى جبل "لاو" يوجد العديد والعديد من النساك الخالدين.. سرعان ما حمل صندوق كتبه وذهب سعيا وراء العلم.

وحين وصل الى جبل "لاو"، ارتقى إحدى قممه ورأى معبدا طاويا فى عزلة نائية. وفى الداخل طاوى يجلس على الوسادة.. شعره الأبيض بياض الثلج ينسدل على كتفيه، وهيئته تبدو عليها الإشراقة الصافية والشجاعة والكرم. وسجد وانغ السابع، تحية له، ثم تحدث معه، وكانت الحقائق التى شرحها الطاوى مبهمة للغاية. فاستأذنه وانغ السابع، وطلب منه أن يكون معلما له.. فقال الطاوى:

– ولكنى أخشى أن تكون من الكسل وسرعة الغضب بحيث لا تحتمل الصعاب.

فاجاب وانغ السابع قائلا:

– بل أستطيع.

وكان للطاوى الكثير والكثير من التلاميذ حضروا جميعا حين حل المساء، وحياهم وانغ السابع بسجدة لكل منهم ثم جلس بعد ذلك في المعبد.

وفى صباح اليوم التالى استدعى الطاوى وانغ السابع، وأعطاه فأسا وطلب منه أن يتبع الجميع ويذهب لجمع الحطب.. فتقبل وانغ السابع الأمر بكل أدب واحترام. وبعد مرور شهر واحد.. آلمته يداه وقدماه بشدة وظهرت طبقات من الكلكلة عليها ولم يستطع تحمل مثل هذه المشاق والصعاب.. فعاودته الفكرة فى الرجوع خفية الى المنزل.

وفى إحدى الأمسيات لما عاد للمعبد، رأى اثنين من السادة يحتسيان الخمر مع معلمه. ورغم حلول الظلام إلا أنه لم يتم إضاءة أى مصباح بعد، ثم قام المعلم بقص ورقة على شكل مرآة مستديرة، ولصقها على الحائط.. ولم تمض فترة وجيزة حتى كان ضوء القمر قد غمر الحجرة بأكملها، وأصبح من الممكن رؤية الأشياء المتناهية فى الصغر بمنتهى الوضوح. والتفت التلاميذ فى أرجاء الغرفة الأربعة ينتظرون التكليف والأوامر. وأخذوا يقومون بخدمتهم ذهابا وإيابا..

قال أحد الضيوف:

– فى مثل هذه الليلة الجميلة وهذه السعادة المتناهية، ألا يمكن أن نتمتع جميعا بالصحبة.

ثم وضع على المنضدة إبريقا من الخمر. وأداره على التلاميذ

وطلب من كل واحد أن يستمتع ويلهو كما يحلو لـه. فكر وانـغ السابع فى قرارة نفسه: كيف يستطيع إبريـق واحد مـن الخمر أن يكفى سبعة أو ثمانية اشخاص؟ ثم أحضر كل منهم كأسا لنفسه، وبدأوا يتزاحمون على شرب الخمر ويتسابقون على اقتراع النخب مخافة أن يفرغ الإبريق من الخمر. وشرب الجميع مرة تلو الأخرى، ويا للغرابة، لم تقـل الخمر داخـل الإبريـق ولو قليلا. فشعر وانـغ السابع بدهشة عارمة.

وبعد أن شربوا قليلا قال أحد الضيوف:

– لقد لقينا من القمر الإشراقة التى وهبها مضيفنا.. ولكننا نعانـى مـن الوحدة ونحـن نشرب الخمر بهذه الطريقـة. فلماذا لا نستدعى الالهة تشانغ أيه؟

ثم تناول أحد عيدان الطعام، وألقى به فى أشعة القمر، ولم يروا إلا فتاة جميلة تخرج آتية من أشعة القمر. فى البداية لم يكن طولها يصل الى بوصة واحدة.. وعندما حطت على الأرض كانت فى طول الإنسان العادى، ذات خصر رشيق وعنق دقيق، رقصـت برشاقة وغنت:

إننى أرقص وأرقص
هل رجعت الى الدنيا
أم ما زلت محبوسة
فى القصر داخل القمر

وبعد أن انتهت من الغناء، أخذت تحلق صاعدة.. ثم رقصت فوق المنضدة. وفي اللحظة التي كان الجميع ينظرون فيها بدهشة وذهول، تحولت مرة أخرى الى أحد عيدان الطعام. وانفجر الثلاثة ضاحكين.

ثم قال أحد الضيوف مرة أخرى:

– إن سعادتنا بالغة هذا المساء.. ولكنى أريد أن أحتسى المزيد من الخمر. هل أستطيع أن أدعوكـم الـى مأدبـة فـى قصر القمر؟

ثم نقل الأشخاص الثلاثة مقاعدهم ودخلوا الـى قصر القمر تدريجيا. ورأى الجميـع الأشخاص الثلاثــة يحتسون الخمر وهــم جالسون فـى قصر القمر. وكان يمكـن رؤيـة لحاهـم وحواجبهـم بمنتهى الوضوح. وكانوا يشبهون ظل الإنسان فى المرآة.

وبعد فترة وجيزة بدأت أشعة القمر تتلاشى تدريجيا، وحيـن حضر التلاميذ لإضاءة الشموع لم يروا سوى الطاوى يجلس وحده فقـط، واختفـى الضيوف دون أن يتركوا أى أثر. ولا يوجد غير الفاكهة واللحم والخضروات على المائدة كما كانت منذ قليل. أما أشعة القمر الموجودة على الحائط، فلا تعدو أكثر من مجرد قطعة الورق على شكل مرآة مستديرة. سأل الطاوى الجميع:

– هل كانت الخمر كافية؟

قال الجميع:

– نعم كانت كافية.

قال الطاوى:

- بما أنكم قد شربتم كفايتكم من الخمر.. فلتأووا الى الفراش مبكرا حتى لا تعطلوا عملية جمع الحطب غدا..

وافق الجميع وذهبوا ليناموا. أما وانغ السابع فقد شعر في قرارة نفسه بسعادة وغبطة.. وتخلى عن فكرة العودة للمنزل.

بعد مرور شهر آخر.. زادت مشقة العمل بحيث لم تكن هناك طريقة لاحتمالها.. ولكن الطاوى لم يكن قد علمه بعد ولو حتى فنا سحريا واحدا. واضطرب قلبه وقلق بحيث لم يستطع الانتظار.. فاستأذن الطاوى قائلا:

- إننى قطعت مئات الأميال سعيا وراء أستاذى الخالد ليعلمنى الطاوية، وإن لم تعلمنى الفنون السحرية لإطالة الحياة والخلود.. ربما استطعت أن تعلمنى بعض الفنون التكنيكية، فمن الممكن أن تهدئ من حالتى المزاجية لطلب العلم.. والآن وبعد مرور حوالى شهرين أو ثلاثة فإن كل ما أفعله هو الاستيقاظ في الصباح الباكر لجمع الحطب والعودة مساء للنوم.. ولم يسبق لى أن تحملت مثل هذه الصعوبات في المنزل.

فضحك الطاوى قائلا:

- لقد قلت لك سابقا إنك لن تستطيع تحمل هذه الصعاب.. وها هو كلامى قد تحقق. غدا فى الصباح الباكر آمرك بالانصراف والعودة للبيت.

قال وانغ السابع:

- إننى قد اشتغلت بجد لأيام عديدة.. فلتعلمنى يا أستاذى قليلا من الحيل الصغيرة. حتى لا أكون أتيت هباء الى هنا.

قال الطاوى:

- أى من الفنون السحرية تود أن تتعلمها ؟

قال وانغ السابع:

- لقد اعتدت أن أرى أستاذى إذا ذهب الى أى مكان فلا يوجد حائط يمنعه من اختراقه.. إذا علمتنى هذه الحيلة فقط فسوف يرتضى قلبى.

ضحك الطاوى موافقا ثم قرر أن يعلمه الشعوذة أولا، قال له:

- ادخل.

لكن وانغ السابع واجه الحائط ولم يجرؤ على الدخول.

فقال الطاوى مرة أخرى:

- حاول أن تدخل.

فذهب وانغ السابع بهدوء وطمأنينة وحين وصل أمام الحائط اعترضه.

قال الطاوى:

- اخفض رأسك.. وادخل بسرعة قليلا، ولا داعى للتردد.

وهكذا ابتعد وانغ السابع بضع خطوات عن الحائط ثم دخل بسرعة الطائر. وحين وصل للحائط اخترقه وكأنه ليس موجودا وحين استدار ليرى كان يقف بالفعل خارج الحائط. وكان فى غاية السعادة ودخل مرة أخرى ليشكر المعلم.

فقال له الطاوى:

- عند عودتك للمنزل يجب أن تبقى على قلبك نقيا طاهرا

وإلا فلن تكون هذه الشعوذة ذات نفع لك.

وبعد ذلك أعطاه مبلغا من المال كنفقة طريق وأمره بالعودة للمنزل.

وبعد أن عاد وانغ السابع الى المنزل، أخذ يتفاخر بنفسه ويبالغ مدعيا أنه قابل إلها وتعلم منه الفنون السحرية، ومهما كان الحائط صلبا فلا يمكن أن يعترضه. ولم تصدقه زوجته.. فقلد شكل الطاوى وابتعد عن الحائط عدة خطوات ودخل مسرعا كما لو كان طائرا واصطدم رأسه بالحائط الصلب ووقع فجأة. ساعدته زوجته على النهوض. وحين نظرت، كان يعلو جبهته ورم كبير يشبه بيضة كبيرة. وسرعان ما سخرت منه زوجته، وضحكت عليه. وكان شعوره مزيجا بين الخزى والحقد.. ولكنه لم يملك سوى أن يسب الطاوى ويتهمه بعدم نقاء قلبه وأنه لم يتمن له الخير والسعادة.

تعريف الكاتب:

بو سونغ لينغ (١٦٤٠-١٧١٥م) من أهل مدينة تزى بوه بمقاطعة شان دونغ، رسب مرات فى الامتحانات الحكومية، فتكرس على التدريس فى المدرسة الخاصة، وكان فقيرا طول حياته.

كتابه "الحكايات الغريبة بلياو تساى" يحتوى على ٤٩١ قصة قصيرة مكتوبة باللغة الصينية القديمة، وهى مأخوذة كلها تقريبا مما تداول على ألسنة عامة الشعب من الحكايات الغريبة والأساطير العجيبة. وكانت حبكة القصص رائعة ولغتها بليغة ولها قيمة أدبية عالية.

الطاوية فلسفة دينية صينية مبنية على تعاليم لاو تزى، وتعتبر مع الكونفشيوسية والبوذية أحد أديان الصين الثلاثة. أما الطاوى فهو رجل معتنق الطاوية.

لقد علق الكاتب على هذه القصة قائلا:

- لا يوجد انسان سمع هذه القصة ولم يضحك، ولكنهم جميعا لا يدركون أن عالمنا الحالى به عدد غير قليل من الناس يشبه وانغ السابع. والآن يوجد العديد من الشباب يحبون صفاتهم وأخلاقهم الرديئة، ويصطدمون بالواقع لو نصحهم أحد بهجر السيئات واتباع الحسنات.

قطوف من «حلم المقصورة الحمراء»

بقلم: تساو شوى تشين
ترجمة: نجاح أحمد عبد اللطيف

الفصل الثانى والثلاثون
اعتراف العاشقين وانتحار الخادمة

سر باو يو سرورا عظيما عندما رأى وحيد القرن الذهبى الذى فى يد شى شيانغ يون. مد يده وأمسكه قائلا:

- إنه من حسن حظك أن عثرت عليه. أين وجدته؟

ضحكت شى شيانغ يون قائلة:

- لقد كان من حسن حظك أن فقدت وحيد القرن الذهبى فقط، ولكن ماذا لو فقدت خاتم السلطة. ترى أ تظل غير عابئ ولا تفعل شيئا؟

ضحك باو يو وقال:

- لو فقدت خاتم السلطة لما أهمنى، أما لو فقدت وحيد القرن الذهبى لمت حزنا وأسفا.

صبت شى رن الشاى له ولشى شيانغ يون وقالت وهى تبتسم:

- سمعت انك خطبت يا آنسة.

احمر وجه شي شيانغ يون خجلا، وراحت تشرب الشاى دون أن تجيب.

قالت شي رن:

– ما بالك اليوم تخجلين منى. وقد كنت فيما مضى لا تخجلين. هل تذكرين منذ عشر سنوات عندما كنا نتحدث فى المساء فى الغرفة الغربية؟

ضحكت شي شيانغ يون قائلة:

– أ أنت من يقول هذا؟ كانت العلاقة بيننا قوية فى ذلك الوقت، ثم ماتت أمى، فانتقلت لمنزل أسرتى وبقيت هناك بعض الوقت. ولما رجعت الى هنا مرة أخرى فوجئت بك تلازمين أخى باو يو، ولم تعودى كسائر عهدك معى.

ضحكت شي رن قائلة:

– أنت تقولين هذا الكلام؟ كنت تحايليننى كى أسرح شعرك وأغسل وجهك وأفعل لك هذا وذاك. فلما كبرت أصبحت تتعالين على، قولى لى كيف أجرؤ على الاقتراب منك وأنا أراك تتعالين على هكذا؟

– أنا؟ يا إلهى! لقد ظلمتنى، ولأمت فى الحال إن كنت كما تزعمين. انظرى لقد جئت فى هذا اليوم الحار خصيصا كى أراك، وإن كنت لا تصدقيننى فاسألى ليو آر. كيف تقولين هذا وأنا لا تمضى على فى البيت لحظة إلا وذكرتك فيها؟!

قاطعها باو يو وشى رن قائلين:

– لا زلت كما أنت سريعة الغضب، وتأخذين المزاح

مأخذ الجد.

- لم تقولين اننى سريعة الغضب؟ بل قولى إن كلامك هو الذى يستفزنى ويثير أعصابى.

كانت شى شيانغ يون تتكلم وهى تفتح منديلها وتخرج منه خاتما ناولته لشى رن التى أجزلت لها الشكر وقالت لها ضاحكة:

- لقد اخذت نصيبا من الهدايا التى أهديتها لأخواتك منذ وقت قريب. واليوم ها أنت ذى تقدمين لى بنفسك هدية اخرى، وأرى أنك لم تنسينى حقا، ويكفى هذا دليلا. إن الخاتم ليس فى ثمنه، وإنما هو تعبير عما تكنينه لى من حب وإخلاص.

- من التى أعطتك هديتى السابقة؟

- الآنسة باو.

ابتسمت شى شيانغ يون قائلة:

- حسبتها الأخت لين، ولكنها كانت الأخت باو. إننى أزداد يقينا يوما بعد يوم أنه لا توجد بين جميع الأخوات من أفضل من الأخت باو. للأسف إنها ليست شقيقتى. آه لو كانت لى شقيقة مثلها، لأغنتنى عن فقد الأب والأم.

احمرت عيناها وهى تتكلم، فقاطعها باو يو قائلا:

- كفى، كفى، كفى. دعيك من هذا الكلام.

- ولم لا؟ إننى أفهمك جيدا، تخشى أن تسمعنى الأخت لين فتغضب لذكرى الأخت باو بالخير. أ ليس الأمر كذلك؟

ضحكت شى رن ساخرة وقالت:

- أراك تزدادين صراحة مع الأيام يا آنسة يون.

ضحك باو يو قائلا:

- لم أخطئ حين قلت إننى لا أستطيع أن أجاريكما فى الحديث.

قالت شى شيانغ يون:

- أخى العزيز. لا داعى لأن تقول لنا ما يضايقنا. ثم ما لى أراك تحسن الكلام معنا، وما إن ترى الأخت لين، حتى لا أدرى ماذا يصيبك!

قالت شى رن:

- دعونا من المزاح الآن، فهناك أمر أحتاج اليك فيه.

سألتها شى شيانغ يون:

- اى أمر هذا؟

- هناك زوج من النعال فى حاجة الى حشو، ولأننى لست على ما يرام هذه الأيام، لا أستطيع أن أحشوه بنفسى، فهل يسمح وقتك بأن تنوبى عنى فى القيام بهذا العمل؟

ضحكت شى شيانغ يون وقالت:

- غريبة، لديكم كل هذا العدد من الخادمات المهرة وتريدين منى أنا أن أحشو لك زوجا من النعال! إن الواحدة من هؤلاء لتستحى أن ترد لك طلبا.

قالت شى رن ضاحكة:

- انت لا تفهمين. إن أعمال الإبرة الخاصة بهذه الغرفة لا ينبغى أن تقوم بها الخادمات العاديات.

عندئذ أدركت شى شيانغ يون أن زوج النعال هذا يخص باو

يو فابتسمت قائلة:

- ما دام الأمر هكذا فأنا موافقة، ولكن بشرط، سأفعل ما يخصك أنت فقط، أما ما يخص الآخرين فلا.

ضحكت شي رن قائلة:

- لا زلت لا تفهمين. من أنا حتى أزعجك بحشو زوج من النعال! في الحقيقة إنه ليس لي، ولا يعنيك أن تعرفي لمن يكون. على كل حال سأكون ممتنة لك لو قمت بهذا العمل.

قالت شي شيانغ يون:

- لطالما أزعجتني بعمل أشياء لك، فإن رفضت هذه المرة، فلا بد أنك تعرفين السبب.

- بل لا أعرف شيئا.

ضحكت شي شيانغ يون في برودة قائلة:

- سمعت أن غطاء المروحة الذى صنعته قد قورن بينه وبين ما يصنعه الآخرون، ثم مزق في ثورة غضب. لقد سمعت ذلك منذ مدة طويلة، ومع هذا فقد أخفيت الأمر عني. واليوم عدت تطلبين مني أن أحشو لك زوجا من النعال. فهل أصبحت جارية عندكم؟

ضحك باو يو قائلا:

- لم أكن أعرف أنك أنت التي صنعت غطاء المروحة.

قالت شي رن وهي تشاركه الضحك:

- حقا لم يكن يعرف. لقد خدعته وزعمت له أن فتاة صغيرة حلت مؤخرا بالخارج تجيد أشغال الإبرة، وتطريز الأزهار البديعة. وأعطيته غطاء المروحة ليرى بنفسه، فصدقني وراح يعرض

الغطاء على هذه وتلك. ولست أدرى لماذا أثار هذا الأمر غضب الآنسة لين فقصت الغطاء نصفين. ولما عاد باو يو وطلب منى أن أكلف الفتاة بصنع غطاء جديد، وقتها فقط أخبرته أنك أنت التى صنعته، فاضطرب، وكان نادما على ما حدث.

قالت شى شيانغ يون:

– يا له من أمر عجيب! ما الذى أغضب الآنسة لين فى ذلك؟ ثم ما دامت تعرف كيف تقص الغطاء فلتصنع هى واحدا بنفسها إذن.

قالت شى رن:

– كيف ذلك والجدة تخشى عليها رغم أنها لا تفعل شيئا؟ كما أن الأطباء نصحوها بالتزام الراحة والهدوء، من يجرؤ إذن على أن يطلب منها أن تصنع غطاء مروحة! إنها فى العام الماضى بأكمله لم تصنع سوى كيس لحفظ العطور، وها هو العام قد انتصف ولم يرها أحد تمسك خيطا أو إبرة.

وبينما هم يتكلمون، إذا برجل يقبل عليهم قائلا:

– إن السيد القاطن بشارع شين لونغ جييه قد جاء، لذا فإن السيد الكبير طلب السيد الصغير كى يذهب لاستقبال الضيف.

ما إن سمع باو يو هذا حتى عرف على الفور أنه جيا يو تسوين، فشعر بالضَيق. أسرعت شى رن لتحضر ثيابه الرسمية، بينما هو راح يرتدى حذاءه يتذمر قائلا:

– ما دام السيد الكبير موجودا فما حاجته لى؟ كل مرة لا بد من وجودى؟

ابتسمت شى شيانغ يون وهى تهز مروحتها قائلة:

- ما دمت تعرف كيف تحتفى بالضيوف، فسيبعث السيد الكبير فى طلبك دائما.

- ومن قال لك إنه السيد الكبير؟ بل هو جيا يو تسوين الذى طلب مقابلتى.

ضحكت شيانغ يون وقالت:

- حين تجتمع لصاحب الدار كل معانى الخير يكثر زائروه! وما دام جيا يو تسوين يجد بغيته عندك، فسيحرص دائما على رؤيتك.

- كفى، كفى، كفى. أنا لست من ذلك فى شىء، إن أنا إلا رجل بسيط، بل أبسط البسطاء جميعا، كما إننى أرفض أن تكون لى صلة بأمثال هذا الرجل.

قالت شى شيانغ يون:

- لقد كبرت الآن، فإن كنت راغبا فى دخول الامتحان الامبراطورى لشغل أحد المناصب الهامة فعلى الأقل أن تحرص على مقابلة ذوى المناصب والتحدث معهم فى علم سبل التوظيف بالدولة، والتقرب اليهم ومجاملتهم، عسى أن تجد لنفسك بينهم صديقا. طوال العام وأنا لا أراك إلا جالسا وسط البنات لا تفعل شيئا.

ما إن سمع باو يو هذا حتى قال:

- اذهبى واجلسى فى غرفة أخرى من غرف البنات يا آنسة، اذ أخشى على علمك فى سبل التوظيف بالدولة أن يتلوث

فى هذه الغرفة.

قالت شى رن:

- دعيك من هذا الكلام يا آنسة يون، ففى المرة السابقة قالت له الآنسة باو نفس الكلام، فما كان منه إلا أن تنحنح وخرج دون أن يكترث بما سيسببه لها ذلك من احراج. لم تكن الآنسة باو قد انتهت من كلامها حين رأته يترك لها المكان ويخرج. شعرت فى الحال بالخجل ولم تدر أ تواصل حديثها أم تصمت، من حسن الحظ أنها كانت الآنسة باو، فلو كانت الآنسة لين، فمن يدرى؟ كانت ستثور وتبكي. حقا إن موقف الآنسة باو كان يدعو للاحترام. لقد غمغمت بشيء ثم انصرفت. أنا نفسى لم اتحمل الموقف وشعرت بالخجل من أجلها. والغريب أننى حين رأيتها فيما بعد، وجدتها كعادتها وكأن شيئا لم يحدث، حقا إنها فتاة طيبة واسعة الصدر. من يصدق أنه يخاصم فتاة مثلها. لو كانت الآنسة لين لكانت طالبة بأن يعتذر لها عشرات المرات.

أجابها باو يو قائلا:

- إن الآنسة لين لا تتحدث فى هذه السخافات أبدا، ولو فعلت لقاطعتها منذ زمن.

أومأت شى رن وشى شيانع يون برأسيهما ضاحكتين وقالتا:

- أ تعد هذا الكلام سخفا؟

علمت لين داى يو بوجود شى شيانغ يون، وأن باو يو لا بد وأنه أسرع اليها كى يرى وحيد القرن الذهبى الذى معها، فساورتها الهموم وراحت تفكر أن معظم القصص العاطفية التى

قرأها باو يو فى الآونة الأخيرة تدور حول فتيان وفتيات يقعون فى الحب ثم يتزوجون بسبب أشياء صغيرة تجمع بينهما، كبط المندرين والعنقاوات والمناديل الملونة، والشرائط الحريرية المزينة بصور العنقاوات. فخشيت أن يكون وحيد القرن الذهبى الذى يمتلكه باو يو سببا فى وقوعه فى حب شى شيانغ يون التى لديها واحد مماثل. فتسللت نحوهم لتعرف حقيقة الأمر. فما إن اقتربت منهم حتى فوجئت بشى شيانغ يون تتكلم عن علم التوظيف فى الدولة، وسمعت باو يو وهو يقول لها إن الآنسة لين لا تتحدث فى هذه السخافة أبدا، ولو فعلت لقاطعتها منذ زمن. عندئذ انتابتها مشاعر متضاربة، مزيجة من الفرح والحزن والدهشة. سرها أنه كان عند حسن ظنها به، فلقد كانت دائما تشعر بأنه قريب منها، وها هى اليوم تدرك أنها كانت على حق. وأدهشها أن تراه يتباهى بمشاعره نحوها على الملأ. كان أحرى به أن يكتم مشاعره العميقة عن الآخرين. وأحزنها أنه ما دام التقارب بينهما موجودا، فما الداعى للكلام عن ارتباط الذهب باليشب. وإذا كان لا بد من ارتباطهما، فلم لم تكن هى صاحبة "الولاية" الذهبية بدلا من باو تشاى؟ وزاد من حزنها أنها قد فقدت والديها فى سن مبكرة، وليس لديها من تفتح له قلبها، وتشكو اليه حالها. لقد اشتد عليها المرض فى الفترة الأخيرة من فرط قلقها وتفكيرها الدائم. ويخشى الأطباء أن تصاب بالسل من شدة هزالها. مع أن لها فى هذه الدنيا من يفهمها وتفهمه، إلا أنها لن تعيش طويلا. فما حيلتها وعمرها قصير؟ انهمرت دموع لين داى يو عندما بلغ بها التفكير الى

هذا الحد. خرج باو يو بعجل بعد تغيير الملابس، فرأى داى يو تمشى فى الأمام على مهل، وفى عينيها آثار دموع، فلحق بها باو يو وسألها مازحا:

- الى أين أنت ذاهبة يا ابنة عمتى؟ وما لك تبكين ثانية؟ من الذى أساء اليك هذه المرة؟

اغتصبت لين داى يو ضحكة وقالت:

- أنا بخير. من قال لك اننى كنت أبكى؟

قال باو يو ضاحكا:

- أ تكذبين ودموعك لم تجف بعد؟

قال ذلك وهو يرفع يديه -دون أن يدرى- ويمسح دموعها.

تراجعت لين داى يو خطوات وقالت غاضبة:

- عليك اللعنة، ماذا تفعل؟ كيف تجرؤ وتلمسنى؟!

ضحك باو يو وقال:

- أ تصبين على اللعنات؟ إننى أموت فى الحديث معك فنسيت ومددت يدى نحوك.

- أنا لا يعنينى موتك فى شىء، كل ما هناك أنك ستفقد "الولاية" الذهبية ووحيد القرن الذهبى!

أثاره قولها هذا فسألها فى انفعال:

- ماذا تقصدين بذلك؟ أ تستنزلين على اللعنات أم تثيرين غضبى؟

عندئذ تذكرت لين داى يو ما كان بينهما بالأمس، فشعرت أنها أخطأت وتمادت فى إثارته. فقالت ضاحكة:

- لا تفعل هكذا! ما هذا؟! لقد نفرت عروقك من شدة الانفعال، وامتلأ وجهك بالعرق.

كانت تكلمه وهى تقترب منه دون وعى، وترفع يدها لتمسح عن وجهه العرق.

ظل يحدق فيها طويلا قبل أن يقول لها:

- اطمئنى.

كلمة واحدة ما إن نطق بها حتى تسمرت لين داى يو فى مكانها، ثم قالت:

- أطمئن؟ على ماذا؟ أنا لا أفهم ماذا تقصد؟

تنهد باو يو قائلا:

- أ حقا لا تفهمين ما أقصد؟ هل من المعقول أن أكون قد أخطأت فى مشاعرى نحوك؟ إذا لم يكن لى مكان فى قلبك، فلك أن تغضبى منى دائما.

- أنا فعلا لم أفهم كلامك، ولست أدرى ماذا قصدت بقولك لى اطمئنى.

أومأ باو يو برأسه وتنهد قائلا:

- لا تثيرينى يا ابنة عمتى. فلو كنت حقا لا تفهمين، فإن اهتمامى بك دائما قد ضاع سدى، وآمالى فيك قد خابت. إن جسدك قد أصابه المرض لأنك دائمة القلق. ولو أنك تأخذين الأمور ببساطة وسعة صدر لما كان مرضك يزداد وطأة يوما بعد يوم.

وقع كلامه عليها كالصاعقة، لقد أدركت من تفكيره هذا انه

يعرف خبايا نفسها أكثر مما تعرف هى. رغبت فى أن تقول له أشياء كثيرة، وأن تفصح له عما يملأ قلبها، لكنها لم تقل شيئا، بل راحت تحدق فيه فى صمت. وكان هو الآخر يرغب فى أن يقول لها الكثير، لكنه لم يعرف من أين يبدأ، فراح يحدق فيها فى صمت. لبث الاثنان على هذا الحال زمنا طويلا. زفرت لين داى يو زفرة حادة، وراحت دموعها تسيل رغما عنها. ثم استدارت راجعة. فتقدم منها باو يو مسرعا وأمسك يدها ليستوقفها قائلا:

– انتظرى لحظة يا ابنة عمتى. كلمة واحدة سأقولها ثم انصرفى بعدها.

مسحت لين داى يو دموعها بيد، وهى تحاول أن تخلص يدها الأخرى من يده وقالت:

– ليس هناك ما يقال. لقد عرفت ما تريد أن تقول منذ وقت طويل.

قالت ذلك ثم انصرفت دون أن تلتفت اليه.

وقف باو يو مشدوها، كان قد خرج مسرعا فنسى أن يأخذ مروحته. خشيت عليه شى رن من حرارة الجو فأخذت المروحة وأسرعت كى تلحق به وتعطيه إياها. رفعت رأسها فأبصرته واقفا مع لين داى يو. وبعد لحظة انصرفت لين داى يو وظل هو واقفا فى مكانه دون حراك. أسرعت شى رن نحوه قائلة:

– نسيت أن تأخذ مروحتك، ولحسن حظك أننى انتبهت لذلك ولحقت بك كى أعطيها لك.

كان باو يو شاردا فلم يدر من تخاطبه، فأمسك بشى رن

قائلا:

- ابنة عمتي العزيزة، لم أجرؤ من قبل أن أبوح لك بمكنون صدري. ولكنني اليوم أستجمع شجاعتي وأقوله حتى لو مت في سبيله، إن جسدي سقيم ومع ذلك فلست أجرؤ على أن أطلع أحدا على أمري، ولا يسعني إلا كتمان مشاعري وأنا لن أشفى إلا حين تشفين أنت. إنني حتى في أحلامي لا أنساك.

شعرت شي رن وكأن روحها قد تفرقت من هول المفاجأة فصاحت:

- يا الهي بوذا! أكاد أموت من شدة الفزع. أي كلام هذا الذي يهذي به؟ لا بد أن مسا من الجن قد أصابه ثم ما له واقف هنا دون أن ينصرف؟

أفاق باو يو فجأة، وأدرك أنها شي رن جاءت لتعطيه المروحة، فاحمر وجهه خجلا وخطف المروحة من يدها وانصرف مسرعا. بعد انصراف باو يو غرقت شي رن في تفكير عميق. لا بد أنه كان يقصد لين داي يو بهذا الكلام. فإن كان الأمر كذلك، فسيحدث بينهما ما لا تحمد عقباه. وعندما وصلت بتفكيرها الى هذا الحد، لم تستطع أن تغالب دموعها، ووقفت مشدوهة تفكر فيما ينبغي عمله حتى تجد لهذه الكارثة مخرجا. وبينما هي كذلك أقبلت نحوها باو تشاي، وقالت ضاحكة:

- فيم وقوفك شاردة تحت هذه الشمس الحارقة؟

اغتصبت شي رن ضحكة وقالت:

- أبدا، استوقفني منظر لطيف لعصفورين يتشاجران.

سألتها باو تشاى قائلة:

– أين كان أخى باو ذاهبا؟ لقد رأيته منذ قليل بملابسه الرسمية، وكدت أستوقفه وأسأله، ولكنه هذه الأيام مشوش على غير عادته، لذلك عدلت عن سؤاله وتركته ينصرف.

– طلبه السيد الكبير.

– لماذا يريده فى مثل هذا اليوم الحار؟ لا بد أنه قد أغضبه ويريد معاقبته؟

– كلا بل هناك ضيف يرغب فى مقابلته.

ضحكت باو تشاى قائلة:

– أى ضيف هذا الذى يخرج فى مثل هذا اليوم الحار بدلا من أن يستريح فى بيته؟

أجابتها شى رن ضاحكة:

– معك الحق!

سألت باو تشاى:

– ماذا تفعل البنت يون عندكم؟

أجابتها شى رن ضاحكة:

– أبدا، كنا نتجاذب أطراف الحديث ثم طلبت منها أن تحشو لى زوجا من النعال كنت قد انتهيت من تفريغه منذ مدة.

تلفتت باو تشاى يمنة ويسرة، ولما استيقنت أنه ليس هناك أحد مقبل نحوهما قالت:

– كيف لمثلك – وأنت ذكية – ألا تدركى ظروف الآخرين؟ إن مظهر البنت يون وما يتردد على ألسنة الناس يبين

أنها لم تعد قادرة على تدبير أى أمر من أمور الأسرة فضلا عن أن أسرتها تحرص على تقليل النفقات، لذا فهم لا يستخدمون من يقوم لهم بأشغال الإبرة، ويصنعون كل شيء تقريبا بأيديهم. إنها في المرات الأخيرة التي جاءت فيها الى هنا، ما إن نصبح بمفردنا حتى تشكو لي من الارهاق الذي تلاقيه في البيت، وعندما كنت أسألها عن أحوال الأسرة كانت عيناها احمرتا وتتمتم بكلمات غير واضحة، وتهم بأن تقول شيئا ثم تعدل عن ذلك وتصمت. إنني أرى أن شأنها في ذلك شأن أى فتاة فقدت والديها في سن مبكرة. حقا إنني أشعر بالأسى من أجلها كلما رأيتها.

صفقت شي رن بيديها قائلة:

– نعم، نعم، هو ما تقولين. ففي الشهر الماضي طلبت منها أن تصنع لي عشر شارات من الفراشات. ومضت أيام قبل أن ترسلها لي قائلة انها صنعتها على عجل، لذا فهي لا تصلح إلا للأماكن البسيطة. ووعدت بأنها حين تأتي للإقامة عندنا في وقت لاحق ستصنع غيرها مما يصلح للمناسبات الخاصة. ومما قلته لي يا آنسة باو أرى أنها خجلت اليوم أن ترد لي طلبي. لم أكن أدرى أنها تعمل حتى ساعة متأخرة من الليل، فلو كنت أعلم لما طلبت منها أن تصنع لي شيئا.

قالت باو تشاى:

– لقد قالت لي في المرة السابقة انها تعمل حتى الساعة الثانية أو الثالثة صباحا، وان قيامها بصنع شيء أو بعض شيء للآخرين يسبب الضيق لجدتها.

قالت شى رن:

- إن السيد الصغير عنيد يصر علـــــى أن أشغال الإبرة صغيرها وكبيرها لا تقوم بها الخادمات العاديات. وأنا لا أقدر أن أقوم بها بنفسى.

قالت باو تشاى ضاحكة:

- دعيك منه ودعى الأخريات يقمن بعمل كل شىء. ثـم قولى إنك أنت التى عملت ذلك بنفسك.

- لن ينطلى عليه ذلك. ليـس أمامـى إلا أن أحشو زوج النعال بنفسى إذن.

قالت باو تشاى:

- لا داعى لأن تتعبى نفسك. ما رأيك لو قمت أنا بذلك بدلا منك.

ضحكت شى رن وقالت:

- أ يمكنك ذلـك حقا! إن ذلـك لمـن دواعـى سرورى. سأحضره لك فى المساء إذن.

وبينما هما تتحدثان، أقبلت نحوهما عجوز تلهث قائلة:

- هل تصدقون أن جين تشوان ألقت بنفسها فى البئر؟!

جفلت شى رن وقالت:

- أى جين تشوان تقصدين؟

- وهل يوجد هنا جين تشوان الأخرى؟ إنها خادمة السيدة بالطبع. لا أحد يعرف لماذا طردتها السيدة منذ أيام فراحت تبكى ليل نهار دون أن يعيرها أحد التفاتا، ثم اختفـت فجأة ولـم يعد

أحد يراها. واليوم بينما كان أحدهم يسحب الماء من البئر الذى فى الركن الجنوبى الشرقى، فوجئ بجثة فى الماء، فأسرع واستدعى من يعاونه فى إخراج الجثة التى تبين أنها جثة جين تشوان. حاول أهلها جاهدين أن يعيدوها الى الوعى، ولكنها كانت قد فارقت الحياة.

قالت باو تشاى:

- يا له من أمر عجيب!

هزت شى رن رأسها، وتنهدت فى أسى، وتذكرت جين تشوان وأيامهما معا، فسالت الدموع من عينيها.

غادرت شى رن المكان، أما باو تشاى فقد ذهبت مسرعة الى السيدة وانغ لتسرى عنها.

وصلت باو تشاى الى حيث تقيم السيدة وانغ فوجدت الصمت يخيم المكان، والسيدة وانغ تجلس فى غرفتها وحيدة تذرف الدمع. جلست باو تشاى بجانبها، ولم تقو على الإشارة لأمر جين تشوان.

سألتها السيدة وانغ قائلة:

- من أين أقبلت؟

- من الحديقة.

قالت السيدة وانغ:

- من الحديقة؟ هل رأيت باو يو؟

- رأيته منذ قليل، كان يرتدى ملابسه الرسمية، ولست أدرى أين كان ذاهبا.

هزت السيدة وانغ رأسها وقالت وهى تبكى:

- أسمعت بما حدث؟ جين تشوان ألقت بنفسها فى البئر.

قالت باو تشاى:

- هكذا؟ بدون سبب؟ إنه لأمر غريب.

قالت السيدة وانغ:

- منذ أيام أتلفت لى شيئا، فضربتها فى ثورة غضبى وطردتها. كنت أنوى أن أعاقبها بضعة أيام ثم أعيدها مرة أخرى. لم أتصور أن يبلغ بها الحزن الى الحد الذى جعلها تلقى بنفسها فى البئر، أنا السبب.

تنهدت باو تشاى وقالت:

- يا خالتى! إنك طيبة القلب مرهفة الحس، ولذلك تفكرين على هذا النحو. لا أعتقد أنها ألقت بنفسها فى البئر حزنا وغضبا. أغلب الظن أنها كانت تلهو أمام البئر، فتعثرت قدماها وسقطت فيه. وإن كانت ألقت بنفسها فى البئر حزنا لكانت حمقاء ولا تستحق أن يشعر أحد بالأسف من أجلها.

هزت السيدة وانغ رأسها قائلة:

- رغم كل ما قلته، فلا زلت أشعر بالذنب.

تنهدت باو تشاى قائلة:

- هونى عليك يا خالتى، يكفى أن تعطى لأسرتها مزيدا من الفضة.

قالت السيدة وانغ:

- منذ قليل أرسلت لأسرتها خمسين قطعة من الفضة،

وكنت أنوى أن أرسل اليها ثوبين جديدين من ثياب أخواتك ليكفنوها بهما. لكن الخادمة مينغ أخبرتنى أن أخواتك للأسف ليس لديهن أى ثياب جديدة سوى الثوبين الجديدين اللذين أعدتهما الأخت لين للاحتفال بعيد ميلادها، ولما كنت أعرف أنها مرهفة الحس، كثيرة المرض، لذا ليس من الحكمة أن نجعل من ثوبى عيد ميلادها كفنا لخادمة. فقد أمرت الخياطين أن يسرعوا بحياكة ثوبين جديدين. لو كانت خادمة أخرى لاكتفيت بإعطاء أسرتها بضع قطع فضية. لكن الأمر مع جين تشوان يختلف. صحيح أنها خادمة، ولكننى كنت أعاملها كما لو كانت ابنتى.

قالت باو تشاى:

- يا خالتى! لا داعى لحياكة ملابس جديدة، لدى ثوبان جديدان كنت قد صنعتهما منذ وقت قريب. خذيهما لها. أ ليس هذا أفضل؟ لقد كانت فى حياتها ترتدى ثيابى القديمة فقياساتنا متقاربة.

قالت السيدة وانغ:

- ولكننى أخشى أن تجدى فى ذلك ما يجلب عليك الحظ السيء.

أجابتها باو تشاى قائلة:

- اطمئنى يا خالتى، أنا لا أعتقد فى هذه الخرافات.

قالت ذلك وهى تنهض وتتأهب للانصراف، فأمرت السيدة وانغ أن ترافقها اثنتان من الخادمات.

وبعد فترة قصيرة عادت باو تشاى ومعها الثوبان، لم تر سوى

باو يو جالسا بجوار السيدة وانغ وهو يبكى. كانت السيدة وانغ تكلمه، وما إن رأت باو تشاى مقبلة حتى صمتت. خمنت باو تشاى الموقف من سماتهما فسلمت الثوبين للسيدة وانغ وانصرفت. استدعت السيدة وانغ أم جين تشوان وأعطتها الثوبين. والبقية فى الفصل التالى.

الفصل الثالث والثلاثون
الأخ يسىء لأخيه عمدا
والابن الفاشل يعاقب بالضرب

استدعت السيدة وانغ أم جين تشوان وأعطتها بضعة أساور ودبابيس يشبية للشعر كما طلبت من بعض الرهبان أن يقرأوا على روح ابنتها من الكتاب المقدس. فسجدت الأم الثكلى للسيدة وانغ شكرا ثم انصرفت. سمع باو يو وهو عائد - بعد أن فرغ من مقابلة يو تسوين - بما جرى لجين تشوان، وكيف أنها ألقت نفسها فى البئر خزيا وحزنا. شعر باو يو بألم يمزق أحشاءه. وفور دخول البيت أخذت أمه فى تقريعه، وهو صامت لا ينطق بكلمة. لم يخلصه من تقريع أمه سوى وصول باو تشاى، فخرج مسرعا لا يدرى أين يذهب. أخذ يمشى ببطء وهو يتنهد عاقدا يديه خلف ظهره، ومطرقا برأسه. قادته قدماه الى قاعة الاستقبال، وما إن دار حول "البارفان" الموجود هناك حتى اصطدم برجل فى طريقه الى الداخل، صاح به الرجل:

– قف!

جفل باو يو ورفع رأسه. لم يكن الرجل سوى أبيه جيا جينغ. شهق باو يو مذعورا ووقف وذراعاه الى جانبيه.

قال جيا جينغ:

– ماذا بك حتى تطرق برأسك وتتنهد هكذا؟ منذ قليل جاء يو تسوين، وطلب أن يراك، فأرسلت اليك، فلم تأت الا بعد مضي وقت طويل. ولما جئت، لم تكن على ما يرام، إذ لم تكن لبقا طلق اللسان على الإطلاق، بل بادي الاعياء والفتور. وإني أراك حزينا مهموما شارد الفكر. وها أنت الآن تتنهد في حزن. فماذا يضايقك؟ إن لم يكن هناك سبب لذلك فما الأمر إذن؟

كان باو يو بطبعه طلق اللسان، سلس الكلام ولكنه في ذلك الوقت كان حزينا لما جرى لجين تشوان، حتى ود لو يقتل نفسه ويلحق بها. لذا لم يع شيئا مما قاله أبوه، وظل واقفا في مكانه ساهما.

لم يكن جيا جينغ غاضبا من باو يو في شيء. لكنه لما رآه مذعورا وعلى غير عادته في رده عليه، تملكه الغضب، وهم بأن يقول له شيئا. لكن حاجبا أقبل فجأة وأخطره بوصول شخص من قبل أسرة الأمير تشونغ شوين يرغب في مقابلة السيد الكبير. سمع جيا جينغ ذلك فتملكته الحيرة، وراح يتساءل في قلق:

– ترى لماذا يرسل الأمير الى أحدا من طرفه اليوم وليست بيننا وبينه اتصالات أو زيارات؟!

كان جيا جينغ يفكر وهو يصدر أوامره بسرعة لاستقبال

الضيف. وخرج مسرعا ليرى ما الأمر. فوجد المبعوث هو الضابط المنوط بالشئون الداخلية لأسرة الأمير. أدخله قاعة الاستقبال، وقدم له الشاى، وقبل أن يقول جيا جينغ شيئا بادره الضابط قائلا:

- إننى لم آت اليوم الى قصركم المعظم من تلقاء نفسى، وإنما بأمر من الأمير. إننى لأجل خاطر سيدى الأمير جئت لسيادتكم فى حاجة له، فأنت سيدى، وأنا لكم من الشاكرين إذا ساعدتنى.

كاد عقل جيا جينغ أن يطير من شدة التحير، قام وسأل الضابط ضاحكا:

- لقد جئت الينا فى أمر للأمير. لكننى لست أدرى ما هو. أرجو أن تزيدنى إيضاحا وسأبذل قصارى جهدى فى تنفيذه.

ضحك الضابط فى برودة قائلا:

- لا حاجة لسيادتكم لبذل شىء من الجهد. هى جملة واحدة وينتهى الأمر. فى قصر الأمير ممثل صغير يؤدى أدوار الفتيات يدعى تشى قوان. هذا الممثل كان يعمل فى القصر منذ مدة طويلة دون أية مشكلة. ثم اختفى فجأة منذ ثلاثة أسابيع. وبحثنا عنه فى كل مكان، فلم نعثر له على أثر ولما قمنا بتحريتنا الدقيقة، أجمع ثمانية أشخاص من كل عشرة قابلناهم فى هذه المدينة على أن تشى قوان كان فى الفترة الأخيرة وثيق الصلة بابنكم ذى اليشبة فى فمه. لم يسعنى بعد سماعى ذلك سوى أن أرفع الأمر لسيدى الأمير، فقصركم المعظم ليس كسائر البيوت، وإلا لكنت اقتحمته وفتشت فيه مباشرة. ولما علم سيدى الأمير

بالأمر قال لي: لو كانوا مائة ممثل غير تشى قوان لما اكترثت لغيابهم. لكن الأمر يختلف مع تشى قوان، فهو يفعل كل ما يطلب منه، فضلا على أنه شديد الحرص والإخلاص. لذا فهو أثير لدى قريب من قلبى، ولا يمكنتى أن أستغنى عنه.. لذلك أرجو من سيادتكم أن تطلبوا من ابنكم أن يعيد تشى قوان حتى يطمئن قلب الأمير، وأتجنب أنا مشاق البحث والتحرى.

قال الضابط ذلك ثم انحنى لجيا جينغ.

ما إن سمع جيا جينغ ذلك حتى تملكته الدهشة واستشاط غضبا، أمر باستدعاء باو يو فى الحال. لم يكن باو يو مدركا السبب فذهب مسرعا. وما إن رآه أبوه حتى انفجر فيه قائلا:

– أيها العبد اللعين! ألا يكفيك أنك تمكث فى البيت ولا تتعلم حتى تأتى بهذه الأفعال المشينة فى الخارج؟ إن تشى قوان يعمل لدى الأمير تشونغ شوين. فمن أنت أيها الحقير التافه حتى تسول له الهرب وترك الأمير؟ لقد جلبت على المصائب بفعلتك هذه!

جفل باو يو وأجاب قائلا:

– إننى لا أعرف شيئا عن هذا الأمر. بل إننى لا أعرف من تشى قوان هذا الذى تتكلمون عنه. فكيف أسول له الهرب؟!

قال ذلك ثم انفجر فى البكاء.

قبل أن ينطق جيا جينغ بكلمة، ضحك الضابط فى برودة قائلا:

– لا داعى للكتمان أيها النبيل. فإن لم يكن تشى قوان

مختبئا فى قصرك، فعلى الأقل أنت تعرف أين يمكنني أن أجده. لو بكرت فى إخبارى بمكانه، لجنبتنى كثيرا من المشاق، ولن أنسى لك هذا الصنيع أبدا.

اصر باو يو على أنه لا يعرف شيئا قائلا:

- أخشى أن ما سمعته ليس إلا إشاعات لا أساس لها من الصحة.

ضحك الضابط فى تهكم قائلا:

- أ تصر على الإنكار رغم وجود الدليل؟ أنا لا أريد أن أتكلم فى حضور والدك حتى لا أسبب لك حرجا. إن لم تكن تعرف تشى قوان كما تقول، فمن أين لك بحزامه الأحمر الذى تلفه حول خصرك؟

بهت باو يو وأخذ يفكر: كيف عرف هذا؟ ما دام يعرف هذه التفاصيل الدقيقة فلا فائدة من كتمان الباقى عنه. الأفضل أن أصرفه من هنا قبل أن يقول أكثر مما قال.

قال باو يو:

- إن كنتم تعرفون مثل هذه التفاصيل الدقيقة، فكيف لا تعرفون أمرا هاما كشرائه عقارا. لقد سمعت أنه اشترى أرضا وبيتا فى مكان اسمه قلعة زى تان باو أو شىء من هذا القبيل فى شرق المدينة على بعد عشرة كيلومترات منها. قد يكون هناك الآن.

عندئذ ضحك الضابط قائلا:

- لا بد أنه هناك ما دمتم تقولون ذلك. سأذهب الآن الى هناك فإن وجدته كان خيرا وبركة. وإن لم أجده فسأعود اليكم مرة

أخرى لأسترشد بكم.

قال الضابط ذلك ثم انصرف مسرعا.

جحظت عينا جيا جينغ والتوى فمه من شدة الغضب. التفت الى باو يو وهو فى طريقه لتوديع الضابط، وقال له فى لهجة آمرة:

- ابق هنا، ولا تتحرك، فلى معك كلام حين أعود.

فرغ جيا جينغ من توديع الضابط، وقفل راجعا. فإذا به رأى ابنه جيا خوان وهو يركض مع جماعة من الغلمان. غضب جيا جينغ غضبا شديدا وصاح فى الغلمان:

- اضربوه! اضربوه!

رأى جيا خوان أباه، فتمكنه الذعر، ووقف فى مكانه مطرقا. سأله أبوه:

- ما الذى يجريك هكذا؟ ثم هؤلاء الذين كان عليهم أن يعتنوا بك، أين ذهبوا وتركوك تجرى هكذا كالحصان البرى؟

رأى جيا خوان أباه فى أوج غضبه، فقال مبررا:

- أنا -فى بادئ الأمر- لم أكن أجرى، ولكننى لما مررت بذلك البئر الذى غرقت فيه الخادمة، ورأيتها وقد تضخم رأسها، وانتفخ جسدها من الماء، تملكنى الرعب. فقد كان منظرا مرعبا حقا. لذا أخذت أجرى وأجرى حتى وصلت الى هنا.

قال جيا جينغ مذهولا:

- من الذى يلقى بنفسه فى البئر وكل شىء على ما يرام؟! لم يحدث من قبل مثل هذا الأمر قط. فمنذ عهد أجدادنا ونحن نحسن معاملة الخدم. يبدو أننى فى الآونة الأخيرة قد أهملت

شئون الأسرة. فلم يكن من القائمين بإدارة شئون الأسرة إلا أن يستغلوا سلطتهم فى البطش بالخدم حتى وصل الأمر الى مثل هذه الفاجعة التى أودت بحياة إنسان. آه لو سمع أحد من الخارج بهذا! لتلطخ اسم العائلة.

أمر جيا جينغ غلمانه باستدعاء جيا ليان، ولايدا، ولاى يشين بسرعة. وما إن انصرفوا لتنفيذ أمر سيدهم حتى أمسك جيا خوان بكم عباءة أبيه وجثا على ركبتيه قائلا:

- اطمئن يا أبتاه، فإن أحدا لا يعلم بهذا الأمر مثل الخادمات اللاتى بغرفة السيدة وانغ. لقد سمعت أمى تقول...

تلفت جيا خوان حوله، ففهم الأب، ورمق الخدم بنظرة تراجعوا على اثرها على الفور عندئذ همس جيا خوان قائلا:

- اخبرتنى أمى بانه منذ أيام حاول أخى باو يو فى غرفة السيدة وانغ أن يغتصب الخادمة جين تشوان. فلما قاومته ضربها. فألقت بنفسها فى البئر لإحساسها بالظلم والغضب.

اصفر وجه جيا جينغ من شدة الغضب وصاح قائلا:

- أحضروا باو يو هنا حالا.

اتجه نحو غرفة مكتبه وهو يصيح:

- لو حال بيني وبينه اليوم أحد، لتركت له الأسرة وشاراتى وكل ما أملك وليبق هو مع باو يو. أما أنا فسأحلق رأسى، وأبحث لى عن مكان طاهر أعتزل فيه العالم، وأصبح راهبا كى أكفر عن خطيئتى. إذ أنجبت مثل هذا الابن العاق الذى جلب العار على السلف والخلف.

رأى المتجمهرون من الحاشية والغلمان منظر جيا جينغ الثائر، فقدروا أنه بسبب باو يو مرة اخرى. تراجعوا على الفور وشفاههم ترتعش خوفا.

ارتمى جيا جينغ فوق أحد المقاعد وهو منتصب الظهر، صدره يعلو ويهبط من شدة الانفعال، وصاح في جمل متلاحقة:

– أحضروا باو يو! أحضروا عصا غليظة! وأوصدوا الأبواب جيدا. وحذار أن ينقل أحدكم الخبر الى من بالحرملك، وإلا قتلته ضربا.

لما سمع باو يو أباه يأمره بأن يبقى في مكانه، قدر أن في الأمر ما يسوءه. مع أنه لم يكن قد عرف بعد أن أخاه زاد الأمر سوءا بما أفضى به لأبيه. أخذ باو يو يذرع قاعة الاستقبال ذهابا وإيابا في قلق، وهو يترقب أحدا داخلا الى الحرملك حتى ينقل الخبر الى الحريم فيأتي منهن من ينجده. وبينما باو يو هكذا، قلق يأمل ويترقب، إذا بعجوز تقبل. وكأنه عثر على جوهرة ثمينة أمسك بها وقال في انفعال:

– اذهبي الى الحرملك. وأخبريهن أن أبي سيضربني. أسرعي! بدون تأخير، بدون تأخير!

لم يكن كلام باو يو واضحا من شدة انفعاله، فضلا عن أن حظه العاثر ألقى اليه بعجوز صماء، سمعت "بدون تأخير" وفهمت "غرقت في البير"، فقالت ضاحكة:

– لقد غرقت في البير وانتهى الأمر فما الذي يخشاه سيدي الآن؟

أدرك باو يو أنها صماء فازداد انفعالا وقال لها:

- اذهبي واستدعي غلامي على عجل!

فقالت العجوز:

- ما العمل؟ ما العمل وفي ماذا؟ لقد انتهى الأمر وكل شيء على ما يرام. لقد أعطت سيدتي أسرتها ثيابا وفضة. فماذا هناك بعد ذلك إذن؟

أخذ باو يو يضرب الأرض بقدميه من فرط التوتر والانفعال. وهو حائر لا يجد مخرجا. ولم يجد مفرا من الذهاب مع غلام أبيه حين جاء لاصطحابه. تطاير الشرر من عيني أبيه حين رآه، ودون أن يشير الى تسكعه مع الممثلين وتبادله وإياهم الهدايا، أو يشير الى إهماله دراسته ومحاولته اغتصاب خادمة أمه صاح بغلمانه:

- سدوا فمه! واضربوه حتى الموت.

لم يجرؤ الغلمان على عصيان أمر سيدهم، واضطروا الى تمديد باو يو على مقعد خشبي وأمسكوا به جيدا، في حين راح أحدهم يضربه بعصا غليظة. ضربه الغلام بضع عشرة ضربة. لكن هذا الضرب خفيف، لم يرق جيا جينغ الغلام الذي يحمل العصا، وانتزعها منه،ثم انهال على باو يو بالضرب المبرح وهو يصر على ضربه أكثر من ثلاثين ضربة حتى خشي الحاضرون أن يقضي هذا الضرب العنيف بباو يو الى الهلاك. فأسرعوا بالتدخل محاولين تخليص باو يو من بين يديه والتشفع له. لكن جيا جينغ ما كان ليسمع لأحد منهم في ذلك الحين، بل صاح فيهم جميعا:

- اسألوه إن كانت أفعاله المشينة تستحق الصفح أو لا. لقد

أفسدتموه بتدليلكم. حتى وصل به الأمر الى هذا الحد ومع ذلك لا زلتم تتشفعون له. ترى أ تتشفعون حين يقتل الأمير أباه؟

شعر الحاضرون بالحرج إزاء كلامه هذا، وأدركوا أنه ثائر جدا، ولا سبيل أمامهم سوى أن يرسلوا أحدهم الى الحرملك كي يبلغهن بما يجرى. لما سمعت الأم بالأمر لم تنتظر ريثما تبلغ الجدة بل ارتدت ثيابها على عجل، واندفعت نحو غرفة المكتب بسرعة غير عابئة بوجود هذا الحشد من الرجال. ودون أن يتسع الوقت للحاضرين كي يفسحوا لها الطريق.

ما إن دخلت السيدة وانغ الغرفة، حتى ازداد جيا جينغ غضبا وثورة. وانهالت ضرباته على باو يو أكثر عنفا وسرعة. ترك الغلامان اللذان يمسكان بباو يو أيديهما عنه، لكنه كان عاجزا تماما عن الحركة. هم أبوه بمعاودة ضربه، لكن أمه أمسكت بالعصا بكلتا يديها. فقال لها جيا جينغ:

– كفى، كفى. إنكم لن تستريحوا ويهدأ بالكم إلا إذا أجهزتم على اليوم.

فقالت الأم وهى تبكى:

– إن باو يو يستحق الضرب حقا. لكن لا داعى لأن تثقل على نفسك يا سيدى. فاليوم حار جدا، والجدة ليست على ما يرام. إن قتل باو يو لأمر تافه. لكن إزعاج السيدة الكبيرة ليس بالأمر الهين.

ضحك جيا جينغ فى تهكم قائلا:

– وفرى كلامك لنفسك. لقد أخطأت بإنجاب هذا الابن

التافه الفاسد العاق، وحين أهم بتأديبه، إذا بكم جميعا تهبون لحمايته. لا بد من شنقه اليوم حتى أجنب نفسي ما سيجلبه على من متاعب غدا.

قال ذلك ثم أمر بحبل كي يشنقه به.

طوقته زوجته بذراعيها وتضرعت اليه وهى تبكى قائلة:

– لك الحق يا سيدى فى أن تؤدب ابنك كما تشاء، ولكن اشفق على زوجتك. فقد تجاوزت الخمسين من عمرى، وليس لى فى الدنيا سوى هذا الابن الفاسد. أنا لن أجرؤ على الاعتراض إن عاقبته بشدة. أما إن قتلته قتلتنى معه. فإن كنت عازما على شنقه، لن يشكو أحد منا، يكفينا أن نكون أنا وهو معا فى العالم الآخر.

زفر جيا جينغ زفرة حارة، وارتمى على أحد المقاعد ودموعه تجرى.

ضمت الأم ولدها الى صدرها، فراعتها نفسه الواهنة، ووجهه الشاحب، وثيابه الداخلية الخضراء وقد امتلأت دما. حلت ثيابه بسرعة فإذا بساقيه وردفيه مزرقان وليس فيهما موضع يخلو من جرح أو كدمة. عندئذ لم تتمالك نفسها من الصياح والبكاء:

– يا ولدى المسكين!

وبينما هى تبكى وتصيح تذكرت فجأة ابنها البكرى جيا جو فصاحت تبكيه:

– آه يا ولدى! لو كنت حيا لما اكترثت ولو مات مائة من الآخرين.

كان من بالحرملك قد سمع بخروج السيدة وانغ. فأسرعت لى قون تساى، ووانغ شى فينغ والأختان يين تسون وتشوي تسون أسرعن جميعا في إثرها. كان ذكر السيدة وانغ ابنها البكرى وبكاؤها عليه محتملا على الجميع إلا على زوجته لى قون تساى التى ما إن سمعت حماتها تذكره حتى انفجرت فى البكاء الأمر الذى جعل جيا جينغ يبكى بحرقة. وبينما الحال هكذا إذا بخادمة تصيح:

– لقد جاءت السيدة الكبيرة.

عندئذ سمع الحاضرون صوتا يرتعش من خلف النافذة يقول:

– اقتلنى أنا أولا، ثم اقتله. أ ليس هذا أفضل؟

رأى جيا جينغ أمه قادمة، فشعر بمزيج من الألم والانفعال. خف لاستقبالها، فرآها تمشى مستندة على إحدى الخادمات وهى تلهث. انحنى جيا جينغ أمامها وقال ضاحكا:

– ما الذى أغضبك يا أماه حتى خرجت فى مثل هذا اليوم الحار؟ إن كان لديك كلام رغبت فى أن تقوليه، فلم لم ترسلى لولدك وتأمريه بما تشائين؟

توقفت الأم عن السير، وتنهدت، ثم قالت فى لهجة صارمة:

– أ تكلمنى أنا؟ نعم. لدى ما أرغب فى قوله، ولكن إذ لم أرزق بابن بار، فالى من أذهب ومع من أتكلم؟

لم يحتمل جيا جينغ سخرية أمه وتقريعها له، فجثا على ركبتيه وقال ودموعه تنهمر:

– كيف أحتمل ما تقولين يا أماه، وأنا لم أفعل ما فعلت

إلا تأديبا لولدى حرصا على شرف العائلة؟

بصقت الأم بصقة، وقالت له ودموعها تسيل:

– أنت لا تحتمل منى كلمة، فكيف يحتمل ابنك عصاك المميتة؟ نعم، إنك ما ضربته إلا تأديبا له حرصا على شرف العائلة. فكيف كان يؤدبك أبوك؟

قال لها جيا جينغ ضاحكا:

– لا تغضبى منى يا أماه، لقد فقدت أعصابى وضربته فى ثورة غضب. أعدك ألا يتكرر ذلك مرة أخرى.

ضحكت الأم فى برودة قائلة:

– إياك أن تفقد أعصابك معى وتثور على فى لحظة غضب. إنه ابنك وأنت حر فيه. أرى أنك تكرهنا جميعا. لذا من الأفضل أن نرحل فورا ونترك لك المكان لتستريح منا.

ثم أصدرت أوامرها للخدم بإعداد الهودج قائلة:

– سنعود أنا وسيدتكم وباو يو الى نانكين فورا.

لم يملك الخدم إلا التظاهر بالطاعة.

ثم التفتت الجدة الى زوجة ابنها وقالت لها:

– لا تبك. لم تعذبين نفسك من أجل باو يو وهو لايزال صغيرا الآن؟ إنه عندما يكبر، ويصبح رجلا ذا شأن، لن يقيم لأمه وزنا. لاتعذبى نفسك من أجله الآن حتى تجنبى نفسك العذاب فيما بعد.

جثا جيا جينغ أمام أمه، وقال لها وهو يبكى:

– أماه! إن قولك هذا يجعلنى أتمنى لو تنشق الأرض

وتبتلعنى.

ضحكت الأم فى برودة قائلة:

– بل أنت الذى جعلتنى بفعلتك هذه أتمنى لو تنشق الأرض وتبتلعنى. ومع ذلك تقول أن كلامى أنا جعلك كذلك. حسن! سنعود الى نانكين حتى تستريح منا، وسترى من ستضرب بعد ذلك.

كانت الجدة تتكلم وهى تصدر أوامرها بسرعة إعداد الأمتعة والهودج للرحيل بينما كان جيا جينغ يتوسل اليها طالبا الصفح.

كانت الجدة تتكلم وقلبها مشغول على باو يو. أسرعت اليه فراعها أن تجد الضرب هذه المرة أقسى وأشد من كل المرات السابقة. ازدادت ألما وغضبا واحتضنت باو يو وأخذت تبكى بكاء حارا. ثم أمرت الخادمات بأن يرسلن باو يو الى غرفتها. هنا راحت السيدة وانغ شى فينغ تقول غاضبة:

– أيتها الحمقاوات، أ ليس لكن نظر؟ بعد كل هذا الضرب وأنتن منتظرات منه أن يمشى؟ اذهبن بسرعة وأحضرن تلك الأريكة الى هنا وارفعنه اليها!

استجابت الخادمات للأمر بسرعة وأحضرن الأريكة، ثم رفعن باو يو اليها وانطلقن به الى غرفة الجدة، وهى معهن ترافقها السيدة وانغ.

لم يجرؤ جيا جينغ فى ذلك الوقت على الانصراف لشئونه، وهو يرى أمه لا تزال غاضبة منه. دخل الى الحرملك ولحق بها، نظر الى باو يو فرأى أنه قد ضربه حقا ضربا شديدا، فالتفت الى

زوجته وهى تبكى وتصيح:

- يا ولدى! يا فلذة كبدى! ليتك مت بدلا من أخيك جيا جو، حتى تتجنب غضب أبيك، وحتى لا أتعذب أنا كل هذا العذاب وأنا فى منتصف العمر. أما أنا فلو أصابك مكروه يا ولدى وتركتنى، فمن يبقى لى؟ وعلى من أستند؟

كانت الأم تعدد مساوئ ابنها تارة، وتبكيه تارة أخرى.

سمع جيا جينغ بكاء زوجته، فخجل من نفسه وشعر بتأنيب الضمير، فما كان ينبغى له أن ينهال على ابنه بيده القاسية حتى هذا الحد.

حاول جيا جينغ أن يهدأ من أمه، فصاحت فيه والدموع تملأ عينيها:

- ألم تنصرف بعد؟ ما الذى تفعله هنا؟ ألم يكفك ما فعلت حتى جئت لتراه بعينيك وهو يموت؟

سمع جيا جينغ ذلك، فتراجع، وانصرف على الفور.

بعد ذلك جاءت الخالة شيبه ومعها باو تشاى وشيانغ لينغ وشى شيانغ يون وشى رن. شعرت شى رن بالغضب لما جرى لباو يو. لكنها لم تجرؤ على الإفصاح عن شعورها هذا. ولما رأت باو يو محاطا بحشد من الناس، منهم من يصب له الماء، ومنهم من يروح له. أدركت أنه ليس هناك ما يمكنها أن تفعله. فانسلت خارجة حتى وصلت للباب الثانى. أمرت بعض الغلمان باستدعاء بيمين الذى ما إن جاء حتى سألته:

- كان كل شىء على ما يرام، فلماذا ضرب؟ ولم لم

تأت لتبلغنا بالأمر مبكرا ؟

أجابها بيمين قائلا:

– أنا لم أكن هنا، ولم أسمع بالأمر إلا وهو يضرب. أما عن سبب الضرب، فهو الممثل تشى قوان وما جرى للخادمة جين تشوان.

سألته شى رن:

– وكيف عرف السيد الكبير بذلك؟

– الأرجح أن السيد شيبيه بان وراء حكاية الممثل تشى قوان. فهو رجل حقود بطبعه، ولم يجد متنفسا لحقده. فحث أحدهم على أن يخبر السيد الكبير ويشعله نارا، أما عن أمر جين تشوان، فلقد أخبره به السيد الصغير. لقد سمعت رجال سيدى الكبير يقولون ذلك.

اقتنعت شى رن بما قاله بيمين، إذ بدا لها منطقيا ومعقولا. عادت الى باو يو فوجدت الجميع يضمدون له جراحه، ويقدمون له كل ما يحتاج اليه.

أمرت الجدة بنقل باو يو الى غرفتها. نفذ الجميع أمر الجدة، وفى الحال كان باو يو مضطجعا فوق فراشه فى الغرفة الحمراء. وظل الحال هكذا فى هرج ومرج زمنا، ثم تفرق الحاضرون تباعا. ولما انصرفن جميعا، دخلت شى رن اليه لتخدمه وتعتنى به. واستمع أيها القارئ الى ذلك بالتفصيل فى الفصل التالى.

الفصل الرابع والثلاثون

النصيحة الخاطئة من الأخت للأخ
والعاطفة الصادقة من الأخ للأخت

لما انصرفت الجدة والأم، أقبلت شى رن فجلست بجوار باو يو وسألته والدمع يترقرق فى عينيها:

- لم كل هذا الضرب؟

تنهد باو يو قائلا:

- أبدا. ليس هناك من أسباب إلا ما تعرفين. فماذا يفيد السؤال عنها إذن؟ إننى أشعر بألم رهيب فى نصفى الاسفل. فانظرى أى موضع منى قد نال الضرب.

مدت شى رن يدها برفق لتنزع عنه ثيابه الخارجية، فتحرك قليلا، فإذا به يشعر بألم رهيب، وندت عنه آهة. فأوقفت شى رن يدها في الحال. ثم عادت وقررت المحاولة حتى نجحت بعد عدة مرات. فراعها المنظر، رأت فخذيه قد ازرقتا وامتلأت كدمات كل منها فى عرض أربعة أصابع. عضت على أسنانها من الألم وصاحت:

- وا أماه! أى يد قاسية فعلت فيك هذا؟ لو أنك استمعت لى لما حدث لك ما حدث. لحسن حظك أن الضرب لم يصب العصب أو العظام، وإلا لترك فيك عاهة مستديمة.

وهنا سمعت خادمة تعلن عن وصول الآنسة باو تشاى.

أسرعت شى رن بتغطية باو يو بملاءة من طبقتين. دخلت باو تشاى وفى يدها حبة دواء، قدمتها لشى رن قائلة:

- في المساء أذيبي هذه الحبة في الخمر، وادهني له بها مواضع الألم. سيتفرق الدم المتجمع في الموضع المصاب وسيخفف الورم. وسيصبح أخي باو على ما يرام.

تناولت شي رن الحبة من باو تشاي، فسألت الأخيرة باو يو قائلة:

- كيف حالك الآن؟

شكرها باو يو، ودعاها للجلوس ثم أجابها قائلا:

- إنني بخير.

شعرت باو تشاي براحة كبيرة، وهي ترى أن باو يو تحسن تحسنا ملموسا، فقد فتح عينيه وأصبح قادرا على الكلام. فأطرقت رأسها وتنهدت قائلة:

- لو أنك استمعت لنصيحتي في حينها، لما حدث لك ما حدث. إنك لم تسبب الألم لأمك وجدتك فحسب، بل إن الألم مزقنا جميعا ونحن نراك هكذا.

نطقت باو تشاي بهذا، ثم ابتلعت كلامها ولم تتابع، شعرت بالخجل فما كان ينبغي لها أن تتهور في القول الى هذا الحد. احمر وجهها خجلا وأطرقت رأسها.

سمع باو يو ما قالته، فلمس فيه مودة صادقة، ومشاعر عميقة. ثم رآها قد أحجمت عن الكلام، واحمر وجهها خجلا، وأطرقت رأسها، وراحت أصابعها تعبث في حزامها كي تخفي اضطرابها، لم يملك باو يو - إزاء حيائها الفاتن الذى يعجز عنه الوصف - إلا أن يشعر باغتباط وسرور، حتى الآلام التي كان

يكابدها شعر الآن بأنها قد تبددت كلها. قال بينه وبين نفسه:

– كم هو ممتع ومثير للإعجاب والاحترام أن أراهن وقد أبدت الواحدة منهن تلو الأخرى كل هذا الحزن والتأثر من بضع ضربات فقط! فماذا يفعلن إذن لو مت في حادث فجأة؟ ما دمن كذلك، فأنا على استعداد لأن أموت وأترك هذا العالم غير آسف عليه. يكفينى أننى قد نلت حبهن، وتركتهن يشعرن بكل هذا الحزن لفراقى. وأى شبح أحمق سأكون إن لم أعش هانئا فى العالم الآخر عندئذ؟

انتشل باو يو من أفكاره سؤال باو تشاى لشى رن:

– ماذا حدث حتى ضرب كل هذا الضرب؟

نقلت اليها شى رن ما سمعته على لسان بيمين. ولم يكن باو يو يعرف شيئا عما قاله جيا خوان لأبيه، ولم يعرف ذلك إلا عندما سمعه من شى رن فى تلك اللحظة. ولما جاءت شى رن على ذكر شيبه بان – أخى باو تشاى – خشى باو يو أن يسبب لباو تشاى حرجا، فمنع شى رن عن الاسترسال فى الحديث قائلا:

– إن أخى شيبه بان لا يمكن أن يفعل شيئا من هذا. فلا تسيئوا الظن بالآخرين دون دليل.

فهمت باو تشاى أن باو يو قد منع شى رن من الكلام مراعاة لإحساسها. فحدثته فى نفسها قائلة:

– رغم كل هذا الضرب الذى تلقيته والألم الذى تعجز عن احتماله، فلا زلت حريصا كل الحرص على مشاعر الآخرين وعلى ألا تظلم أحدا. ليتك تشغل نفسك بأمور أهم، وتهتم بها قدر

اهتمامك بنا، حتى يرضى عنك أبوك، وحتى لا يحدث لك مثلما حدث لك اليوم. لقد أسكت شي رن خصيصا كي لا تتكلم عن أخي بما يجرح مشاعري، وكأني لا أعرف أخي وطيشه واندفاعه، إنه لا يقيم لأحد وزنا. لقد قلب الدنيا رأسا على عقب في مرة سابقة بما سببه لتشين تشونغ، وإن كان ما حدث اليوم بسببه أكثر بكثير مما حدث في تلك المرة.

ولما وصلت بتفكيرها عند هذا الحد، ابتسمت قائلة:

– لا داعي لأن تلقوا باللوم على هذا وذاك، فأخي باو يو هو الملوم أولا وأخيرا. فهو ليس حسن السير والسلوك، واختلاطه بمن هو دونه قد أثار غضب أبيه عليه. ولما كان أخي شيبيه بان مندفعا في كلامه، فلعله أخطأ مرة وأفلتت منه كلمة في حق باو يو دون عمد، ودون أن يقصد حقا أن يشي به، أو يقلب أباه ضده. هذا مع العلم أن أخي شيبيه بان لم يتجاوز الحقيقة، فضلا عن أنه لا يهتم بمثل هذه الصغائر. إنك يا آنسة شي رن منذ صغرك وأنت ترين باو يو ومدى حرصه على مراعاة مشاعر الآخرين، لم تخبرى شخصا أرعن كأخي، لا يخشى أحدا ولا يقيم لأحد اعتبارا، ولا يحتاط في كلامه إن تكلم. فهو يقول كل ما يخطر بباله دون تدبر أو روية.

لما رأت شي رن أن باو يو قد أسكتها عامدا حين ذكر شيبيه بان، أدركت أنها قد أخطأت في القول، وخشيت أن تكون بغير قصد قد جرحت شعور باو تشاي. فلما سمعت ما قالته الأخيرة تيقنت من خطأها، وتضاعف إحساسها بالخجل والندم. أما

باو يو فقد لمس فى كلام باو تشاى صدقا بدد أى ظل للشك فى نفسه، وجعلـه يشعر بارتياح أكثر مـن ذى قبـل. وحيـن هـم بأن يستأنف الحديث رآها تنهض وتستعد للانصراف قائلة:

– سأعود لرؤيتك غدا. فاعتن بنفسك، وستصبح علـى ما يرام بعد أن تدهن فى المساء من الدواء الذى أعطيته لشى رن منذ قليل.

قالت ذلك ثم انصرفت ترافقها شى رن، حتـى وصلتا الـى خارج الفناء، فقالت لها شى رن:

– شكرا لك يا آنسـة فقد أتعبـت نفسـك كثيرا، ما إن يصبح سيدى بخير حتى يأتى اليك ويشكرك بنفسه.

التفتت اليها باو تشاى وقالت ضاحكة:

– لم أفعل شيئا يستحق الشكر. انصحيـه فقـط بأن يعتنـى بنفسه، وألا يفكر كثيرا، وسيصبح على ما يرام. ولا داعـى لأن يفعل ما من شأنه أن يزعج السيدة الكبيرة أو والدتـه أو غيرهما. فإن وصلت الى مسامع أبيه كلمة، قد يمر الأمر بسلام فى حينها، ولكن فيما بعد عندما تكتشف الحقيقة، وتثبـت صحـة ما قيـل، فسوف يعرض نفسه للأذى.

قفلت شى رن راجعة وهى تشعر بالامتنان لباو تشاى. ولما دخلت على باو يو، وجدته شارد اللب بين اليقظة والنوم، فتركته وذهبت لتغتسل، بينما ظل هو راقدا فى فراشه بلا حراك. فقد كان يشعر بألم رهيب فى نصفه الأسفل كما لو كانت سكاكين تقطعه. حتى أن أقل حركـة منـه كانـت كفيلـة بأن تجعلـه يصرخ ألما.

وعندما حل الظلام، رأى باو يو انه ليس هناك ما يحتاج اليه، فأمر الخادمات الأربع اللاتى بقين لخدمته بعد انصراف شى رن قائلا:

— اذهبن الآن لتغتسلن، وعندما أحتاج لشيء سأستدعيكن.

فتراجعت الخادمات وانصرفن.

كان باو يو مضطرب الذهن، فرأى فيما يرى النائم أن جيانغ يو خان — أى تشى قوان — وقد جاء اليه يخبره بأن الأمير تشونغ شوين يقبض عليه. ثم جاءت اليه جين تشوان، وراحت تبكى وتقول له إنها ألقت نفسها فى البئر بسببه. فشعر وهو بين اليقظة والنوم بضيق واختناق. وفجأة شعر كما لو أن أحدا يهزه، وجاءه صوت بكاء من بعيد. فأفاق وفتح عينيه، فلم ير أمامه سوى لين داى يو. خشى باو يو أن يكون ذلك حلما، فرفع وجهه، وتفرس فى الوجه الذى أمامه، فلم ير سوى عينين قد تورمتا من البكاء، وامتلأ وجه صاحبته بالدموع. إن لم تكن لين داى يو فمن تكون؟ ود باو يو لو يديم النظر اليها، لكن الألم الذى كان يشعر به فى نصفه الأسفل حال بينه وبين ذلك، فصرخ من الألم، ثم سقط على فراشه وتنهد قائلا:

— ما كان ينبغى لك أن تخرجى فى مثل هذا اليوم. فالأرض لا تزال ساخنة رغم غروب الشمس. وقد تصيبك ضربة شمس من خروجك هذا. أنا بخير ولا أشعر بأى ألم. وما ترينه الآن منى ليس إلا تظاهرا بالألم، حتى أخدعهم فيصل ذلك الى أبى. فلا يغرنك تمارضى وتظاهرى بالألم. فالحقيقة غير ذلك.

لم تكن لين داى يو الآن تبكى بصوت عال، بل كان بكاؤها

مكتوما، حتى غصت بدموعها وكاد نفسها يختنق. وكان هذا البكاء المكتوم أشد من بكائها العالى منذ قليل. كان بداخل لين داى يو كلام كثير ودت لو تقوله، غير أنها لا تستطيع. ومضى وقت طويل قبل ان تقول بصوت متهدج:

– لعلك تغير من الآن فصاعدا.

أطلق باو يو تنهيدة طويلة ثم قال:

– اطمئنى فانا لن أتغير أبدا. بل إننى على استعداد لأن أموت فى سبيل هؤلاء. فإياك أن تقولى هذا الكلام مرة أخرى!

وهنا سمع صوت الخادمات من الخارج يعلن عن وصول السيدة الثانية، أدركت لين داى يو أنهن يقصدن السيدة وانغ شى فينغ، فنهضت بسرعة قائلة:

– سأخرج من الباب الخلفى، وسأعود اليك فيما بعد.

أمسك باو يو بيدها قائلا:

– عجبا لك! ما الذى يجعلك تخشين لقاءها هكذا؟

ضربت لين داى يو الأرض بقدميها من الانفعال، وقالت بصوت خفيض:

– ألا ترى عينى وقد تورمتا من البكاء؟ أم تراك تريدها أن تسخر منى؟

عندئذ ترك باو يو يدها، فدارت حول فراشه بحذر، وانصرفت من الباب الخلفى.

دخلت السيدة وانغ شى فينغ قائلة:

– هل انت أحسن الآن؟ إذا رغبت فى أن تأكل شيئا،

فأرسل خادمة الى لتأتى لك بما تريد.

ومن بعد السيدة وانغ شى فينغ جاءت الخالة شيبه، ثم أرسلت الجدة خادمة لتطمئن على صحة باو يو.

وفى المساء، وبعد أن أوقدوا المصابيح، شرب باو يو قليلا من الحساء، وراح فى نوم متقطع. ثم جاءت بعض الخادمات الكبيرات ممن اعتدن المجيء ومسموح لهن أن يدخلن وهى زوجة جو روي وزوجة وو شين دينغ وزوجة تشينغ خاو شى. جئن للاطمئنان على باو يو فور سماعهن ما جرى له. أسرعت شى رن لتستقبلهن عند الباب، وقالت لهن بصوت خفيض ضاحكة:

- لقد تأخرتن فى المجيء يا خالاتى. فالسيد نائم الآن.

ثم اصطحبتهن الى غرفة جانبية. دعتهن للجلوس وقدمت لهن الشاى. فجلسن بعض الوقت فى صمت ثم قلن لشى رن:

- نرجو أن تبلغى السيد الصغير بأننا قد جئنا للسؤال عنه والاطمئنان على صحته.

وعدتهن شى رن بأنها ستفعل ثم رافقتهن الى الخارج. وما إن استدارت راجعة حتى أبصرت خادمة عجوز قالت لها:

- إن السيدة وانغ تريد واحدة ممن يقمن على خدمة السيد الصغير.

فكرت شى رن قليلا ثم التفتت نحو تشينغ وين، وشى يوء، وتان يون، وتشيو وين، وأمرتهن بصوت هامس:

- السيدة وانغ تريد واحدة منا. فابقين أنتن هنا، واعتنين بالسيد جيدا، سأذهب أنا ولن أتأخر.

قالت ذلك ثم انصرفت فى رفقة الخادمة العجوز، حتى خرجتا من الحديقة وصعدتا الى غرفة السيدة وانغ. رأتها شى رن جالسة تستظل فوق مقعد من الخيزران، وتروح عن نفسها بمروحة من ورق الموز. ولما رأتها السيدة وانغ قالت لها:

– أنا لم أطلب خادمة بعينها، فلم جئت بنفسك وتركته وحده؟ من سيعتنى به ويخدمه الآن إذن؟

أجابتها شى رن قائلة:

– اطمئنى يا سيدتى. فهو نائم الآن، ومعه نحو أربع خادمات يقمن على خدمته. لكننى خشيت إن أرسلت واحدة غيرى ألا تعى جيدا ما تأمرنى به سيدتى، فتسوء الأمور.

– الأمر ليس بهذه الأهمية. لقد أردت أن أطمئن عليه فحسب.

– لقد تحسن سيدى كثيرا بعد أن دهنت له من الدواء الذى أحضرته الآنسة باو تشاى. لقد كان يتقلب من الألم، أما الآن فقد راح فى نوم عميق.

– وهل أكل شيئا؟

– لقد شرب قليلا من الحساء الذى أرسلته السيدة الكبيرة. وأخذ يصيح من العطش طالبا حساء القراصيا القابض ومن كان مثله ضرب لتوه، ولم يكن مسموحا له حتى أن يصرخ من الألم، من الطبيعى أن تحتبس داخله نفايات. كان ينبغى لها أن تخرج. فإذا تناول قابضا ازدادت حالته سوءا ومرض مرضا شديدا. لقد تعبت حتى أقنعته بالعدول عن تناول القراصيا وقدمت له بدلا منها

مخلل الفاكهة المسكرة، فأكل منها نصف سلطانية، ثم عاقتها نفسه وتركها.

قالت السيدة وانغ:

– ولم لم تخبريني بذلك في حينه؟ منذ أيام أهدانا أحدهم زجاجتين من خلاصة الورد. وفكرت في بادئ الأمر أن أعطيهما له. لكنني عدت وعدلت عن ذلك، إذ خشيت أن يهدرهما ولا يستخدمهما بقدر. أما وقد عزف عن الفاكهة المسكرة، فإني أرى أن أعطيه إياهما. إن ملعقة شاي منها تكفي كي تجعل سلطانية من الماء حلوة المذاق طيبة الرائحة.

نادت السيدة وانغ على تساى يون، وقالت لها آمرة:

– اذهبي وأحضري زجاجتي خلاصة الورد اللتين أهديتا الينا منذ أيام.

قالت شي رن:

– إن زجاجتين يا سيدتي لكمية كبيرة، وأخشى أن يهدرهما. فلآخذ قدرا قليلا، فإن نفد عدت وأخذت قدرا آخر.

ذهبت تساى يون لتفعل ما أمرتها سيدتها به وغابت زمنا، ثم عادت ومعها زجاجتان صغيرتان، طول الواحدة منهما ثلاث بوصات، ولكل منها غطاء قلاووظ فضي. وكلاهما عليه ملصق أصفر، كتب على أحدهما "خلاصة زهر الأوسماثوس النقية" وعلى الآخر "خلاصة الورد النقية".

قالت شي رن ضاحكة:

– يا له من شيء ثمين! فليس غريبا إذن أن يكون بهذه

القلة.

فقالت السيدة وانغ:

- إنه من عند الأمبراطور. ألا ترين الملصق الاصفر الذى يشير اليه؟ لا تدعيه يضع منه بنفسه، حتى لا يسرف فى استعماله. بل أضيفى له أنت منه.

أطاعت شى رن سيدتها، وهمت بالانصراف. فإذا بالسيدة وانغ تستوقفها قائلة:

- قفى. فلقد تذكرت شيئا أريد أن أسألك عنه.

فعادت اليها شى رن مسرعة، ولما تيقنت السيدة وانغ أن الغرفة خالية إلا منهما، سألتها قائلة:

- لقد سمعت أن شيئا ما قد قاله جيا خوان لأبيه هو الذى تسبب فى ضرب باو يو اليوم. فهل سمعت بذلك؟ إن سمعت شيئا أخبرينى به فورا، وأنا لن أخبر أحدا بأنك قلت لى شيئا.

- أنا لا أعرف شيئا من هذا يا سيدتى. كل ما أعرفه أن سيدى قد ضرب بسبب ذلك الممثل تشى قوان. فلقد جاء أحدهم اليوم الى سيدى الكبير فى طلبه وأخبره بما كان بينه وبين سيدى الصغير.

هزت السيدة وانغ رأسها قائلة:

- ومن أجل هذا أيضا. لكن هناك سبب آخر.

- ان كان هناك سبب آخر فأنا لا أعرفه. سأستجمع شجاعتى اليوم وأتكلم فى حضور سيدتى فى أمر لست أدرى إن

كان يصح لى أن أتكلم فيه أم لا فى الحقيقة.

قالت شى رن ذلك ثم صمتت ولم تكمل، فاستحثتها السيدة وانغ قائلة:

– قولى ولا تخشى شيئا.

قالت شى رن ضاحكة:

– سأقول يا سيدتى، ولكن لا تغضبى منى.

– ولم أغضب؟ قولى ما عندك.

– فى الحقيقة إن سيدى الصغير بحاجة الى تأديب . لو ترك هكذا دون عقاب، من يدرى ماذا سيفعل غدا.

ضربت السيدة وانغ كفا بكف وصاحت:

– يا الهى بوذا!

ثم عقبت على ما قالته شى رن بقولها:

– لحسن الحظ إنك أيضا تدركين ذلك. فما قلته يتفق مع ما أراه أنا. أنا لست أجهل كيف أربى ابنى وأؤدبه، ولعلك تذكرين كيف كنت أربى سيدك جيا جو عندما كان حيا. وإن كنت اليوم أتساهل مع باو يو، فإن لذلك سببا، فأنا أقترب من الخمسين، وليس لى سواه. فضلا عن أنه ضعيف البنية وقرة عين جدته. إنى أخشى إن قسوت عليه أن يصيبه أذى وتغضب جدته وعندئذ ستساء الأسرة كلها كبيرها وصغيرها، وسيكون ذلك أسوأ من تركه دون عقاب. لقد جف حلقى من كثرة ما نصحته. تارة باللين وتارة بالشدة وتارة بالبكاء. يطيعنى بعض الوقت ثم لا يلبث أن يعود لسيرته الأولى. إنه لن يرتدع إلا بالعقاب والشدة. ولكن

ماذا لو أصابه مكروه، فمن يبقى لى وعلى من أعتمد؟

قالت السيدة وانغ ذلك ثم انفجرت فى البكاء.

تأثرت شى رن عندما رأت سيدتها حزينة هكذا، وأحست بالحزن من أجلها. حتى بكت هى الأخرى قائلة:

- إنه ابنك يا سيدتى، فلا عجب أن تحزنى من أجله. إننا نحن الخدم نكون محظوظين للغاية لو كانت الأمور تجرى بسلام، اما إذا حدث مثلما حدث الآن، فكيف لنا أن نطمئن ويهدأ لنا بال؟ لطالما نصحت سيدى، دون جدوى. والحقيقة انه ليس من الإنصاف أن نلقى باللوم عليه لاختلاطه بهؤلاء الذين هم دونه. لأنهم هم الذين يأتون اليه ويفرضون أنفسهم عليه. فالخطأ ليس خطأه إذن. ولأنك يا سيدتى قد أثرت هذا الموضوع الآن، فساعرض عليك أمرا لطالما وددت أن أصارحك به غير أنى لم أستطع، خشيت أن تسىء سيدتى الظن بى فيضيع كلامى هباء، وتغضب سيدتى على حتى لا أجد لى مثوى بعد الموت.

أحست السيدة وانغ أن وراء كلامها شيئا خطيرا، فقالت تستحثها:

- قولى ما عندك لقد سمعت الناس فى وجودك وفى غير وجودك يثنون عليك، فقلت فى نفسى إما أن يكون ثناؤهم لعنايتك بباو يو وقيامك بواجباتك نحوه خير قيام، وإما أن يكون لحسن معاملتك مع الآخرين. وسواء كان هذا أو ذاك فكلاهما خير. لذلك أنا أحسن معاملتك وأنزلك منزلة المربيات الكبيرات اللاتى عملن لدينا سنين طوالا، وما قلته منذ قليل صائب للغاية، يتفق تمام

قالوا فى حقه كلمة واحدة، لو علينا لاحتملنا كل ما يحدث لنا ولو قطعت أجسامنا وسحقت عظامنا، فنحن معتادون على ذلك، أما سيدى فسيلوث ذلك اسمه وينال من سمعته الى الأبد! بل إن سيدتى ستخجل من رؤيته بعد ذلك وكما يقولون: العاقل من تدارك الأمر قبل استفحالها. إن سيدتى مشاغلها كثيرة، وقد لا تجد متسعا من الوقت كى تفكر فى أمر كهذا، وهو الأمر الذى من الصعب أن يخطر ببالنا نحن الخدم. أما وقد خطر، ولم نبلغ سيدتنا به، فقد أجرمنا جرما كبيرا. إننى يا سيدتى أصبحت فى الآونة الأخيرة كثيرة القلق دائمة التفكير فى هذا الأمر. ولم أكن أستطيع أن أخبر به أحدا. ولم يعلم به إلا مصباحى الذى أوقده ليلا وأنا أفكر.

شعرت السيدة وانغ وكأن صاعقة قد نزلت عليها فور سماعها ما قالته شى رن. واسترجعت ما حدث لجين تشوان. وكلما أمعنت التفكير ازدادت إعجابا بشى رن.

قالت لها ضاحكة:

- يا لك من ذكية وبعيدة النظر! لقد فكرت فى هذا الأمر من قبل، غير أنى كنت أنساه فى غمرة انشغالى. وها أنت تذكريننى به مرة أخرى. إننى أقدر لك اهتمامك بسمعتنا أنا وابنى. فى الحقيقة لم أكن أعلم أنك مخلصة الى هذا الحد. والآن اذهبى وسأرى ما يمكننى عمله. ولكن بقيت كلمة أخيرة أقولها لك بعد أن سمعت ما قلته منذ قليل. إننى أعهد اليك بابنى فاعتنى به، واحفظيه، فإنك إن حفظته كأنك حفظتنى أنا، وثقى أننى لن

أخذلك أبدا.

أطاعت شى رن سيدتها وأسرعت بالانصراف. فلما دخلت على باو يو وجدته قد استيقظ من نومه، فأخبرته بأمر خلاصة الورد. سر سرورا كبيرا وأعلن عن رغبته فى أن يتناولها، فلما فعل ذلك وجدها لذيذة الطعم طيبة الرائحة كما توقع.

كان باو يو يفكر فى لين داى يو، وود لو يرسل اليها رسولا، غير أنه كان يخشى شى رن. فكر فى طريقة يصرفها بها. فأرسلها الى الآنسة باو تشاى كى تستعير له منها بعض الكتب.

ما إن انصرفت شى رن حتى أسرع باو يو باستدعاء خادمته تشينغ وين وأمرها قائلا:

– اذهبى الى الآنسة لين، فإن سألتك عنى قولى لها إنى بخير.

– كيف أذهب اليها دون أى سبب معقول؟ على الأقل لأنقل اليها كلاما يستحق النقل.

– ليس هناك ما يقال.

– إن لم يكن لديك ما تقوله لها، فإما أن تعطينى شيئا أعطيه لها، وإما أن تطلب منى شيئا أحضره لك من عندها. وإلا فماذا أقول لها مبررة ذهابى اليها؟

فكر باو يو قليلا ثم مد يده وتناول زوجا من المناديل رماه اليها وقال ضاحكا:

– قولى لها إذن إن هذين المنديلين هدية منى اليها.

– هذا أكثر غرابة من ذهابى اليها دونما سبب. فماذا تفعل

هي بمنديلين مستعملين؟ لا شك أنها ستثور مرة أخرى وتظن أنك فعلت ذلك لتغيظها.

ضحك باو يو قائلا:

- اطمئنى، ستدرك مقصدى.

عندما لم تجد تشينغ وين بدا من أن تأخذ المنديلين، وانصرفت بهما قاصدة شياو شيانغ قوان حيث تقيم لين داى يو. لم تر تشينغ وين سوى الخادمة تشى تشيوان التى كانت تنشر بعض المناديل فوق الدرابزين كى تجف. لوحت لها تشى تشيوان بيدها قائلة:

- إنها نائمة الآن.

فلما دخلت تشينغ وين اليها وجدت الغرفة غارقة فى الظلام والمصابيح غير مضاءة. كانت لين داى يو مستلقية فى فراشها، غير أنها لم تكن قد نامت بعد. فسألت:

- من القادم؟

- أنا تشينغ وين.

- ماذا تريدين.

- لقد أرسلنى سيدى باو يو بمنديلين هدية منه اليك.

استبدت بلين داى يو الحيرة، وتساءلت فى سرها عن سبب إرسال المنديلين اليها ثم سألت تشينغ وين قائلة:

- من الذى أهدانى تلك المناديل؟ لا بد أنها من نوع ممتاز. فليهدها لأحد غيرى إذ لا حاجة لى بها الآن.

ضحكت تشين وين قائلة:

– انهما ليسا منديلين جديدين، بل سبق استعمالهما.

ازدادت لين داى يو حيرة، لكنها سرعان ما فهمت الأمر بعد لحظة تفكير فقالت لتشينغ وين:

– ضعيهما وانصرفي.

فوضعتهما تشينغ وين، وانصرفت. وطوال الطريق وهى تفكر في أمر المنديلين القديمين دون أن تصل لتفسير معقول.

أدركت لين داى يو الغرض من إهداء باو يو لها منديلين قديمين. فلم تملك نفسها من الانطلاق بخيالها وأفكارها. كان تفكيرها بأنه يحس بها، وأن ما في قلبه يماثل ما في قلبها يبعث في نفسها السرور. لكنها حين تفكر في المصير المجهول وذلك لهذه العاطفة التي تربط بينهما ينتابها الحزن. وفجأة تقول لنفسها، ماذا لو أن المنديلين ليس وراءهما هذا المعنى العميق الذى فهمته، وإنه لم يهدهما اليها إلا لتراهما فحسب؟ عندئذ تجد الأمر يدعو للضحك. لكنها تعود وتشعر بالقلق من أن طرفا ثالثا قد نقل اليها هديته الخاصة. وحين تفكر في دموعها التي تسيل ليل نهار عبثا تشعر بالندم. وهكذا راحت الأفكار تتقاذفها يمينا ويسارا. وبينما هي هكذا داخلها يغلي، وذهنها مضطرب وأفكارها متشابكة. أمرت بإيقاد المصابيح، ودون أن تكترث لما يمكن أن تثيره من شكوك وظنون، جلست الى مكتبها، وغمست ريشتها في المحبرة، وراحت تكتب فوق المنديلين هذه الأبيات:

لم يبق في العينين غير الدمع

قد سال هباء
من أجل من
يا دموعى تذرف فى الخفاء؟
اهديت المناديل الحريرية الى منه
ما بالها زادت على قلبى العناء
فى يومى كله ليس لى
إلا وهو يشغل فكرى
ولآلئ من مقلتى
تنساب فى السر
لا الوسادة ولا الأكمام تمسحها
فلتبق تاركة ما شاءت من أثر

أين ذا الخيط الذى يكفى ليجمعها
دارت عينى التى سالت مدامعها
آثار دمع الخيزران.. أنى تضارعها؟!
وخلف نافذتى من الأعواد آلاف
تراها تبقى
على آثار دمعى.. أم تضيعها؟

ودت لين داى يو أن تكتب المزيد، لكنها شعرت بحرارة فى جسدها كله، ووجهها متقد، فاتجهت صوب المرآة، وأزاحت غطاءها الحريرى فرأت وجنتيها أكثر احمرارا من زهرتى خوخ.

أعجبها جمالها ولـم تدر المسكينـة أنها تباشير المرض الذى بدا يزحف اليها. دخلـت فراشها وقد ضمـت المناديـل اليها تداعبها الخيالات الجميلة.

تعريف الكاتب:

تساو شوى تشين (١٧١٥م - ١٧٦٣م)

ولد فى مدينة فنغ رون بمقاطعة خه باى، ثم انتقل مع أسرته الى شمال الصين الشرقى، وقبل أن تعبر أسرة تشينغ التى تنتمى لقومية مان مضيق شان خاى قوان، كان تساو شوى تشين عبدا لأسرة الامبراطور منتميا الى قومية مان مثلها. ولقد عملت أم جدته لأبيه مرضعة للامبراطور كانغ شى، كما كانت عمتاه محظيتين للامبراطور. وتعاقبت ثلاثة أجيال من أسرته على شغل وظيفة شراء النسيج من جنوب الصين لأسرة الامبراطور كما عملوا متفقدين على عامة الناس والموظفين بالدولة. لذا كانوا مقربين من الامبراطور وثيقى الصلة به. لكن ازدهار الأسرة لم يدم طويلا، فما إن اعتلى يونغ جينغ عرش أبيه، حتى راح يتخلص بقوة من كل الذين قربهم أبوه اليه. فطرد اسرة تساو شوى تشين وصادر ممتلكاتها، فاضطرت الى الانتقال الى بكين. كان تساو شوى تشين فى السابعة عشرة أو الثامنة عشرة من عمره، تعرضت أسرته لهجوم ثان من قبل أسرة الامبراطور، فأصبحت معدومة تماما، واضطرت للانتقال مرة أخرى الى ضاحية بكين الغربية حيث كانت تقتات على اللوحات التى يرسمها تساو شوى تشين. وهكذا عاش تساو شوى تشين فترة انتقال أسرته من ازدهارها الى انحدارها، فشعر بالظلم والظلام اللذين يسودان المجتمع الإقطاعى. وفى سنواته العشر الأخيرة، وفى ظل ظروف بالغة القسوة، كتب تساو شوى تشين ثمانين فصلا من رائعته "حلم المقصورة الحمراء" والتى كان اسمها "حكاية الحجر" وكان قد قام بمراجعة هذه الفصول وتصحيحها خمس مرات. لكن القدر لم يمهله كى يتمها، إذ فقد ابنه الوحيد وهو طفل صغير، فلم يتحمل تساو شوى تشين هذه الفاجعة، ومات حزنا على وحيده. ورغم أنه ترك بعض المسودات لما تبقى من فصول الرواية، إلا أن كلها فقدت. ومات تساو شوى تشين قبل أن يكمل رائعته. لقد استغرق انتشار الثمانين فصلا التى كتبها تساو شوى تشين ثلاثين عاما حتى أصبحت فى متناول الجميع. ثم

أضاف قاو أيه الى هذه الثمانين أربعين فصلا. فاكتملت القصة هكذا. وفى عام ١٧٩١م تمكن قاو أيه بمساعدة صديقه من طبع القصة لأول مرة باستخدام الحروف المتحركة، وغير اسمها من "حكاية الحجر" الى "حلم المقصورة الحمراء" التى هى بين يدينا الآن.

من بدائع الأدب العربى القديم
(٤٧٥ - ١٧٩٨م)

بالتعاون فى التأليف والترجمة بين
جامعة اللغات والثقافة ببكين
وجامعة عين شمس بالقاهرة

تأليف: أستاذ جامعة اللغات والثقافة ببكين
أ . د. ياسين يانغ شياوبو

مساعدو تأليف: أساتذة جامعة عين شمس بالقاهرة
محسن فرجانى
ناصر عبد العال
هشام المالكى
أحمد دياب
حسن ابراهيم
عنايات عبد الحميد
ناهد عبد الله

ترجمة: أ. د. ياسين يانغ شياوبو

الفهرس

العصر الإسلامي والأموى (٦٢٢–٧٥٠م)

٣٥ – أ من منزل قفر تعفت رسومه	جميل بن معمر
٣٦ – لقد نادى الغراب ببين لبنى	قيس بن ذريح
٣٧ – تعلق روحي روحها قبل خلقنا	قيس بن ذريح
٣٨ – وإن تك لبنى قد أتى دون قربها	قيس بن ذريح
٣٩ – الى الله أشكو ما ألاقى من الهوى	قيس بن ذريح
٤٠ – لعمرك ما بالموت عار على الفتى	ليلى الأخيلية
٤١ – كتبت اليك من بلدى	عمر بن أبى ربيعة
٤٢ – قال لى صاحبى ليعرف ما بى	عمر بن أبى ربيعة
٤٣ – إنما الذلفاء همى	الأحوص
٤٤ – أدور ولولا أن أرى أم جعفر	الأحوص
٤٥ – عللانى واسقيانى	الوليد بن يزيد
٤٦ – اصدع نجي الهموم بالطرب	الوليد بن يزيد
٤٧ – فما زال عنها السير حتى تواضعت	الأخطل
٤٨ – ومستنبح بعد الهدوء دعوته	الأخطل
٤٩ – ان الذى سمك السماء بنى لنا	الفرزدق
٥٠ – لفلج وصحراواه لو سرت فيهما	الفرزدق
٥١ – حى المنازل اذ لا نبتغى بدلا	جرير
٥٢ – لولا الحياء لعادنى استعبار	جرير
٥٣ – حبذا العيش حين قومى جميع	عبيد الله بن قيس الرقيات
٥٤ – فيا رب ان حان وفاتى فلا تكن	الطرماح بن حكيم
٥٥ – طربت وما شوقا الى البيض أطرب	الكميت بن الأسدى
٥٦ – من سورة الكهف	"القرآن الكريم"

العصر العباسي (٧٥٠–١٢٥٨م)

العصر العثمانى (١٢٥٨–١٧٩٨م)

附录：

《阿拉伯古代诗文选》目录

阿拉伯古代诗文选
（公元 475—1798 年）

北京语言文化大学
开罗艾因·夏姆斯大学 编译

主　编：北京语言文化大学教授
　　　　杨孝柏

助　编：开罗艾因·夏姆斯大学教师
　　　　穆贺辛·费尔加尼
　　　　纳赛尔·阿卜杜·阿勒
　　　　希夏姆·马立克
　　　　艾赫麦德·迪亚卜
　　　　侯赛因·伊卜拉欣
　　　　艾娜娅特·阿卜杜·哈米德
　　　　娜布德·阿卜杜拉

翻　译：杨孝柏

目　录

蒙昧时期(公元475—622年)

伊斯兰教初期和伍麦叶朝时期(公元622—750年)

阿巴斯朝时期(公元 750—1258)

奥斯曼朝时期(公元1258—1798年)

(京)新登字 157 号
图书在版编目(CIP)数据
中国古代诗文选:阿拉伯文/北京语言文化大学,开罗艾因·夏姆斯大学编译.—北京:北京语言文化大学出版社,1997
ISBN 7-5619-0610-2
Ⅰ.中…
Ⅱ.①北…②开…
Ⅲ.①古体诗-中国-古代-阿拉伯语②古典散文-中国-古代-阿拉伯语
Ⅳ.I212.1

责任印制:乔学军
出版发行:北京语言文化大学出版社
(北京海淀区学院路 15 号　邮政编码 100083)
印　　刷:北京市朝阳区北苑印刷厂
经　　销:全国新华书店
版　　次:1997 年 10 月第 1 版　1997 年 10 月第 1 次印刷
开　　本:850×1168 毫米　1/32　印张:15.5
字　　数:320 千字　印数:1—3000 册
定　　价:(精)40.00 元　(平)31.00 元

责任编辑:蒋和平　封面设计:甘　莉

ISBN 7-5619-0610-2

9 787561 906101 >

7-5619-0610-2

H · 3746　定价:40.00元